

عشر ربيع

في تاريخ
عيسى
ع سر — عمر
ذكريات وتاريخ

وصف شامل لما في بلاد مصر ونهاية
من المدن والقرى والجيال الشاعقة وما فيها
من مناظر خلابة فائقة وحباء أهلها الأجتماعية
وعاداتهم وتاريخها الاقتصادي والسياسي.

(حق الطبع محفوظ)

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

دار العهد الجديد للطباعة
بالقاهرة



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

DATE DUE





2P

2667

5885

alp

Rafīʿ, Muhammad Umar
مستشرق رفيع

في ربوع
عسيرة
ع سر — عر
ذكريات وتاريخ

/Fi rubu 'Asyr/

وصف شامل لما في بلاد مصر وتهامة
من المدن والقرى والجبال الشاهقة وما فيها
من مناظر خلابة فاتنة وحياة أهلها الاجتماعية
وعاداتهم وتاريخها الاقتصادي والسياسي.

(حق الطبع محفوظ)

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

دار العهد الجديد للطباعة
بالقاهرة

N. Y. U. LIBRARIES

Heat East

DS

247

A65

R3

C-1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأهداء

إلى

معقل العرب ومناط أمالها وهامي صم الجزيرة العربية
ومن له اليد الطولى في سبيل وعدتها

ملك المملكة العربية السعودية

بمقره محب الوطن والدين سيدي عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

أقدم كتابي هذا

داجيا من الله تعالى أن تستكمل الجزيرة العربية في عهده

المبارك الميمون من العزة والمنعة والوحدة والمجد ما يصبو

إليه كل محب لها غيور عليها وأن يديم جلالته والاشرة

السعودية الكريمة يحيى للإسلام ومثارا وسوددا

للعروبة وفخارا



يَحْفَظُهُ قَلْبُ الْحَيَّةِ الْمَلِكَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ



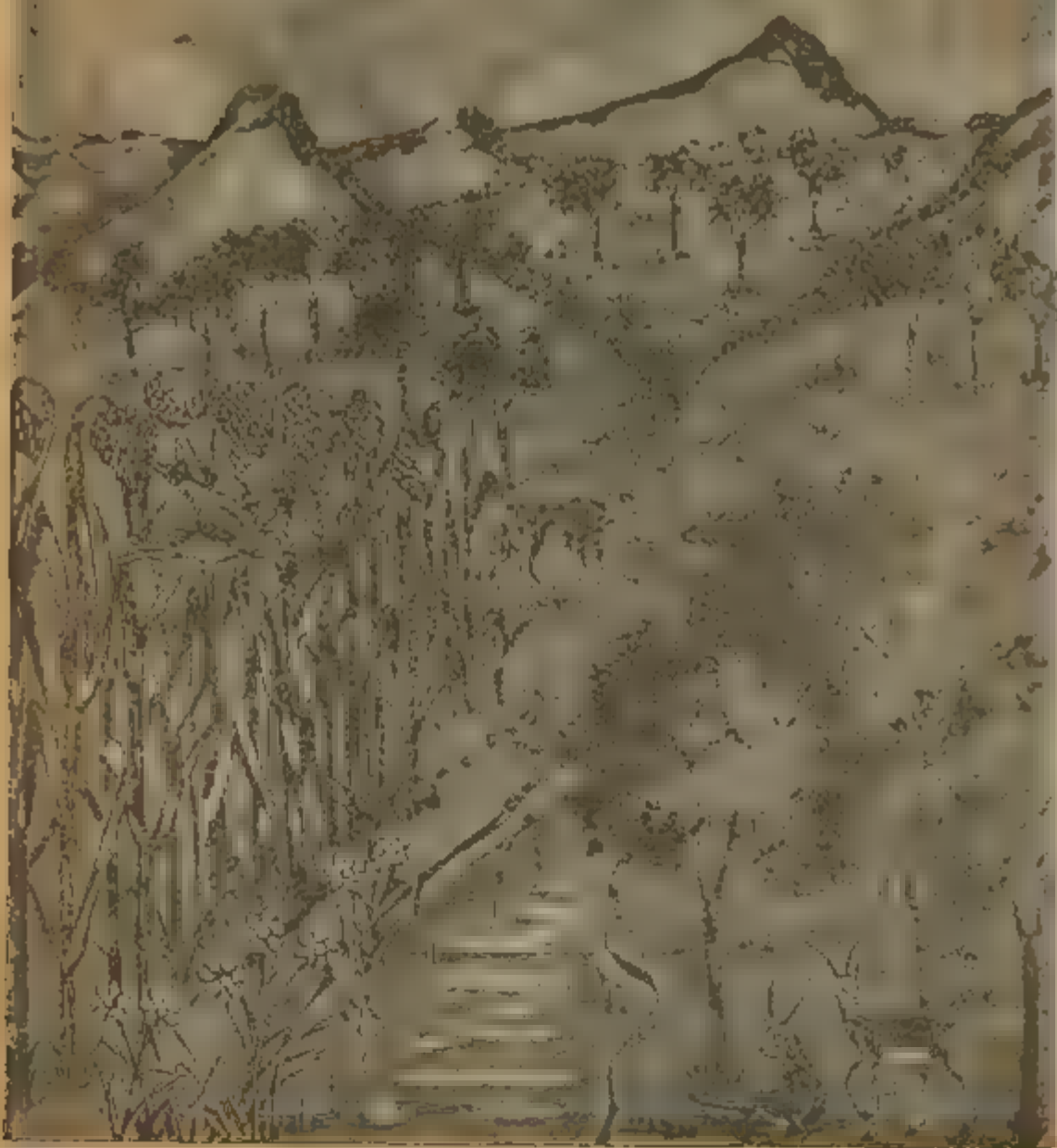


محضره صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود والعهدة العامة



الحسين

ديار اذ اشممت من الغيث نفحة
تضوع منها طيب النبت بالعطر





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لم يحل في خاطري عند ما كنت أسجل ما يقع عليه بصرى أو يعبه سمعى في تجوالى ببلاد عسير وما إليها، إلا أن يكون رسالة خاصة وإنتاجاً للاستهلاك فيما بينى وبين صديق السيد محمد شطا الذى رغب فى أن أحذنه عما أسمع وأرى فى رحاتى هذه ، ولكن بعد أن انتقلت موظفاً بدار البعثات العلية السعودية بمصر ساقط الصدف بعض الأصدقاء إلى الاطلاع على ما كتبت من ذلك فرغب إلى فى إلحاح وتشجيع أن أطبعه وأنشره معتقداً أن فيه شيئاً مالمعه يروق القارىء ، وفيد أبناء الوطن ومن له عناية بمثل هذه الشؤون . فان بلاد عسير وما جاورها تكاد تكون مجهلا من مجاهل الجزيرة العربية قل من يعرف أخبارها وأحوال أهلها حتى من أبناء الجزيرة أنفسهم ، فاستجبت لما طلب . وما أن بدأت فى تهيته واعداده للطبع ، حتى ظهر كتابه فى بلاد عسير ، للرحوم الأستاذ فؤاد حمزة ، فكذت أصرف العزم عما استجبت إليه ، وقلت فى نفسى : أى أثر سيكون للذبالة بعد أن أشرقت الشمس ، وأنى يدرك الضائع شاو الضليع . لا سيما بعد أن قرأت مقدمة الكتاب ووعيت ما ذكره فيها من وسائل وأسباب تهيأت له لم تكن تهيأ لغيره ، أو تنسى فى ظروف غير ظروفه كما قال !

غير أنى بعد أن تصفحت جملة ما كتب ، تراءى لى أن فيما سجلت وحيأت فوائده ومعلومات مكنتى منها طول مكثى بعسير واختلاطى بأهله وتجوالى فى منازلهم بما لم يتسع له وقت المشار إليه لما كان مضطلعا من مهمة سياسية خطيرة وقد اتاحت لى مشاركتى لهم فى عاداتهم وتقاليدهم ومشاهدتها أن أصور حياتهم الاجتماعية وتقاليدهم القبلية تصويراً يكاد يدنها من القارىء . حتى

(ب)

لكأنه يشهدا ، فأثرت المضي فيما اعترمت من طبعه ونشره لاسيما وقد عثرت
في أثناء مطالعاني لبعض المؤلفات والرسائل التي تعرضت لذكر عسير وحوادثها
وأخبار أهلها على بعض أخطاء وأوهام رغبت في تصحيحها على الوجه الذي
تبين لي أنه الصواب مما سيطلع عليه القارئ الكريم في محله من هذا الكتاب .
فإن صح ما رآه بعض الأصدقاء وكان حقاً ما تراه لي فهو الغاية والهدف
فيما فعلت .

وقد رأيت استكمالاً للغاية التي توخاها بعض الأصدقاء أن الحق
بفصول هذه الرحلة « تاريخ عسير السياسي في غضون خمسين ومائة سنة » ،
فأنني لم أصادف فيما وصل إليه على كتاباً مستقلاً في تاريخ عسير وكل
ما اطلعت عليه نبذ في غاية الاختصار لا تعطي فكرة واضحة عما جرى من
الاحداث في تلك الجهات ، ونجمنى على ذلك أوراق عثرت عليها عند بعض
الأفاضل من العائلة الحفظية من سكان قرية رجال سجل فيها كاتبها بعض
حوادث عسير ، وكيفية نشوء الإمارة فيهم ، وما جرى من أحداث وتحولات
من أوائل القرن الثالث عشر الهجري حتى نهايته ، وما كنت استمع إليه في
أثناء السمر والاجتماع بمن تعرفت بهم من أهالي تلك الجهات عن شهدوا
حوادثها الأخيرة وغرثهم وقائعها من قصص وأخبار ، وتوخياً للحقيقة
وتوفية للبحث رجعت إلى جملة من المؤلفات والرسائل التي تعرضت للكتابة
عن حوادث عسير وأحوالها وتيسر لي الوقوف عليها ، مما سيراه القارئ
الكريم موضعاً في موضعه من هذا الكتاب ، ومع ذلك فرجائي إلى من
لديه يقين يخالف ما قصصت أن يصححه مشكوراً . والله من وراء القصد ،
وهو ولي التوفيق .

محمد بن برك

الْقِسْمَةُ الْأُولَى

الحمد لله

على طريقة أهالي عسير

من العادات المتبعة بين رجال عسير والتي كان من نتائجها انتشار حوادثهم وأخبارهم بينهم انتشاراً عاماً . أن الواحد منهم إذا ما لقي الآخر في طريقه استوقفه ثم قص عليه باعث خروجه من موطنه ، إن كان بما لا يحرص على كتابته ، وساق له الحديث عما لاقى في طريقه ، وعن استضافته ، وما هو نوع الطعام الذي قدم له ، وما شربه وغير ذلك مما يعينهم كحال المطر والزرع ، وما شاكلهما .

ولهم في بداية الحديث عبارة تقليدية يقولها المتحدث ثم يبتدىء فيقص قصته كما ذكرت .

وما أناذا أبتدىء حديثي عن عسير وما إليها بما يبتدىء به رجال عسير فأقول :

[أمّا نحن^(١) يا محفوظ فتبشرك مادّولة^(٢) في بلادنا مستورين

وهذه علومنا وأخبارنا وزايدنا عفاك^(٣)]

والسلام عليك أيها القاريء ورحمة الله وبركاته

(١) نحن (٢) لاخلاف او لا بأس علينا (٣) عافيتك .

دوافع وبواعث

منذ أكثر من ثلاثين سنة وأنا لا أنزل يافطاً بعد : كان أول ما قرع سمعي عن بلاد عسير ، حوادث انتفاضها عن حكومة الترك . وانتفاق آل عايض أعيان أهل البصرة مع السيد محمد الأديب عن الخشب على منطقة الساحل وتهامة عسير ومحاصرتهم جميعاً للوالي التركي سليمان شقيق بكلي المقيم في أبها . حوالي تسعة أشهر ، وصدر الأوامر السلطانية من استانبول إلى أمير مكة إذ ذاك الشريف الحسين بن علي بالتجهيز والتجهيز لشدة أذى المحاصرين ومنازلتهم في ذلك الحصار عن أبها وقع الفتنة ، وقد كان عرض في دلائف الأخبار وحواشيها ، عن هذه الحوادث ، كثير من الأقوال الخرافية عن خصوبة تلك الجبلات ، وجمال منظرها الطبيعي ، وماعية أهلها من ساداة الفطرة ، ومحاسن الخلق ، فاملاً حافلاً بأجل تصور عنها ، وعادت نفس بمشاهدة سياحة فيها ، بل إنك مع الأسف قد شب ذلك أن انتجرت براكين الشر في العالم الانساني ودخلت الحكومة التركية الثمالية في حرب مع دول البلقان وتلاها نشوب الحرب العالمية الأولى^(١) وابتلى الناس من أثرها بقس المصائب والحن ودار دولاب الزمان بالكثير من المصائب ، فانهارت دول وبنات حكومات وكان من مقتضى هذه الأحداث أن اضطرب سبل الأمن وتوالت النكبات والقتال في الحجاز وبلاد عسير ، فحمد ما في النفس وتزيرت معه أوضاع حياتي الخاصة بما أفاني عن هذه الرغبة وصرفني عنها .

ولما أن استتب الأمر للحكومة السعودية وعم الأمن والاستقرار كل ما شمله نفوذها من الأقاليم عاد ارتداد أهل الحجاز لجهات عسير وتحدثهم عنها بما كان يحرك ما خد من شوق يدفعني إلى زيارتها والسياحة فيها .

(١) الحرب العالمية هي التي نشبت بين الألمان وحلفائهم وبين الإنجليز وحلفائهم عام ١٩١٤ م الموافق عام ١٣٣٢ هـ وانتهت بوقعة الألمان وحلفائهم عام ١٩١٨ م الموافق عام ١٣٣٦ هـ

ففي فجر سنة ١٣٤٨ أثمر رحلتنا إلى أرض الهند وشبه جزيرة الملايا قضيت فيها حوالي سبعة أشهر عدت بعدها إلى مكة ، رغب إلى بعض من أعرف من الصحاب أن أرافقه في سفره إلى بعض جبال الحجاز الأدنى للطائف وسرعان ما وافقته وأبرمنا الأمر وابتدأنا الرحلة من الطائف إلى منازل بني سعد فوادي ميسان من منازل قبيلة ناصرة . آمل أن يستمر بنا السير في جبال السراة وأن أستطيع استدراج صاحب إلى أن نصل إلى جبل عسير ومنه نتحدر إلى نهامة ثم نعود إلى مكة عن طريق الساحل . غير أن هذا الأمل لم يفتقر بالتوفيق فرأيت الاكتفاء برغبة رفيق وقضينا في التجوال نحو شهر ثم عدنا أدراجنا إلى الطائف .

بعد ذلك طوحت في دواع خاصة إلى التردد على استانبول نهياً إلى التجوال في ممالك الشرق الأدنى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق والأناضول . وفي عام ١٣٥٩ على أثر عودتي من مصر إلى مكة عن طريق فلسطين فشرق الأردن فالعراق فالكويت فتهجد ، بسبب إعلان إيطاليا الحرب ضد الانجليز وتكرر صفاء المواصلات في البحر الأحمر ، في جلسة من الجلسات التي كنا نقضي بها فراغ الوقت مع الأخ الصديق السيد محمد شطا المفتش الأول بمديرية المعارف العامة ، جرى ذكر اعتزام المديرية المشار إليها إنشاء أربع مدارس في مقاطعة عسير غير مدرسة أبها ، وصدور الأوامر العليا بالأسراع في تنفيذ ما اعتزمته المديرية فتحرك مني ما سكن من الشوق إلى زيارة عسير وسبق لساني يذكر ما في النفس من الرغبة في مشاهدة تلك الجهات فما كان من الصديق — رعاه الله وأبقاه — الا أن أشار على بأن أطلب الخدمة في إحدى المدارس المذكورة . مردفاً ذلك ببيان فياض وزخرف من المحسنات والمرجحات فقد سبق أن زار تلك الجهة في جولة تفتيشية على مدرسة أبها وجيزان .

انصرفت من ذلك المجلس ونار الشوق في نفسي تلهب والفكرة تعتلج في مخيلاتي جزراً ومدناً ، فالطرق في عسير عسيرة ، والحياة فيها حياة ازواء وانقطاع



الصدیق الکرم السید محمد شطا



لأنحرافها عن خط الحضارة في العالم، وقد تخطيت الشيايب وطغت في الكهولة فلم يعد في الطوق احتمال المشاق والمتاعب، ولم تبق لي ممارسة مهنة التعليم . ولاأملك أية وثيقة تدل على مؤهلاتي ، بل لم أدرس أي علم من العلوم دراسة منهجية ، وكل ما لدى من بضاعة لم يكن إلا تلقفاً من مجالسة أهل العلم والمعرفة ، ودراسة شخصية فيما اتصل إليه يدي من كتاب بالاطلاع والتبصر . ومثل هذا لا يؤهلني لأن أفهم نفسي بين رجال التعليم . ولأن أجرو فأطلب ذلك رسمياً من مديرية المعارف ، لكن دام الشوق إلى مشاهدة تلك الربوع قديم مزمن ، ومتريات صديق ودعائه كانت ساحرة فاتنة ، والحرب القائمة (١) متوقع طولها واستمرارها إلى أمد غير قصير ، وحياة مثلي في أثنائها بمكة حياة ركود لا فرق بين أمسيها وغدوها ، ولا تخرج عن ، أكل وشرب ونوم ، وأكل وشرب ونوم . فالسبل إلى خارج البلاد تكاد تكون مقطوعة . والتقلب للكسب والافتقار أمسي عزيزاً على من كان في مثل حالي رقة . ولحظ الصديق العزيز ذلك مني وآمنس نهبي الإقدام على طلب ما أشاركه . وبدون سابق إنذار قدم باسمي طلباً إلى مديرية المعارف في وظيفة مدير مدرسة رجال المع . قدم الطالب وهو المنتسب الأول للمعارف والعضو العامل في هيئة إدارتها والمديرية متطلعة إلى من يسد الفراغ لإنهاء تشكيل هذه المدارس وإبرازها لحيز العمل والوجود ، فقد طال الإعلان عنها ولم يتقدم أحد بالطلب لأن الحياة في تلك الجهات خشنة قل من يقدم على احتمالها من أرباب المؤهلات ومن لا يعدمون عملاً في العواصم والخواضر الزاخرة بمطالب الحياة على اختلاف أنواعها . فحصل الموافقة على قبول طلبي والحال ما ذكرت سيكون أيسر من عرش بلقيس على من عنده علم من الكتاب .

(١) هي الحرب العالمية الثانية التي نشبت بين الألمان وحلفائهم وبين الأنكليز وحلفائهم عام ١٩٣٨ هـ الموافق عام ١٩٣٩ و انتهت بهزيمة الألمان وحلفائهم هزيمة منكرة عام ١٩٤٥ م الموافق عام ١٣٦٤ هـ .

تقدمت مديرية المعارف بموافقتها على تعييني إلى المناصب العالية حسب
(الروتين) الحكومي المتبع فأقرته . وأصبحت في أمر واقع تهيأت لي معه
أمنية لم تكن لتنبأ أن لا سعي هذا المأمول وبه وعرفته .

وما هذا بأول إحسان نال منه فقد عني من سوابق المعروف والبر ما لا
عيب فيه سوى تأكيد تجري عن استقالة مكثته عليه .

وإحسرت أنه كان الأقدار لم تتأ أن تمنحني هذه الأمانة في مناعة وصفاء
فأني متعة ستكون في هذه الرحلة بعد تخطي زمن الشباب وضعف القوة
والاحتمال ، في بلاد لا وسائل لتفنى فيها إلا البحر والحر .

وكيف تصلو النفس الاستمناح وهي ملأمة لمنازلة هذا الأخ الكريم
والصديق الحميم ، ورحم الله أن الغلاء المعري إذ يقول :

كفنا بالوراق ونحن نمرخ فلم نعلم به إلا كولا
وشارفا فراق أي على فكان أحر داهية نزولا

الاستعداد للرحلة

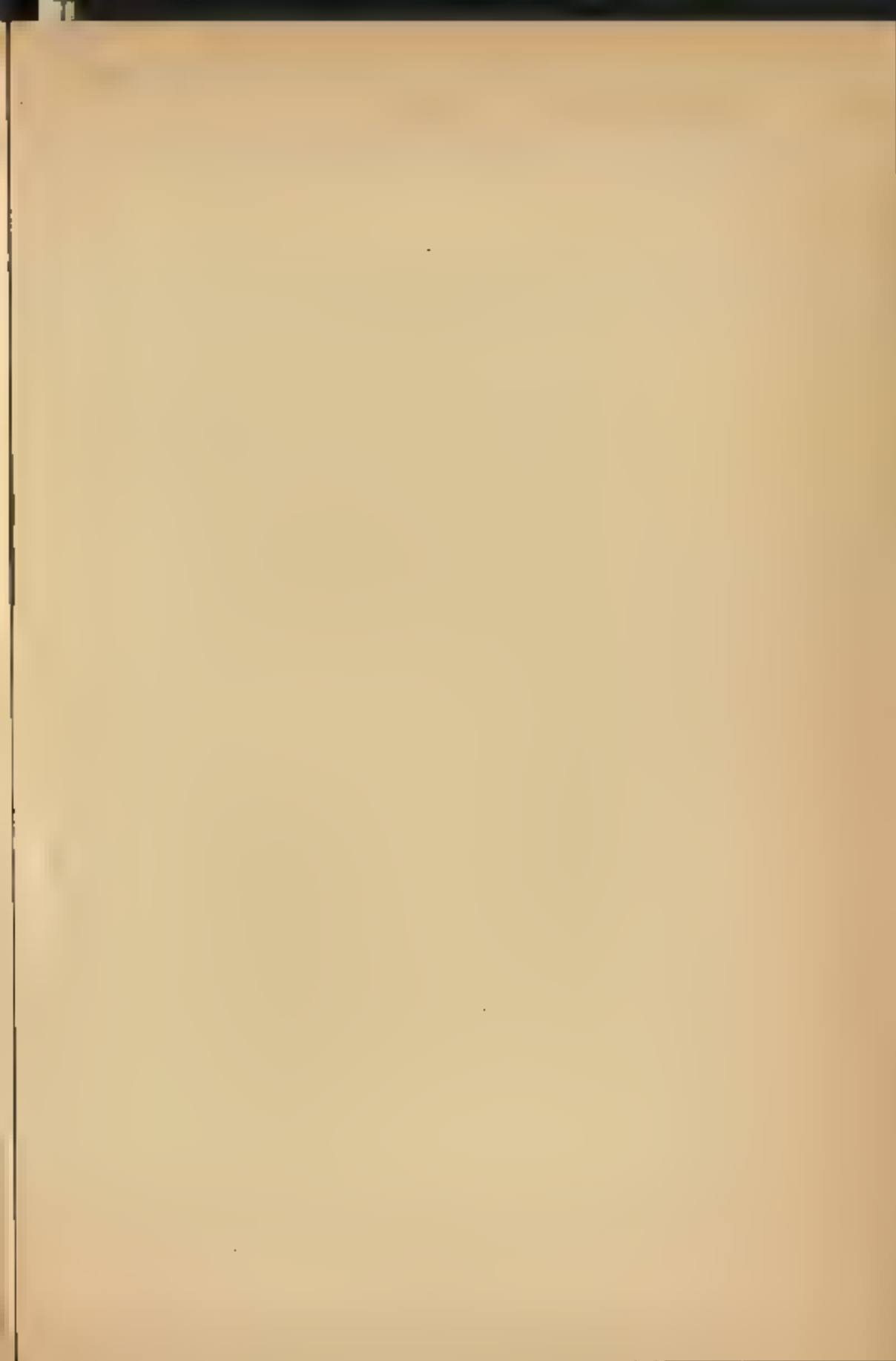
حضر الأمر وحزب . وأخذت مديرية المعارف تستحث للسفر .
ولي صديق فاضل هو الأستاذ عيسى فريم . رأيت من سداد الرأي أن أستميله
لمرافقتي ، وما زالت أغزل في صوته وأحوك حتى واثق على المصاحبة . وتقدم
فطالب وظيفة أستاذ مدرس بالمدرسة . وكان أهلاً لذلك فأجيب طلبه ، كما
أنني استملت بعض من آلف وأعرف . وهو الأخ محمد الخري بأن يطلب
وظيفة مراسل المدرسة ففعل وقيل .

وهذا الذي صنعت خضت عن آلام الوحدة المتوقعة بالبعد عن كل من
أنس به من الرفاق والأصحاب إلى بلد سوف تكون الرسائل فيما بيني وبينهم
غدها شهر ورواحها شهر^(١) .

(١) كان البريد بين مكوا أنها إلى ما بعد وصولنا عسير ستة شهور يسير على الجمال .



الصدیق الغزیز الأستاذ عیسیٰ منیم



كان المقرر أن نبارح مكة في يوم الخميس ٦ من ذي القعدة سنة ١٣٥٩
عن طريق الساحل في سيارة خاصة أعدت لنقل موظفي بعض المدارس
الأخرى في تلك المنطقة. ولكن ذلك لم يكن مقدوراً ، فقد عرض مارجحت
به العدول عن السفر فيها بعد أن حرمنا امتتنا وضاف من طاف بالبيت
مودةً ووقفنا بجوار السيارة للكوب .

ولا أطيل بذكر تفاصيل هذه العنقة ، كما يقولون فقد حصل عتباها .
ما حمدنا معه الواقع وتيسر لنا الركوب في سيارة أخرى هيأتها وزارة المالية
لنقل بعض موظفي الصحة في تلك الجهات فوصلنا إلى أبها عن طريق وادي
يشه وهو طريق أقل خطورة ومناعب من طريق الساحل . وتبأت الأسباب .
فلسافر .

وفي يوم الاثنين المأخر من ذي القعدة سنة ١٣٥٩ بعد أن دلبنا الظهر
وأعدنا أطراف الوداع بالبيت النيق ، ركبت السيارة وبعدها إلى نصف الساعة
وصلنا الشرايع فتنازلنا في إحدى مقاهيها الشاي ، ثم استأنفنا المسير هادين
بالزمام فالسبل وفي حوالى الساعة الواحدة مساءً وصلنا الطائف (١) .

إلا أنه تقرر بعد ذلك أن تسيّر سيارة يرد كل خمسة عشر يوماً مرة وفدأسي
الآن في كل أسبوع مرة .

(١) الطائف من مدن الحجاز الشديدة ومعظم سكانه من تازيف في العصر
الجاهل والإسلامي حتى عصرنا الحاضر إلا أنه في "مصور التاجرة" كثر في سكان الحاضرة
منه خاصة بعض الطوائف غير العربية من الهاديين وبالأخص السليمانية والسود
وتأصلوا إليه واندجوا في أهله . وهو جيد التاج والتواكه . يرتفع عن سطح
البحر بألف وستائة متراً فيما أعلاه . وكان في القديم ولا يزال حتى اليوم مصيفاً لأهل
مكة وينسب لمعاوية قوله : أعجبك الناس عيشة عبيد أرقن مولاي سعد . وكان
على أمواله في الحجاز ويورج في جدة ويقتبط في الطائف ويشتر بمكة ولذلك وصف
محمد بن عبد الله الشمسي زيف بن يوسف أخت أخت الحاج بالنعمة والرفاهية فقال :
تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وجاء في ياقوت ص ١٠ ج ٦ . الطائف بعد الألف همزة في صورة الياء . ثم قام

في الطائف

كانت الليلة شامية شديدة البرد فقررنا المبيت بالطائف ومناذرتها صباحا

== وهو في الاقليم الثاني وعرضها ٢١ درجة وأنها سميت طائفةً بمخاطرها المبني حولها المحدث بها ، ثم ذكر كلاماً كثيراً من أغربه قوله : وهي مع هذا الاسم الفخم بليدة صغيرة على طرف واد وهي محتان أحدهما على هذا الجانب يقال لها طائف ثقيف ، والأخرى على هذا الجانب يقال لها الوهض والوادي بين ذلك تجري فيه مياه المداينم التي يدرغ فيها النديم يصرع الظير راحتها إذا صرت بها وببوتها لاطمة حرجة وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل ، فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان وأما زبيبها فيضرب المثل بحسنه .

أما كروم الطائف وأغصانه فعلى ما قال ينفوت إلى اليوم ليس لها مثيل في بلد من البلدان وبالأخص عنب وادي النيم أحد ضواحي الطائف وتوابعه ، لصكن المستعرب ما وصف به الطائف بأنه بليدة صغيرة وأنها محتان يقال لأحدهما الوهض والأخرى طائف ثقيف لأن الموضع الطبيعي المشاهد للسنطة يبعد تصور حصول ما ذكر فإن الوهض المعروف الآن قرية في أعلى منحدر وادي ورج ذات بساتين ومزارع تنقي من عين خاصة بها تبعد عن الطائف من الجهة الغربية بحوالى ساعة على الدابة ويضربا عنه وادي المشاة بمزارعه ومساكنه وبساتينه وما بعده من حزون وجبال على أن فياثل هذه الجهة نطاق اسم الطائف على الناحية جميعها ، أما المدينة فيقولون عنها السوقي ، والطائف لأن يقوم على تدمر الأرض فسيح الرقعة واقع شمال وغرب ميل الميل من وادي ورج المنحدر من جبال الشفا ، وما فيها من شعاب وأودية يقال أنها حوالى ستة وثلاثين وادياً كلها تصق مياهها إلى وادي ورج ، وهو معمور بالدور الفخمة والمساكن الجيدة وله الضواحي البيجة ، بما فيها من البساتين والأشجار الثمينة كالسلافة والسناء وحوايه وسير أو جبر أو الحارثية وغيرها وقد كانت المدينة إلى عهد قريب مسورة وأزيل عنها السور واتصلت بها معظم الضواحي المذكورة وعماراته في ازدياد ، إلا أنه في السور القريبة بسبب فة الأمطار شحت المياه فيه كثيراً وأخذت جادة في تلافى ذلك بالعزم على إقامة بعض السدود وأعمار البعض الآخر الذي لحته الخراب بطول الزمن فإذا تم ذلك وتم ما تعزمه أيضاً من تعبيد الطريق إليه من مكة فيكون للطائف مستقبل زاهر ويصبح من أجمل مدن الحجاز لطيب هوائه وجودة ثماره ومناخه ، ولدى ذلك يكون قريباً .

وذهب رفيقنا الدكتور عبد العليم الأتاسى طبيب أبها وزميله مأمور الصحة المتجول ليعضيا الليلة بإدارة صحة الطائف ، وأنفت أن أستضيف بعض من أعرف من أهالى الطائف وهى خلو من النزل والتنادق كاشر مدن الحجاز حينئذ ، فاتفقت ورفقت أن نأوى إلى إحدى مقاهيها ونصي بها الليلة كيفما اتفق ، واختارنا سائق السيارة قهوة ، بن صادق ، وماكدنا تأخذ مضاجعنا فيها حتى انتهالت علينا جيوش من البق تفسل من كل حديد وصوب تنازعنا الراحة لتعيش بدمائنا .

أمضيناها ليلة نائية لم تذق أجفاننا فيها لذة النوم ولم تفت أيدينا من الحرش حتى الصباح ، ولما تشتق نور النجر تبادرنا إلى تهيئة طعام للإفطار . ووافقنا الدكتور . وبعد أن تناولنا ما نيسر تما أحضرناه من طعام حزمنا أمتعتنا وما كنا أخرجنه من السيارة لترتقى به وتابعنا المسير فلما أن خرجنا من باب شهرا أحد أبواب سور الطائف وقف المائق لإشراف مأمور الشرطة على أوراقه حسب المعتاد ، فانتبه المأمور الصحن هذه الفرصة وانسل من السيارة إلى حيث لا نعلم .

ظلمنا منتظرين رجوعه زهاء الساعة . فكانت وقفة ثقتة ثقيلة لم يرد عنها فى الثقل إلا سحتته الباردة أثناء رجوعه واعتذاره لنا بأنه ذهب إلى السوق ليشتري بعض أنواع الخضار ليقدمه هدية لأمير تربة حيث يقصد الإقامة .

مرنا بعد رجوعه وكانت الشمس قد ارتفعت وتجاوز الوقت الساعة الرابعة . وكان اتجاهنا فى المسير شرقا فى طريق كثير الانواء والصخور الناتئة حتى حاذيتنا أسفل وادى .^(١) فانشعب عاينا الطريق خيلين وخشى الدائق

(١) وادى لينة على مشربة من الطائف فيه عدة بساتين على الآبار يزرع فيها الرمان بكثرة ورمانه على ما أعلم من أجود رمان الحجاز بل أجود رمان العالم لا يقاربه فى الجودة إلا رمان الجبل الأخضر بعمان من بلاد العرب ورمان باقليم حجتان .

الضلال إذ لم يسبق له ارتياد هذه الجهة . فتوقف عن السير ولكن تبين أنهما يتصلان أسفل وادى فمرنا ، ولاحظت أن مسيرنا دائماً في هبوط حتى وصلنا (تربة) ^(١) حوالي الساعة العاشرة بعد البصر والناضيوفاً على أميرها ورشيد الخود العبيلان ، وهو ربة نحيف الجسم بشوش الوجه .

في تربة

بعد أن تشبنا على مائدة الأمير جلسنا للسمر وجاء بعض من بدله مع الأمير من سكان تربة وانضموا فيه وقتاً غير طويل ، ثم فارقناهم لبعض منا في نخاس الكمارية والبعض في السيارة وانحازت أنا غرفة المأمور الصحي التي هيأها مائماً له لأن غايته في "سمر" منا كانت إلى تربة فقط .
وتربة واقعة على ربوة تعلو بساكن النخيل المصطلة أمامها من الشرق على حافة وادى .

وبقصر النخيل الممتد على وادى تربة كما ذكرنا أميرها بحوالي خمسين ألف نخلة ^(٢) وشرب أهل تربة من آبار عذبة المياه واعتمدوا في سقيها النخيل عليها وعلى ما يسيل به وادى في موسم المطر .

من أرض الرس . وهو معروف بهذا الاسم من العهد الجاهلي قال نعيان بن سيم :
جاءنا الخيل من اكناب فوج — ولاية نخوك — بالندومينا
ياقوت ص ٢٤٨ ج ٧ .

(١) جاء في معجم ياقوت ج ٢ ص ٣٧٤ قال أحمد بن محمد المحدثي : تربة وادى وبنيته هذه ثلاثة أودية ضخم مبيدة كل واحد منها علمون يوماً أسكنها في نجد وإعلاها في السراة ، ويقول صاحب كتاب في بلاد غير : أن طول وادى تربة نحو ١٢٠ كيلو متراً وهي مسالة لا تنق ومما ذكره ياقوت .

(٢) يقول صاحب كتاب الرحلة الثانية ص ٧٤ وص ١٢٠ أن النخيل الذي على وادى تربة وفي قراه أكثر من مائتي ألف نخلة . وأن في يسابنها من غير النخيل : يزرع المؤز واللبنون والتبغ والتعب وبعض الفواكه الأخرى ويزرع فيها البر والذرة والشعير ، وكأنه أنواع الخضر ، ومنظر هذا الوادى من أحسن =

والتربة سوق دائمة وافية برغائب أهلها وما يحتاجه سكان البادية التي
حوطها والسوق عبارة عن بضعة عشر دكانا كمن تحيط برحبة فسيحة يعرض
فيها ما يباع بالمزايدة من مواش وغيرها من العروض الأخرى^(١) .
وفي جانب من السوق مدخل خاص يجلس فيه باعة اللحوم وطريقتهم
في بيعها هو أن يقطع الحروف أو اللبس أجزءا أغلبها نصف الثمن .



• منظر لبعض بيوت تربة •

وأخال أن مناخ تربة أقرب إلى شدة الحرارة في الصيف فالدلة التي يداها
بها كانت دافئة لم تخرج فيها إلى سبلك الدخان رغم أنها في أرق الشتاء .
وبيوتها من اللبن لا يبعد معظمها "مطابقين" ولا مراحيض بها بناأ .
وهي متشاربة البناء وأزقتها ضيقة كثيرة الأعمدة والتعريض

== المناظر وبه كثير من حجر الأقل وغيره وإن بالوانتي تيرا جلياً دائماً كبيراً جداً
وأظنه يعني عين ماء • والنخلة في هذا الوادي تروى ثمرتها ثمانية قناطير على الأقل .

(١) ذكر لنا الأمير أثناء الحديث معه أن في تربة بضعة من التجار من غير
أهلها أثروا ثراء فاحشاً وتمسكوا الكثير من ثمنها فأنهم يتحلبون حاجة أرباب
النخيل والزراع فيبيعونهم أشياء من العروض نسبة بأرباح فاحشة يعجز المزارع ==

وسكان القرية لا يتجاوزون الألفين على أكثر تقدير معظمهم من قبيلة
البقوم^(٥).

حادث تاريخي

وقد أصبح اسم قرية أكثر شهرة وحرارة على الألسنة أبان توتر العلاقات
بين شرفاء مكة وأمراء نجد ، فاتها والخرمه كانتا ملحقتين بإمارة مكة وكان آل
سعود يطمحون في الاستيلاء عليهما ويدعون أنهما لثديتان بجبل حصن على
مقربة من قرية ومن رأى حصنا فقد أتهد^(٦) . وفي أبان الثورة العربية حصلت
عن تسديدها تذكير العملية نفسها حتى يعظم الدين ويعجز عجزاً تاماً عن تسديده
فيستحذون على ما لديه من ملك في تسديد ما أمسى لهم من ديون وهي طريقة
بالغة الضرر تفسد على الناس أحوالهم .

(١) يقول صاحب كتاب : قلب جزيرة العرب ، ص ١٣١ : أن البقوم أصلهم
من الأزد إلا أن قبايلهم اختلفت بعثية وجلالانها هي عليه ، وقد أكد ذلك في
كتابه في بلاد عسير ، ص ٢٩ وذكر أنهم إلى عتيبة أميل وأقرب وقسمهم إلى
خمس بدائد - المرازيق - المودكة - الكدبة - الرواجح - الفواصل .

وجاء في كتاب صحيح الأخبار ج ٤ ص ٢١٧ و ٢١٨ عند الكلام على حصن
قول المؤلف : والذي أعني أنه جبل لبني هلال ابن عامر وبعد رحيلهم من نجد
استولت عليه قبائل البقوم وقد ذكرنا في غير هذا المكان أن سبب تسميتهم بالبقوم
لأن مزاعمهم من باقم وهم بعض من الأزد من بني عمرو بن حوالة . . .

(٢) بما قاله ياقوت في معجمه ج ٣ ص ٢٩٥ عن حصن هذه أقوالها : حصن
بالتحريك وهو في اللغة العاج وهو جبل بأعلى نجد وهو أول حدود نجد وفي المثل
: أنجد من رأي حصناً . . .

وقال صاحب كتاب الرحلة الثانية ص ٧٥ : وبينما نحن سائرون إذ رأينا جبل
حصن المشهور في التواريخ العربية . وهو يبعد عن الطريق العمومي من جهة اليمن ستة
آلاف متر تقريباً : مساحة هذا الجبل من الشرق إلى الغرب عشرة كيلو متراً ومن
الشمال إلى الجنوب خمسة عشر كيلو متراً وفي سطحه مياه كثيرة وأشجار عظيمة ،
وهي ملك لقبائل البقوم وعندما ينشب الحرب بينهم وبين عتيبة أو سبيع
أو ابن الحارث يقيمون بهذا الجبل لأنه حصين ويتركون مواشيهم وإبلهم ترعى
في سطحه حتى تنتهي الحرب فهو بمثابة حصن لهم .

مشادة بين أمير الحرمه الشريف خالد بن لؤى وبين الشريف عبد الله بن الحسين فقد كان المذكور من جملة رؤساء الجند في جيش الشريف عبد الله الذى كان يعسكر إذ ذاك حول المدينة المنورة ، ورغم أنه كان من الشرفاء العبادلة أبناء عم الشريف الأقربين لم يتجاوز عماله من أهائه وتوصل إلى ترك المعسكر ، ولحق بالحرمه واتصل بالسعوديين وأخذ يناوى أبناء عمه وقطع ما كان يصل إلى الحجاز من تلك الجهات من الميرة والزكاة .

وقد شجعه ترحيب السعوديين به على الإيغال فى العداء والتمرد وكانت الدعوة الحديثة التى قامت فى نجد - أحياء لماسلف من الدعوة الدينية الإصلاحية التى ظهرت فيه فى القرن الثانى عشر الهجرى - قد تنفست فى معظم قبائل تلك الجهة وكنت . المدينة المنورة^(١) منهم مما زادت معه الأمور سوءا بالنسبة لشرفاء مكة ونواذهم . فاعتزموا الضرب على يد الأمير خالد وقطع دابر ما أوجده من الافساد عليهم . وكان قد تم لهم الاستيلاء على المدينة المنورة وحيازة ما فيها من أسلحة وعتاد للجيش التركى الذى صابر وثبت فى الدفاع عن المدينة طول أيام الحرب العامة إلى أن عقدت الهدنة بين الحكومة العثمانية وحكومات الحلفاء وكان من جملة شروطها التخلي عن سائر البلاد العربية وتركها لأهلها .

سار الأمير عبد الله بما لديه من جموع البدو وقبول الحكومة التركية ومعظم ما استولوا عليه من المدافع والرشاشات والعتاد الحربى متجهاً صوب الحرمه . وقدر جيشه هذا على ما أذكر نحو اى عشرة آلاف جندي ولا يخلو هذا التقدير من المبالغة فيه .

(١) جاء فى كتاب «فى بلاد عسير» ص ٣٤ : عاد خالد من عند الأشراف إلى دبرته فوجد الخلاف على أئده بين أنصار انقشطين من جماعته غير أنه رأى الكفة راجحة بجانب أهل نجد فترأس الحركة الجديدة وانضم إليها وجاهر بها ثم سافر إلى الرياض وأعلن خضوعه وولاه الخ .

وفي أثناء طريقه إلى الحرم أشار عليه بعض المائتين حوله من قبائل تلك
الجهة أن يعرج على تربة أرولاء بعد قتال ضيف لم يتجاوز بضع ساعات استولى
على تربة . وما كاد يستقر به يشه في تربة حتى دهم في إحدى الليالي هجوم من
بعض العشائر الضاربة حولها وشرادهم من التجديدين كانت أنت لاستطلاع خبر
هذه الحملة التي سيرها الشرفاء .

كان الأمير عبد الله عظيم الاغترار بهيشه ومعدات الحربية فلم يتخذ من
الحيطة والحذر ما كان يجب عليه أن يتخذه فاعاد عليه ضعفاً في الشجادة .

وكانت ليلة الهجوم مظلمة حلكة^(١) والجيوش ورؤساؤه في منتهى التره
فلقته من الذعر والخلع ما جعله يضرب بعضه البعض وأخذت المدافع
والرشاشات تمسد ما أمامها بلا رشد ولا تمييز وفر الأمير وبعض من معه
من رؤساء الجند إلى الخائف . ولم تشرق شمس اليوم التالي للهجوم حتى لم يبق
من ذلك الجيش المرمم سوى جمث القتلى وأحلامهم .

من هذه الموقعة تضعف قوة الشرفاء المعنوية والحريسة وتتناقص
نفوذهم من تلك الجهات تماماً وازدادت آمال التجديدين ونشطوا في منارشة
حكومة الشرفاء إلى أن تم لهم ما تم من الاستيلاء على الحجاز جميعه بعد بضع
سنوات من الخادنة^(٢) .

وفي أثناء وجودنا بتربة أشار لنا بعض أهلها إلى مكان تلك الواقعة وذكر
أن عظام الموتى وجماجمهم لازالت باقية بشدها من يمر بتلك الجهة .

(١) كان الهجوم في الحشر الأول من شهر شعبان سنة ١٣٣٧ وباتحاد
في ليلة الخميس والعشرين منه .

(٢) بسط الأستاذ نواز بك حمزة في كتابه « في بلاد عسير » واقعة تربة بسطاً
وأثراً دقيقاً معدداً ما سببها من وقائع ومناوشات بين أنصار الدعوة السلفية
الجديدة وبين قوى الشرفاء التي كانت تقصد أدبهم وإعادة النفوذ إليهم فمن شاء
ذلك رجع إليه في الفصل الرابع تحت عنوان تربة والحرمه صفحة ٣٠ وما بعدها .

وفي صباح يوم الأربعاء ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٥٩ بعد أن تناولنا طعام الإفطار على مأدعة الأمير وكان ، حشاني ، وهو عظيم أشبه بالقطائف إلا أنها كانت في حجم الرمال مسداة بعسل النحل بدلاً من السكر . ودعنا مضيقنا شاكرين حسن تداريته وسرنا متجيزين إلى وادي بيشة وبعد سير نصف ساعة في أرض منبسطة اتصلنا بالطريق العام المتجه رأساً من الطائف إلى بيشة ومازلنا سائرين إلى أن وصلنا حافة وادي تربة وميل السيل إليها فتوقف السائق قليلاً ريثما طم ما أحدثته السيول من أخطار لا يتسنى معها السير في الوادي .

وبعد أن قطعنا الوادي كان سيرنا في أرض رخوة منبسطة حوالي ربع ساعة اتصلنا بعدها بالحجارة وسرنا فيها حوالي ساعة ثم اتينا في نهايتها على غدير ماء ينصب من سلسلة جبال قنوقر شعباً يسمى « كمر الماء » (١).

والجدة أرض صلبة مبنية على سطحها حجارة سوداء مأخوذة من مختلفه الحجورم تخلقها تحت عشب جيد المربعي ونجر الصان الذي ينشأ ويرمي في الحرار (٢) منفضل تلك أهل مكة على غيره من لحوم الثمن الأخرى .

(١) وادي كراء معروف قديماً بهذا الاسم فقد ذكره ياقوت فقال كراء بالفتح والماء ولا أعرفه في القاموس ثمة ببشيرة قال ثمة بالطائف وقيل وادي بدو بمسيلة في تربة . والصحيح لما ذكره ياقوت هو الأخير من الأقوال وقد أكد ذلك العلامة الشيخ محمد بن بلعيد في كتابه تصحيح الزجوار ص ٨٨ و ٨٩ ج ٢ وقال : إنه قد بحث في هذا العبد ونمر من فيه تحول بسرعة ، في الماء ، ولم تشهد الخيل حين مرورنا وأغال أن ذلك جرى أسفل الوادي بعيداً عن القنوقر والطريق على أنه كان ذريعاً معروفاً بزرع الذخيل فقد قال اليزكري في معجم ما استعجم ص ٨٧٥ : والضباب أميرات متعالية قريب من الطائف ولحم واد يقال له كراء وهو واد غيب في غياه دار بني هلال يفلح الحرة دونه منها أربعة أميال ووراءه مائلاً وهو كثير الخيل جداً ليس بينه وبين الطائف إلا ليلتان بطوله حاج الأمن وأنه لبني زهير من الضباب .

(٢) الحرار على ماقله علماء طبقات الأرض ، الجوجيا ، مقدوفات بركانية أو سوانل بركانية تمهدت ولا يعلم بالضبط كيفية تكونها ، قلب جزيرة العرب ، —

الى وادى رنيه

بعد أن تزودنا بحاجتنا من ماء الندير سرنا في أرض جرداء وربي صخرية
لا نبات عليها ولعابها قسم من الحرة ، مررنا أثناءها بمنخفض من الأرض
كثير شجر الشوك من السَّلم والسمر يطلق عليه أهل تلك الجهة ، روضة
بن غنام ، وحبك بأشجار الشوك أن نسمي روضة .

وفي الساعة الثامنة والنصف بعد الظهر وصلنا (وادي رنيه) (١) ونزلنا

والحرار كثيرة في الجزيرة العربية معظمها على ما ذكره ياقوت في الجبل
الشالية الغربية منها ، وقد ذكر منها جملة وعرفنا وذكر أسماء بعضها وجاء في معجمه
ص ٣٥٩ ج ٢ حرة عسعر : العسعر اسم الذئب عسعر بالليل أى يطوف وهي
حرة معروفة قال العامدي :

بين الرقاق وبين حرة عسعر طاف الخيال وعصبي بالأمس

فلعل هذه الحرة هي حرة عسعر فان ديار غامد قريبة منها .

ووجدت في مصور جغرافي ملحق بكتاب العرب تأليف ب. مورزا الألمانى

رسم حرة سماها حرة نوبت *Harat Nowat* جاء موقعها بين وادى تربة
ووادى رنيه شرق جبال الحجاز .

وفي مطالعتى أخيراً لكتاب في بلاد عسير ، وجدته في صفحة ٤ وعند وصفه الطريق
سبها إلى قبيلة سبيع فتان (والمسافر من الحرة لا يبطأ أرض حرة سبيع المشهورة)

(١) قال صاحب كتاب الرحلة اليمنية ص ٧٣ : ونزلنا أعلى وادى رنيه ،

وهو الرحلة العاشرة من أهدا ، وهذه الديار لقبائل غامد أهل المشرق ، يعنى بدو
قبيلة غامد ، وقبيلة غامد متفرقة بعضهم قاطن هذه الديار والقسم الأعظم منهم قاطن
بجبل الحجاز وبعضهم قاطن تهامة التى لنامد في الجهة الغربية من جبل الحجاز أما
وادى رنيه المذكور فان الجهة التى لنامد فيها خالية من النخل وفي أسفل الوادى
قرى لقبائل سبيع المشهورة بقرى رنيه وبهذا الوادى مائة ألف نخلة وقراد مبنية
باللبن من ضفة إلى طبقتين فيها أسواق دائمة . وقال صاحب كتاب في بلاد عسير ،
يتألف وادى رنيه من مجموعة من الشعبان تنشأ في بلاد غامد في السراة الحجازية
وهو أحد الأودية الستة التى ذكرناها في الفصل الأول ويتجه من الجنوب الغربى
إلى الشمال الشرقى وكان يظن أنه ينتهى في وادى الدواسر والواقع أنه ينتهى في :—

تحت ظل دوحه من شجر الأثل وتناولنا طعام الغداء وشربنا الشاي ثم صلينا العصر والظهر ، وسرنا وبعد ساعتين تقريباً وفي نحو الساعة الحادية عشر والنصف وصلنا قرية الروشن . إحدى قرى وادى يشة^(١) ونزلنا ضيوفاً على أميرها .

عرق الدواسر ، ولا يتصل بالوادي نفسه . وتقوم على اطراف الوادى المزارع وحدائق النخل والنصور والقرى إلى مسافات بعيدة . ثم عدد قرى وادى رنية ومياعه وذكر أن أول العمران هو (المملح) ثم سمي حوالي ثلاث عشرة قرية إلى أن قال : وميشة أهل رنية بسيطة هادئة وهم زراع بالطبع وأهم زراعتهم النخل والحبوب وهم . بعد . أهل ماسية وجمان وعندهم ذوق في صناعة النسيج الصوفى الخاص بالأخرجة والحيانات ص ٤٨ - ٤٩

(١) قال ياقوت في معجمه ج ٢ ص ٢٢٤ : وعن أبي زياد خير ديار بني سلول يشة وهو واد يصب سله من الحجاز حجاز الطائف ثم ينصب في نود حتى يتم في بلاد عسقل وفي يشة يطلون من الناس كثيرة من خشبهم وهلال وسواء بن عامر ابن صعصعة بن سلول وعسقل والغصبات وفربش . وهم بنو هاشم لهم العمل تذكره في موضعه ، ويشة من عمل مكة كما يلى اليمن من مكة على خبة سراحل وبها من النخل والفيل الشيء الكثير ، وفي وادى يشة موضع مشجر كثير الأسد . لا أض بها من الأسد شيئاً ، قال السمرى .

وابنه ليل بالفرين سلمت على ودوني طخفة ورجامها
فان التي أهدت على ناي دارها سلاماً لمردود عليها سلامها
عديد الحصى والأثل من بطن يشة وضرفاتها ما دام فيها حمامها

وذكر صاحب كتاب الرحلة النجاشية ص ٦٩ و ٧٠ ما خلاسته : أن وادى يشة واد عظيم منه (٢٥) وادياً من الأودية الأخرى وكلها ينصب ماؤها من جبل الحجاز وأن ما يزرع في وادى يشة من الحبوب . البر والذرة والشعير وأنواع الخضار ، وأن الليمون رخيص فيه للغاية فالما تخبه بقرش ولأهله عناية تامة زائدة بالنخل وغرسه وأنه يبلغ نصف مليون نخة من أجود أنواع النخل ، وأن أنواع الرطب فيه تزيد على الخمسين نوعاً وأن البلح رخيص فيه للغاية فالقطار منه لا يساوى =

وكانت مقابلة له وهو جالس في فناء دار الإمارة على مصطبة من اللين وحوله حديداته من الخشب ، وذلك بجلسه في عصر كل يوم وبعد أن حينئذ وجبنا داخل خاوي غرفة "الاستقبال" أو مجلس الإمارة ، وكانت غرفة مستطيلة في طبقة أرضية من دار كبيرة ، والأكبر مديد القامة أسير اللون يختلف عن زميله أمير قرية من حيث الثناء ، فو كثير التحدث عن أمره في ضبط مطلقة إمارته وحسن إدارته فأمرنا شاك ذلك

قرية الروشن

وقرية الروشن هي مقر إمارة القبائل الصنارية على وادي بيشة ، وفيها يقوم سوق يوم الأربعاء غير أن السوق الأسبوعي يوم الخميس في قرية أخرى لا تبعد من الروشن بأكثر من ربع ساعة على التمدد قسماً ، تمران ، وفي القرية من المؤسسات الحكومية غير الإمارة محكمة شرعية ومأمور المالية ومركز للبرق اللاسلكي يقيم فيه موظف خاص بالبريد ، وبها مدرسة أولية طلبتها نحو مئتين طالباً وفيها مستودع للبريد وما يلزم السيارات من غير ذلك .

وهي ذات أهمية في المواصلات والاتصال بأجزاء المملكة السعودية ، ويوئسها من اللين لا تندر الثنائيتين غالباً ، بل أكثرها من طابق واحد حولها كثير من مساكن النجيل وغيره من النادر .

غير خمسة عشر فرساً (هذه أسعار لم تعد اليوم كما قاله) ويقول أن حداث الخيل تحف الوادي من جانبيه على مسافة يومين بالهجين وأن به غابات كثيرة جداً .



مظهر بعض بيوت قرية الوشن وحوضا نخيل النخيل وبساتينه .

وادی يشه

ووادى يشه واد عظيم تنتثر عايه عدة قرى^(١) ، ووزارع من النخيل ، ذكر

(١) جاء في كتاب (في بلاد عسير) : أن وادى يشه يبدأ من مرارة عبدة ورفيدة وكانت تقوم عند مبدئه قرية عظيمة لم يبق منها إلا اطلال وخرائب هي بلدة (جوشن) الوارد ذكرها في كثير من كتب العرب . ثم ينحدر ماراً ببلاد قحطان حيث يكون اسمه يشه بن سالم أحد زعماء قحطان . ثم يدخل ديرة قبيلة شران ويمر من مكان تقوم على أطرافه قرية شران . ومنها خميس مشيط . وبعد أن يجتازها تصب فيه أودية فرعية غير أنها غاية في الكبر والامية . منها وادى تندحة ووادى أبها المسمى « خبيبي » وبعد أن يجتاز بلاد شران عند المكان المسمى « واعر » وهو المعتبر في الواقع أول وادى يشه يسمى « يشه النخل » أو « يشه عبطان » المعروفة في كتب العرب . وانه - اعتباراً من واعر في أعلى وادى يشه النخل إلى الجنية في أسفله وهي منتهى العمران والنخيل - تقوم على أطراف الوادى احدى وعشرون قرية يتراوح عدد سكانها بين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً . وإن الوادى يمتد في سيره إلى أن يلتقي بوادى رنية في « رغو » وبغوران معاً في المجل ، عند طاعن . وأن وادى يشه اعتباراً من واعر إلى الجنية مسافة يومين ونصف على المطية =

لنا الأمير أن الخراصين يتفرق مسيرهم في خرص ثماره للزكاة ثلاثة شهور وأنه ثاب لنخيل الأحساء في السكثرة ، وأنه لا يقل عن ثمانمائة ألف نخلة ، وفي بدء ما استقر بنا المقام قدم لنا طبق من التمر للذيذ الطعم شبي المذاق ، وتمر يشبه وتربة مشهور بالجودة عند أهل مكة ، ويوجد في وادي يشه الكثير من أنواع التمر وأشكاله سمي لنا بعض أهل قرية الروشن تسعة منها وهي :

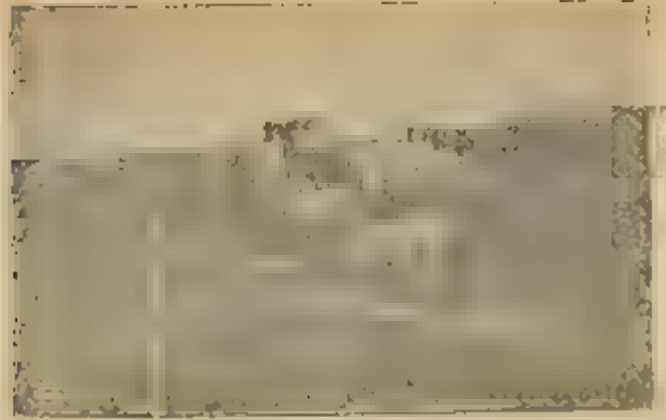
- ١ - (المكيزي) وهذا أحسنها بلحاً ودرضاً وتمرأ ، ٢ - (الصفري)
 - ٣ - (عتيق) أي عتيق ٤ - (الحياوة) ٥ - (الشكلى)
 - ٦ - (اللحق) ٧ - (الجري) ٨ - (البرناوى) ٩ - (الحضرى)
- ولسكان يشه عناية تامة بزراعة النخيل وبراعة فائقة في تربيته وإغائه أحسن إغناء (١) .

وسكان قرية الروشن خليط من مختلف قبائل الوادي (٢) معظمهم من

أنى ما يزيد على مائة كيلو متر ، وأن المسافة من قرية الروشن إلى يشه إلى خمسين ميلاً ما تسان وحسون كيلو مترأ ومن الروشن للجنينة تزيد عن خمسين كيلو مترأ ، وبذلك يكون طول الوادي من منبعه إلى مصبه (١٥٠) كيلو مترأ في العمران ، وربما امتد أكثر من مائة كيلو مترأ أخرى في الرمال ، فيكون مجموع طوله في هذه الحالة أكثر من (٤٥٠) كيلو مترأ وهو طول عظيم . ثم ذكر روافد وادي يشه وقال : إنها أربعة أودية هي وادي (تراج) وادي ، وادي ، وادي (هراجل) وادي (بطمكة) أم من ٥٤ وما بعدها .

(١) جاء في تقرير اللجنة الأمريكية الزراعية التي جاءت المملكة لدراس حالتها الزراعية أن التمور في هذه المنطقة من نوع جيد ، وأن العناية بها على خير ما يرام ، وأنهم شهدوا بها شجرة ليمون شعيرة كانت أضخم شجرة ليمون شهدها في عموم المملكة مما يدل على صلاحية تموه بها أم من ١٧٢ ضبع مطبوعة مصر .

(٢) جاء في كتاب في (بلاد عسير) أن عدد القبائل المتحالفة الساكنة في وادي يشه ست قبائل هي قبيلة (أكلب) و (شران) و (بلنحوت) و (حشيم) =



مناظر أخرى من منطقة الرويش.

بني سنول ، وبعضهم من بني معاوية . وأشتراد من غامد وبنو أهالي نجد يتاجرون فيها . فهي من القرى المهمة في خطوط الاتجار مع القبائل الضاربة على الوادي

إلى الدرب : درب الخميس

بعد أن قمنا على مائدة الأمير - وكان الطعام على من - من السحابة والكثرة عما صنع سابقه أمير تربة - اعزنا المسير ومبارحة القرية فطلب إلينا الأمير أن نحمل له ثمانى صفائح من الفخر وأحد خدوينه وقبل ذلك طلب إلينا ما مورد المالية أن نحمل له موظفًا وأربع صفائح من الفخر أيضًا لميرمالية أيها^(١) فنقضنا ترتيب أمتتنا في السيارة وأعدناه على ما اقتضاه الوضع الجديد من الواقع

- و (بالقرآن) و (شمران) و عندنا بطون كل قبيلة من القبائل المذكورة وأخذنا فن شاء ، الميرد رجع إليه في ص ٥٩ وما بعدها .

(١) هذا وما شاكله من أضر ما يتعرض له المسافرين بالسيارة في هذه الطرق فإن اخلل المذكور - متضافاً إلى أحوالنا - إقبال للسيارة وإعياء لها . ورغم ما تبجح به السائق وأبانه من صموده ذلك وتعرض السيارة معه لبعض الخطر ، أني الأمير إلا أن يكون ما أراد . ولم يكن بدمي اختار الرضا وحمل السائق على الموافقة والرضوخ

واستأنفنا السير ، وكان ذلك في الساعة الثانية والنصف مساءً . وبعد أن سرنا حوالى ثلاث ساعات في صعود بعد أن كان قبل ذلك في ما يقارب الاستواء أو الجبوط منذ أن فارقنا الهضائف . بدت وعورة المسالك وتلويها لما أدى بنا إلى الضلال عمدة مرات ، لأن السائق لم يسبق له المسير في هذه الجهة فرأينا التوقف عن السير والبيات إلى الصباح .

كان البرء قارساً تلك الليلة ، فلم يطرر الكرى أجفاننا إلى أن أسفر الصبح . فسارع بعض الرفاق وجمع مقداراً من الخطب أوقدناه للتدفئة وإسخان مامعنا من طعام أفضنا فيه . وكان أنشط الرفاق وأكثرهم حملاً للحطب الدكتور عبد المليم .

وفي الساعة الواحدة بعد شروق الشمس استأنفنا السير فبعد مرة ونهبط أخرى في طريق كثير الانواء والتعاريج بين فجاج من الجبال حتى أشرقنا في الساعة السادسة على قرية تدعى « خيبر »^(١) وهي قرية صغيرة في واد يسمى باسمها أو سميت هي باسمه . حوفاً بعض نخيلات ومزارع على الآبار فسقينا من مائها وسرنا في طريق جبلي إلى الساعة العاشرة حاذين فيها قرية صغيرة أخرى تسمى « تشدحة »^(٢) بأسم الوادى التى هى عليه فاجزناها ولم نقف .

(١) ذكر صاحب كتاب (في بلاد عسير) صفحة ٦٩ أن قرى وادى خير ثلاث عشرة قرية أهم زراعتها الحنطة والذرة والشعير والتخيل وأنه لم يشهد بعد قرية خير هذه الزرع التخيل في اتجاهه إلى عسير وكأنها الحد الفاصل لزراعته (مكان نموه).

(٢) جاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) ص ١١٨ عند الكلام على جرش وأحوازها : ثم تندح وهى العين من أودية جرش وفيها أعناب وآبار وساكنته بنو أسامة من الأزدي رأيت بعضهم يجذب إلى شيران . وجاء في كتاب (في بلاد عسير) ص ٧١ أن وادى تندح من روافد وادى ييشه حينما يكون اسمه وادى شيران . أى علو الوادى . وأن طولها من منبعه إلى مصبه ثمانون كيلو متراً وأن به منافع بالماء لا تنقطع أو تجف إلا في أشد السنين قحطاً وأن القرى التى عليه أربع عشرة قرية .

خميس مشيط

وفي حوالي الساعة الحادية عشر والنصف ، وصلنا قرية خميس مشيط أو خميس
شهران ، وهي بنا ضيوفاً على الشيخ عبد الوهاب أبي ملحمة ، وأول من التقينا
به ابنه عبد العزيز — فتي لم يتجاوز المائة عشر في ريعان من الصبا والشباب
فقد كان والده في صحة الطيب فؤاد أبو غزالة الذي قدم من أبها لإجراء
الاحتياطات الصحية مع الحاج الباقى المار في طريقه إلى مكة .

اقتادنا الفتي إلى غرفة استقبال الضيوف وما إن استقر بنا المقام حتى قدم
والده الشيخ وهو كل قصير القامة ، دقيق الأطراف شوش الوجه ، خفيف
الحركة ، فيه نشاط ، وعلى محباه طلاقة وإنباس وبعد السلام والتعارف ذكر لي أن
الاستاذ عبد الملك الطرabelسي مدير مدرسة أبها ضيف عنده وأنه أرسل في طلبه .
وبعد أن صلينا المغرب دعانا للمشاء فقمنا إلى الحجرة التي نصبت فيها
المائدة ، فإذا خوان مربع مترع بصنوف من الأطعمة ، بتوسطها خروف كامل
محمّر بالسمن وقد دل كثرة ما على الخوان من أنواع الطعام على سماحة الرجل
وبذخه وتمكّنه مما شاء من دنياه . وعندما تهيأنا للطعام وأخذ كل منا مجلسه
على المائدة ، أقفل علينا الباب وتركنا وحدنا ، وهي عادة عند قبائل عسير
وشهران تمتد من المبالغة في إكرام الضيف واعطائه الحرية في الأكل .

ومعظم مباني قرية خميس أو الخميس وتسمى الدرب أيضاً من اللبن ، تتكون
من طبقتين أو ثلاث أحياناً ، تشبه مباني أبها التي مياقي وصفها إلا أنها خالية
من شيء يسمى الرقف يوجد في كثير من مباني أبها . وتسمى بالخميس لقيام
السوق فيها كل يوم خميس . وهي تنسب إلى قبائل شهران فيقال خميس شهران
وتارة إلى أميرهم ابن مشيط فيقال خميس مشيط .

والقرية سوق واسعة لتصير رفاً تقو والغلال التي تنتجها أكثر الوديان



• منظر لبعض بيوت قرية الخيس •

المجاورة ، وهي قائمة على طرف وادى شهران فى فسيح من الأرض شهدنا عليه صخور أحمر متعصب ، فى بعضها تجويف كالمنازل ذكرتها بما يشاهد المرء على سطحة الهدى وبى المكان المسوى يندف اللوز على مقربة من الطائف وفى تجوالتنا بين هذه الصحور فى فترة من صباح يوم السفر شهدنا على صفحة إحداها تخاطيط تشبه بعض الكلمات والحروف بصورة مشوشة لم ننبين منها شيئاً . ومناخ القرية بارد رطب وقد أحسننا ليلة بتنا فيها ببرد شديد كان الواحد منا فى صديحتها إذا ما تكلم تجسد البخار الخارج من فيه . وترتفع عن سطح البحر بألف وستاية متراً على ما قيل لنا^(١) فهى تماثل

(١) من ذكر لنا من أهلها مقدار ارتفاع قرية الخيس عن سطح البحر يستدل قوله إلى المستر توتنيل الأمريكى أثناء مروره للبحث والتقصيب وذكرى غيره أن ارتفاعها ١٨٠٠ متراً . وقد جاء فى كتاب (فى بلاد عسير) ص ٧٦ أن ارتفاع قرية خيس عن سطح البحر ٧٣٠٠ قدماً . وجاء فى خريطة من وضع المستر فلي أو الشيخ عبد الله فلي أن ارتفاعها ٢٠٠٠ متراً . وكل تمثيل لو كان معنى مقياس أحقق به أصح الأقوال .

الطائف في الارتفاع وتختلف عنه بالزخوة . وما شربناه من الماء في قرية الخنيس كان عذبا فراتا .

وادي شهران وقبيلة شهران

وادي شهران واد عظيم يمتد عليه الكثير من قرى قبيلة شهران وهي قبيلة وافرة العدد تنتشر منازلها في عديد من الأودية^(١) .

والشيخ عبد الوهاب أبو ماجة هو اليوم من أعيان قرية الخنيس وأكثرهم شهرة . لكرمه ولما حازه من المكانة والرعاية من الحكومة السعودية بما قدمه من خدمات جليلة وموازية أثناء محاولتها الاستيلاء على جبل عسير كافتته عليها بتفصيله رئيساً لأموال مقاطعة عسير وملحقاتها .

وفي صباح يوم الجمعة ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٥٩ . ولأربع أيام خلت من مبارحتنا مكة بعد أن تناولنا طعام الإفطار على مائدة مضيفنا . تهيأنا للسفر إلى أبها^(٢) .

(١) جاء في كتاب (سائلك المذهب) لتسويد ص ٧٣ قوله : شهران بطن من خنعم بن أنمار ، قال أبو عبيدة : في ناهس وشهران اشرف والعدد وقال البستي ومنهم ذو الألف الذي قاد خيل خنعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعند صاحب كتاب الرحلة الحجازية أربعة أودية مروا عليها فنخص قبائل شهران وهي : المسيرق ، ودالأراك ، و . خضراء ، و . الفضايا ، ثم قال : ونزلنا المرحلة السادسة بشهران أيضا ومن هذه المرحلة نهضنا ووصلنا بيثه ، وجاء في القاموس المحيط ج ١ مادة الشهرة صفحة ٦٨ قوله : وشهران بن عفير من قبيلة من خنعم ، ويحد قبائل شهران - على ما أعلمه ترقا - سبيع . وغرباً قبائل عسير ومن جاورها شمالا . وشمالا تمتد منازلهم إلى قسم من وادي بيثه وبعضهم يسكن قرية الروشن . وجنوباً قبيلة قططان وجنوباً بغرب طرف من منازل عسير .

(٢) ذكر صاحب كتاب (في بلاد عسير) صفحة ٩٦ مخلصته : أن المسافة من -

وبسبب البرد تعطل محرك السيارة وظل السائق في معالجته وإصلاحه
صحوة اليوم ، ثم استأنفنا السير في جبل وعمر المسلك كانت السيارة تترنح فيه
ترنح الشارب الثمل لما كنا نمسك معه قلوبنا خشية أن تنقلب السيارة
ولكن الله سلم .

في أمها

وفي الساعة الخامسة والنصف - وقبل صلاة الجمعة - وصلنا أمها من فورنا
كما تقضى بذلك التقاليد التي قد تسمى بمناختها - كما قيل لنا - قصدنا مقابلة
أمير أمها وعموم بلاد عسير الأمير تركي السديري فلما بالسيارة إلى دار
الأمارة ، وفي ردهتها صادفنا مواظنا التيسع صالح باخطمه مدير شرطة أمها
إذ ذلك غيانا وقابلنا مقابلة ودية لا يزال طيب أثرها في نفوسنا . وبعد السؤال
والاستفسار أُلح في أن يكون غداؤنا عنده ذلك اليوم ، ثم صحبنا لمواجهة
الأمير .

بعد أن ارتقينا بضع خرج من سلم الدار مال بنا إلى هو كبير في غاية
الطول كان الأمير جالسا في إحدى زواياه .

وهو متوسط القامة في وجهه أثر جدري غير واضح ، وافر الأبهة كثير
الحشم والاتباع ، وبعد أن حيناه وحيانا على المراسم المعتادة ودارت علينا
فناجيل القهوة العربية وبلغنا منها الكفاية - استأذناه وانصرفنا وجهتنا المنزل
الذي اختاره ودلنا عليه الأستاذ عبد المالك ، ونحن في خميس شهران ،
وصلناه وحططنا فيه أمتعتنا ، واعتزنا الذهاب لإجابة دعوة المواطن

= سوق الخيس إلى سوق أمها تبلغ ٣٥ كيلو مترا تقطعه السيارة في ساعة وبضع
دقائق . نظرا لوعودة بعض أقسامه وأن الذي افتتح هذا الطريق هو محيي الدين باشا
آخر متصرف لترك في عسير لسير المركبات الحربية وغيرها .

الكريم الشيخ صالح باخطمه . وبينما نحن في طريقنا إلى ذلك تعرض لنا رسول الأمير يدعونا للمشاركة في العشاء على المائدة التي أعدها لأعيان ورؤساء عصبة الحجاج اليمنيين الذين دعاهم للضيافة حين مرورهم من قرية خميس . ولم نر بداً من الجمع بين الدعوتين فتعدينا لدى الشيخ صالح . ثم سرنا من هناك لإجابة دعوة الأمير وبمقدار أن تناولنا القهوة في بهو قصر الإمارة سابق الذكر . استهضنا إلى الحجرة التي أعدت فيها المائدة . وكانت خواناً مستطيلاً مكتظاً بصوف الأظعمة تتوسط طباق الميثونة فيه خمس صحائف مترعة بالأرز على كل منها خروف كامل محمر بالسمن والأطباق مترعة بجميعها مما لوحظ معه المبالغة في إكرام الضيوف اليمنيين الذين كانوا حوالى الثلاثين شخصاً .

وبعد أن قضينا واجب المزاكاة قمنا إلى مجلس الأمير الخاص وكان مجلساً حسن الرياش تتوسطه منصة عليها محتلف أنواع العطر والطبوق الحديثة . كلونيات ، تناولنا فيه القهوة وعقمها التبخر بالعود عدة مرات . والتبخر بالعود في عرف أهل نجد إيدان بالانصراف فانصرفنا .

عدنا إلى المنزل . وكان على جانب من النظافة والانسجام وحسن الترتيب رغم أنه لأرملة وأم لثلاثة من الصبية الصغار لا يخلون من عيث وعبث . حمدنا لها وشكرنا للأستاذ عيد المالك دلالتنا عليه . ولو أننا نزلنا في بناية المدرسة كسابق العزم لكانت ، الحالة طين ، فالمدرسة لا تمروشات فيها سوى الحصر والبرد شديد وهي تعطل شتاء فلا عناية بأبوابها ونوافذها حتى تقينا منه .

مدينة أبها

ومدينة أبها^(١) كائنة في الجانب الشرق من جبل عسير في وهدنة من

(١) جاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني عند الكلام على جرش وأحوازها في صفحة ١١٨ طبع ليدن : ثم يواظن جرش من شاميهما عسير قبائل من عذريين

حزون بين جبال جرداء لا تختلف كثيراً عن أمثال ما شهدناه من الجبال منذ
برحنا الطائف إلى أن وصلنا عنبس مشيط . وفي وسط الوهدة ربوة تسمى
«رأس أمّ الحج» . كان يقوم عليها قصر الأمير محمد بن عائض المسمى «شذاء» ،
ولازالت معالمه ماثلة بادية . وعلى مقربة منه الآن قصر الإمارة السالف الذكر ،
وهو قصر بني بالنسب لمباني أبيها يشرف من طرفه الشمالي والغربي على فسيح من
الأرض يسمى «البحار» . في طرفه مما يلي الشرق تقوم سوق أبيها الأسبوعي



«منظر سوق أبي الأسبوعي حال قيامه ويبدو في أحد نواحيه قصر الإمارة» .

كل يوم ثلاثة . وتحيط برحبة السوق بضع عشرات من الدكاكين مفتوحة
على الدوام ، فيها من الأمتعة والمعرضات كل ما يحتاجه أهل القرى المجاورة
وبقدر ما عليه أبيها من التحضر .

ولاشيء من مروضات الدكاكين خارج في العرض عن نطاق أبوابها بل
جميعها في الداخل فهي أشبه بمخازن . ويتقدم الكثير من الدكاكين سقائف

بعمامة تزدت ودخلت في عز فأوطان صير إلى رأس يته وهي عقبة من أشرف
تهامة وهي أبيها . وبها قبر شي القرنين فيما يقال عثو عليه على رأس الثلاثمائة من
تاريخ الهجرة .

على أعواد خشبية للتظليل تمتد على طول صف الدكاكين .

وتنفرد دكاكين بيع اللحوم في ناحية خاصة خلف المسجد الكبير منعاً لما قد ينشأ عنها من القذارة وتشويه منظر السوق .

وتنقسم بلدة أبها إلى سبعة أحياء ثلاثة منها وهي : مستأظرة . وهو النواة التي قامت عليه بقية الأحياء الأخرى و . المقرى . و . الربوع . ويسمى زمان أيضاً تحيط بفسح الأرض المسبى بالبحار على شكل مربع ذي ثلاثة أضلاع مع شيء من التمرج بسيط مبتدئة من الجانب الشرق مارة بالشمال ومنتهية بالغرب .



• صورة واجهة بيوت عدة مناظر •

والأربعة الأحياء الأخرى وهي : مفتاحه . كائن في الجنوب الغربي من الأحياء السابقة الذكر و . الخشع . وهو في الجنوب الشرق منها و . القابل . ويقولون له أم قابل وهو في الشمال الغربي منها والشصب . وهو خلف مناظر بما يلي الشرق .

ومجموع بيوت أبها على ما أخبرني الثقة ستائة وأربعون بيتاً وسائرهما

إلا القليل مبنى باللبن^(١) على شكل هرمي واسع لأسفل ضيق الأعلى قليلا .
تحوط جدار طوابقها العليا حجارة مبسوطة رقيقة على شكل رقاف
متراسة في صفوف يعلو بعضها البعض يسمونها الرقف . ويقولون أنها تشد
الجدار الطينية وتقيها شر المطر وكأنها ضيقة النوافذ كأنها كوى الحصون
ويسمون النافذة . كثره . .



• صورة وأجده بعض بيوت حلة القرنى على ميدان البحار وترى الرقف باديا فيها .
وليس لها بيوت خلاه . مراحيض . إلا ما قل مما يسكنه بعض الجالية
الحجازية من الموظفين . ولا نفس بيتنا الذي نحن فيه فإنه مما قل لأن مؤسسه
الأول أحد موظفي الأتراك في عهد حكومتهم لم يخل حتى من حمام على طرازه
المعروف . عشت به أيدى من انتقل إلى ملكيتهم بعده . وهى من الداخل
نظيفة مبيضة بالجير . ولا يخلو بيت من بيوتها من طراز أخضر يعم سائر
جداره مما يلى أسفلها من الداخل يسمونه الخصار . يصنع بدعك رؤوس
(١) جاء في كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٤٤ في صفة أنها
مدينة بيوتها مبنية بالحجر على تل في وسط عسير . والواقع المشاهدة هو ما ذكرته
لك . وموقع المدينة بالنسبة لجبل عسير أقرب إلى الجانب الشرق منه على حزم
بين الجبال المحيطة بالمدينة كما سبق القول .

أعواد البرسيم الطرية ويعلو هذا الطراز في البيوت المصانة : إما أفارين
مختلفة الألوان ، خطوط ، أو طراز آخر بنقوش متباعدة الشكل يحيطون بها
النوافذ والأبواب فتكسب داخل البيت رونقاً وجمالاً .

ولا بد أن يكون في حجرة أو حجرتين من حجر البيت موقد يسمونه
الصنابل . يلتقون حوله أيام الشتاء للتدفئة ويطيخون عليه القهوة وكثيراً
ما ترى ، دلالاً^(١) مرسومة على حافته .

سكان أمها

وسكان أمها لا يتجاوزون خمسة آلاف معظمهم من بني منفيد إحدى
قبائل عسير ، وبها جماعة تسمى البلاحة واحدهم ، بلحطيس ، وهم فئة مسحلة
لا يألف من ينسب إليها من إتيان ما يسترذل ويحاب من الشجادة والمسخرة
وغير ذلك مما تأباه العزة . وأهل أمها وغيرهم من القبائل يترددون عن مصاهرتهم
مثل هذه الجماعة لا تخلو منها بلاد ولا شعوب . ففي مصر يعرفون بالهجر
وفي الشام بالنور وفي بعض قبائل الحجاز بالهتيم وفي تركيا بالشقانة

وقد شهدت نفرأ منهم بأرض اليونان ورأيت بعض نسايتهم يمتنن
استطلاع البخت والشجادة . وأتذكر أن مجلة الهلال كتبت فصلاً ممتعاً عن
نشأة هذه الجماعة في الشعوب وتقارب أحوالهم وعاداتهم في سائر الآفاق .

نساء أمها أو حديث الزواج

ووقوف على وجود هذه الطبقة في أمها كان مصادفة . وذلك أنني كنت
وبعض الرفاق نسير في شارع أمها فالتقينا بسرب من النساء يتهنئ فناء صبيحة
الوجه جذابة المنظر طال إحدا في إليها ، فقال واحد منهم : لو لم تكن بلحطيه
لسعيت لك في خطبتها . ودار الحديث في شأن هذه الجماعة ، واستطرد إلى
الزواج وأحواله ، وحديث الزواج حديث فياض في أمها لا سيما مع غريب

(١) الدلال واحد ما دلّه ، مواعين لطبخ القهوة وهكذا يسمي أهل الحجاز ونجد

قدم حديثاً فكثيراً ما تقصد أبها لهذه الغاية من الأجانِب عنها لما لها من الشهرة
في إسر الصداق وشيوع الجمال . وعلى ما عرفت وأرى - أن ذلك مبالغ
فيه فإن أبها وإن لم تخل من وجود الجميلات ومن فيهن صباحة وقسامة .
فهو بقدر ونسبة لا تميزها عن غيرها من قرى سكان جبال الحجاز . إلا أن
أهل أبها أكثر نظافة ومدنية من أمثالهم . وإسر الصداق - إن يكن - فهو فيما
بينهم ، أما من كان أجنبياً فليهم فيه مطمع . وما يدوم المرء من الصداق لا يعود
عليه منه شيء أو تنفع من أثاث أو ريش كما هو المألوف ، بل تأتي العروس
إلى بيت زوجها في الخالب . رب كما خلقتي ، لأن صداق المرأة في هذه الجهات



، منظر بعض نساء أبها .

معظمه من نصيب أهلها ليس لها منه إلا القليل وما يشترط معه على الزوج
من حلي وحلل .

ومن تقاليدهم أن على الزوج كسوة لأقرباء العروس من إخوة وأخوات
وخالات وأعمام وعمات وما أكثرهم إذا كان الزوج أجنبياً .

والمتخير المستحق لا يرخص في أى مكان كان . فقد قالت لى امرأتى من
عرفت بأنها فى عرض حديث فى هذا الشأن ، ما تلقى بلاش إلا البلاش .
ولبعض من قدم به الحفظ وقصر مداد عن نيل المرغوب : هذه الآيات

إن أبها وعربها كالمجسدى فى المثل
زعم البعض أنها خير نزل لمن نزل
خدع الناس قوله زخرف القول من نقل

على أنى لا أنخص حق أبها . فبى أم القرى فى صير السراة ، وهى المركز
كما يقولون . فقد يتوارد على سوقها الأسبوع من نساء من حولها من القرى
فى مشارف الجبال وسفوحها من فبين اشراق فى اللون وجمال رائحة يذوقه
بما يتخذونه من وسائل التجميل المأثقة يذوقه .

والأسواق فى البادية والقرى كما تكون وسيلة لتبادل العروص والمنافع
المادية . تكون وسيلة أيضاً للتلاقى والتعرج من ورطة العلاقات واقتناس القريب .
ولقد شهدت لبعضهن فى سوق أبها الأسبوعى عيوناً دغلاً إذا شرعتها
ثم أغضت أحسست لقلب خفقاناً ورجفاناً كما أرسلت بظفرها إالىك تياراً
كهريائياً لمسته به كما يقول المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى بعض مقالاته .
ونساء السراة على العموم تغلب فى وجوههن الامتدانة ، ويتميزن عن أهل
النهام بإشراق اللون وصفرتها والاعتدال فى قاماتهن . وشعرهن على العموم
حالك السواد لمن فى تصفيفها وتضفيرها صناعة تعار وتروق فبين يحلمان ما
على المقدمة طرة سذية الشكل مخنوفة بانتظام لا تتجاوز أعلى الجبين ، تزيد فى
اشراقه ونصوعه يسمونها « حفة » .

ضدان لما استجمعا حسنا والحد يظهر حسنه الضد
وفى أسماء نساء أبها ما يوجب فى السمع كـ . ظيبه . يزهره وملائك
وليكى ونجمة . ولباسهن يتقارب ولباس سكان جبال الحجاز . مراويل

وقصان بعضها فضفاض يكون غالباً أسود اللون بحلى صدره بأشكال من
النطرين اليسدي بالحرير المختلف الألوان . والأبكار منهن يتخصصن في
الأغلب بجعل لباس الرأس متديلاً إما أحمر اللون أو أحمر منقطاً بالسواد



صورة لبعض بنات أميا وعلى رأسهم الإشارب .

يربطنه أسفل الرقبة أو هو (الإشارب) يدسون تحته وبين طيات الشعر
على جانبي الرأس لفائف من الرمان يسمونها مكاعس .
أما المتزوجات فتزأماً أن يضعن على المنديل طرحة يسمونها ، مقاسمة ،
أو ، مسفع ، . هي اختار لها أهداب وكتل من الحرير المختلف الألوان بحلى
طرفها بحبكه من الحرير أيضاً وغالباً ما تكون سوداء اللون من رفيف
القماش . ويختزن على القميص بحزام من الجلد في الغالب مزركش وبحلى
بمخيط ملونة من الجلد أيضاً يسمونه سبتة أو نسعة تبدو معه العسيرة في
نوبها الفضفاض في غاية من الرشاقة كأنها بعض النساء الأوريات لولا طول
الثوب . وفي زمن الشتاء يرتدين قراءاً من جلد الضأن يحملن صوفه من الداخل
تجمع طرفاه بمروية وأزرار على الصدر يسمونه ، النمرز ، . ومنه نوع

ضيق العرض مستطيل بقدر ثلث القائمة يعلق في الرقبة على الظهر يستعمله
أنثاء حمل قرب الماء أو الحطب ويسمونه « النطش » .
ويغلب فيه السفور ومخالطة الرجال ، وعليهن - إلا القليل من النساء



• صورة امرأة وهي تحمل الحطب على ظهريها .

المترفات وزوجات الشخصيات البارزة - مدار الأعمال ، فالمرأة هي التي تعطب
وهي التي تسقى الماء . وتقوم بسائر شؤون البيت . وتشارك الرجل في العمل
في المزرعة إن كانت لهم مزرعة . أما الحياة فقليل منهم من يتعاطاها ، وهي
من أعمال الرجال في عسير . وثياب العرمن في الغالب تتنوع جاهزة ، أو
تفصل عند أحد الحياطين من الرجال .

وجميع ما وصفت لك من النقوش في بيوت أبها هو من صنعهن . وقد
شهدت من تمارس منهن البيع والشراء في بعض الحوانيت بصورة مستديمة .
أما اللواتي يشاهدن يوم السوق الأسبوعي فمعظمهن من نساء القرى التي
حول أبها ، يأتين بما لديهن من أشياء ومتوجات لبيدها وشراء ما يلزمهن
بأثمانها ، ولا يسات القبعات الخوص ، البرانيط ، هن من أهل تهامة عن
يتيسر لهن الوصول إلى سوق أبها الأسبوعي . وهو لباس أوحى به شدة

حرارة الشمس في محيطهن . وليس من عادة نساء السراة استعماله .
وللرأة مطلق الحرية في اختيار الزوج فإذا تقدم أحد لخطبتها — وغالبا



صورة بعض النساء الوافدات على سوق اربا وترى الحرام . السيلة .
باد في احداهن والقبعات على رقوس بهضين

تراه — ولم يعجبها ابنت وامتنعت بكل صراحة ، ولا تقع أية محاولة من ذويها
لخلها على القبول والاستجابة ، وهن صريحات في قول : لا ، او نعم ، وحتى
لو حصل الرضى ثم لم تستطع معاشرته تترك بيت الزوجية وتقول : شئتته .
أى كرهته . ولا يحصل في الغالب اعنات من الزوج ودعوى بالشوز . ويكون
له إذ ذاك حق المطالبة بمادفع في صداقها . فان رد اليه وإلا جعل ذمة له
عليها ، ويكون على حد تعبيرهم ، في رأسها كذا ، يسدونه من صداقها في
زواجها الجديد إن كان .

وعا هو متعارف في عسير نوع من الزواج يسمونه ، زواج السر .
ومعناه أن يقع في أشد خفاء . أى بدون إعلان وتشهير بالعقد . وهو
أكثر ما يقع مع الثيبات ومن يخشى نفور زوجة أخرى لديه أو ممن ليس
له إقامة طويلة في القرية وغالبا ما يكون قصير الأجل (١) .

(رد وتعقيب لـ)

(١) ذكر صاحب كتاب (في بلاد عسير) صفحة ١٠٥ وما بعدها : أن من

لباس الرجال

ورجال أهلها لباسهم الثياب كأهل جبال الحجاز تماماً. ويفطون رؤسهم بالقتر، المحارم والعقل السوداء، شطافة. وذلك طارى عليهم اعتادوه منذ استيلاء النجديين على البلاد. أما فيما سبق فكانوا حاسري الرؤوس باللمم والجسم على عادة أهل تهامة الجبال إلى اليوم.

يتبع قبيلة عسير ويسكن السفوح الغربية من منازلهم قبيلة دربيعة اليمن. وذكر من عادات هذه القبيلة ما وردت لونه عن ذكره فقد قال :

« إن من أزدل عادات ربيعة الاختلاط الجنسي بين الرجل والنساء من الأبنكار والشيئات. وقال أيضاً : وقد لا تزوج أبكر منهم زوجاً شرعياً قبل أن تكون قد ولدت ولداً أو أكثر سفاحاً. والظاهر أن كثيرين يرغبون في زواج البنت ذات الرقم القياسي في عدد أولاد السفاح ويسمى ولد السفاح عندهم ولد الخبيجة وفي تهامة أهل البلاد (ولد أم خبيجة) ، والخبيجة هي الخبيضة أو الغاية ، أي الولد الذي ولد في الخبيجة وليس على فراش أمه .

وهو قول لا أشك في أنه يهتان من رواه له يماثل ما حكاه عن بعضهم في شأن قبيلة الملح بأنهم من بقايا بني فريضة يهود المدينة على عهد النبوة .

فغير مقبول جداً أن تسكر ألف وثلاثمائة وخمسون سنة من قيام الإسلام ولا يزال في صميم أهل قبيلة لا تنكر الزنا ولا تأنف منه ، بل ويرغب أفرادها في تزوج ذات الرقم القياسي من الأولاد بالسفاح !! فكيف والعرب قبل الإسلام كانت تأنف من الزنا وتعدده من الأمور المشهجة التي لا يكون ثمرته أية قيمة اجتماعية بينهم ١٩ .

ومن العجيب أن يعتمد مثل هذا القول في قبيلة ربيعة وقد نقل في نفس البحث قصة يدل بها على حرص ذات الزوج في المحافظة على عرضها وقال انه لا يشك في راويها بل يعتبره شاهد عيان ، فقد قال : وقد روى لي أن رجلاً غافل متزوجة في ليلة كانت فيها متعبة نائمة فلما عرفت بالامر ضلت تتعقبه مدة إلى أن ظفرت به وقتلته رمياً بالرصاص دون أن تطالب بدينه لأنها قتلتها دفاعاً عن العرض والشرف ولا أشك في راوي القصة بل اعتبره شاهد عيان لأنه اشترك في تسوية الحادث نظراً لمقامه عند القبيلة .

ويحلون (في الثياب) أوساطهم بالجنانى على عادة عموم أهل عسير ومن
والاهم ، والجنانى ثلاثة أنواع : نوع يخرج طرفه عن محيط الوسط ويتجهى بيت
الشفرة منه بكتلة من سيور رفيعة من الجلد ويسمونه « معيرة » ، ونوع
لا يخرج عن محيط الوسط في الثياب ، غلافه محلى بالفضة بخلاف المعيرة فإن
غلافها مكسى بالجلد دائماً ويسمونه « شاميه » . ونوع قصير الشفرة
معكوف ، طرف غلافه إلى الأعلى محلى بالفضة ويسمونه « قدیمی » كما يسميه
عرب الحجاز كذلك . وفي الشتاء يلبسون العباءة ، الشملة ، المعروفة عندنا في
الحجاز ، بالسبدي ، على عادة عرب الطائف وما والاها وهي تتخذ من أصواف
الضأن ومنها الجيد الخالى الثمن ، ونحاك عادة قصيرة إلى ما تحت الركبة بقليل
لثلاث أمت في الحركة ، فإنها غالباً تكون سميكه الجرم .

العاب عسير

ولم ألعاب نسيم ، الزينة ، يرقصون أثناءها رقصاً لم استعماله ، وأغانهم
بأشعارهم النبطية ولحنهم الملتوية لا يكاد يميز السامع كلماتها أو يفهم معانيها
فقد كنت في أها ثانی يوم عيد البحر وأقامت البلدية في ميناها حفلة
... قبل من المستساغ أن تغزل ما ذكر من كانت قبل الزواج لا ترى في الزنا بأساً ١٥
بل هو معدود عندها وعند قومها إذا أنجبت منه من الفرجات في الزواج بها (إن
من ين سهل الحوان عليه) كما يقول المتأني :

نعم يجوز أن تكون عادة اختلاط الرجال بالنساء شائعة عندهم ، ويجوز أن
يكون في هذه القبيلة تساهل أكثر مما به حالتها الاجتماعية ، وحياتها البدائية ،
ويجوز أن تقع من جراء ذلك حوادث خفي وخش ، فالإسائية من أي قبيل
كانت لا تخلو من نقائصها وما يهبط ببعض أفرادها إلى درك حيوانيته في بعض الأحيان
أما أن القسيلة جميعها تتواطأ على إباحة الزنا وعدم الاكتراث به بن وتكون
ثمراته من المرغبات في المرأة ويكون مدار غمار لها ولئن أنت به في الهيعة كما يقول
قول مردود وغير مقبول . بل الذي سمعته — ولا أعتقد صحة غيره — أن من
المألوف عندهم وعند بعض بدو قبائل المع البعيدين عن القرى إذا كانت المرأة غير —



. صورة بعض أهالي وفي أوضاعهم مختلف أنواع الجنائي .

حضرها الأمير . وبعد أن أقيمت خطبة التحية من أحد طلاب المدرسة
وجرى استعراض للجند النظامي والشرطة تقدم لفيف من أهالي أها يلعبون
على طريقته . وذلك أنهم يصطفون متراصين يتوسط الصف الأول حملة
الطبول والدفوف ويواجههم ملحن الغناء فينشد ما يريد وتقرع الطبول
والدفوف على ترجيعه ويردد اللاعبون في الصفوف ما قاله مع القفر والنط
وضرب أرجلهم على الأرض في موقفهم مرة . وساترين مرة أخرى في شكل
دائري ، وأحياناً يبرز في مواجهة الصف واحد منه مستلاً جنينية قافزاً بحالة
بهلوانية وزعقات عالية . وقد استطعت أن أفهم من أناشدهم هذه الكلمات :

== متزوجة بكرة كانت أم ثيبا أن تجلس مع أي رجل ومحادثة وتسامره . ويسمون
ذلك (كَنَدِيَه) فإذا ما تكرر ذلك . فهم الناس من جماعتها أنه يقصد
التزوج بها فيطلقون عليه اسم الحبيب . وكثيراً ما ينتهي هذا الاتصال بالزواج
لكن أين هذا عما يقول ؟



صورة بلدية مدينة أبها .

بديت^(١) ذا في المرش حاكم متوحد بالملك منفرد
ماكرت^(٢) الديرة^(٣) لحاكم يحكون في تدير أبو فهد

اللهجة في عسير

وفي لغة عسير طمطانية وكشكشة والكثير من أهل الراء لا يستطيع
التنطق بالجيم فيقال يا آه فباء ، بدل جاء و (يَبَل) بدل جبل و (أم بَمَل)
يعنى الجمل (وكيف حالش) يعنى كيف حالك (وما بَش) يعنى ما بك وجميعهم
ينطق تاء التانيث المتصلة بالامم ساكنة فيقولوا عشرت ورحمت ومخاضمت
وفاطمت وساعت .

ويقولون (إراقه) يعنى أنظر ، ويسمون البيعة من الماعز ، زعابة ،

(١) (بديت) يعنى قدمت و (ذا) يعنى الذى على لغة طلى كما يقولون

(٢) و (كرت) قاف ممطشة يعنى قرت واستقرت .

(٣) و (الديرة) يعنى البلدة أو الناحية أو المنطقة ويعنون بأبو فهد الأمير

تركى السديري أمير أبها الحالى .

ويستعملون كلمة « ميد » بمعنى أريد (وأهترينت) بمعنى بعثت وأرسلت .
وكثيراً ما يزوجون بالجملة المعترضة أثناء الحديث بقصد الدعاء أو إظهار المودة
والمبالغة في الإخلاص فتري الواحد وهو يخاطبك مستقلاً عما يقول إلى جملة
« إيه وأنا فداك » « إيه سلك الله » وفي مقام الإشفاق على المخاطب يقولون
« الله يطعنك » « ربي يأخذني قبلك » وهكذا من أمثال هذه الجمل . لاسيما
النساء منهم فانهن أكثر استعمالاً لذلك . وهم كسائر سكان جبال الحجاز ،
شائعة بينهم أساطير « الدعر » و « السبعة » و « السكون » و « قوم الرمادة »^(١)
وحتى الحلف بالطلاق في كل صغيرة وكبيرة . فهو في لسانهم أيضاً إلا أنهم
أخف في ذلك من بعض سكان جبال الحجاز الأدنى للطائف .

جَوَّ أَبْهَا وَمَنَاخِهَا

وَأَبْهَا معتدلة المناخ طيبة الهواء . مع برد شديد في زمن الشتاء . وقد
يجمد الماء فيها أحياناً في بعض الليالي .
أوحى طيب هواء أَبْهَا ونسيمها العليل لزميل الأستاذ عيسى فهم بهذين
البيتين :

ألا سقيا لأبْهَا من بلاد عليل نسيمها يشفي العليل
بلاد ما أَلَمْ يَهْـبَا غريب وود بخيراً عنها الرحيل

وهي ترتفع عن سطح البحر (٢٢٠٠) متراً . أو (٧٣٠٠) قدماً على
اختلاف فيما قيل لي . ولم يكن لدى مقاس للارتفاع أحقق به أى القولين
أصح^(٢) ؟

(١) أخال أنهم يعنون بهذه الكلمات أقواماً أو أفراداً من الجن والشیاطین
في زعمهم .

(٢) ذكر صاحب كتاب (في بلاد عسير) أن أقصى ارتفاع بالقرب من أَبْهَا المقام .
من خميس مشيط ٨٩٠٠ قدماً ص ٩٨ وذكر المستر قلي في كتابه *Arabian Highlads*
في المصور الجغرافي « الخارطة » الملحقة بالكتاب أن ارتفاع أَبْهَا ٢١٩٠ متراً .

أما درجة الحرارة مدة ما كنا بها في أوائن فصل القوس الموافق لشهر
سبتمبر تقريباً فكانت تتراوح نهراً بين العشرين والخمسة عشر درجة .
وتهبط ليلاً إلى الثامنة فوق الصفر .

أودية أبيها

ويحفر أبيها واديان أكبرهما يسمى وادي العشر بان ، أو وادي أبيها وعليه
قنطرة ذات ست فوهات تصل أبيها بمحلة القابل .



• صورة بعض بيوت محلة القابل وترى القنطرة بادية فيها .

والثاني يسمى • وادي ضباعه • وكلا الوادين إذا كان المطر غزيراً في
موسمه ينقع بالماء على شكل غدران يسرب المزارعون ماءها إلى مزارعهم
في معظم فصول السنة . وقد يستمر جريان الماء في الوادي أياماً كثيرة . كما
شهدت ذلك في بعض زياراتي لأبيها أثناء إقامتي برجال .

ويشرب أهالي أبيها من بضع آبار معظمها في الوادين المذكورين وكلها
عذبة المياه ، ومن أعذبها بئر نمان وبئر الجلكة .



• صورة بعض موائى أهالى أبها ترعى فى الوادى •

وعند ملتقى وادى أبها بوادى جوحان المنحدر من الجبال والمقبات الواقعة جنوب أبها — على مقربة من قرية ، قاعد ، و قرية ، الدآره ، — يوجد مستنقع واسع بشكل فى بعض أقسامه ونواحيه غدراناً عميقة واسعة

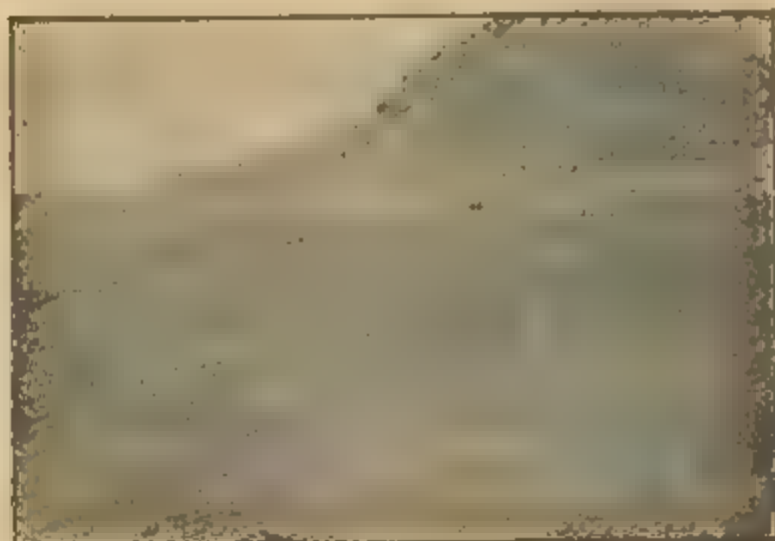


• صورة بعض نساء أبها وهم يستقون من البئر •



• منظر لبعض نساء أبيها ومن يحملان القرب بعد أن غادرن البئر •

أمكن لبعض أنواع السمك الأسود الصغير الحجم أن يتوالد فيه ، وقد
نمت على حوافها كثير من الحشائش وأنواع البوص والخلفاء .



• صورة لبعض الندران الرافعة بواي أبيها •



• منظر ثانٍ لبلد القديريين •

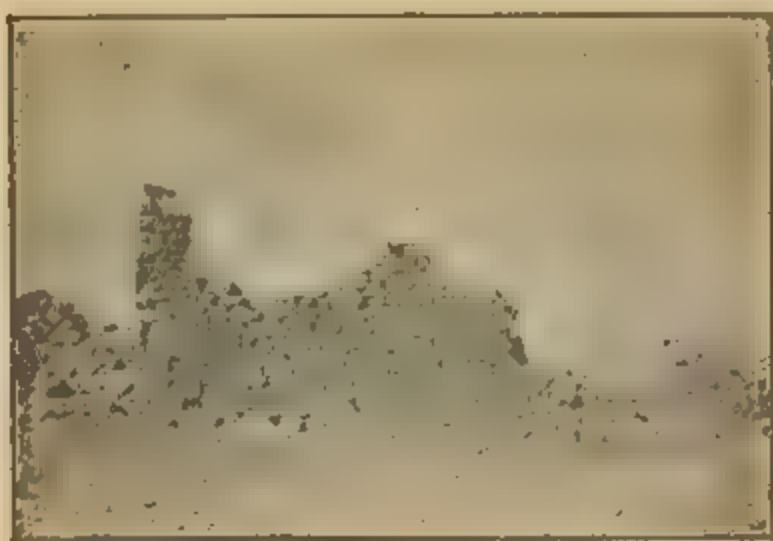
وعند هذه القديريين قبر مدمر الإخوان من الجيش النجدي أثناء
استيلائهم على أبيها منسوب لذي القرنين •



• صورة القديريين الواقع بجوار قبر ذي القرنين •

قبر ذى القرنين

وقد ذكر الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب»^(١) أنه عثر على هذا القبر في رأس التلثمانية من تاريخ الهجرة ، وقد عد صاحب كتاب «في بلاد عسير» نسبة هذا القبر إلى ذى القرنين تخريفاً من أهل هذه الجهة مدفوعاً بما تراهى له ، بما تبادر له من أنه ذو القرنين الإسكندر المقدوني وليس كذلك .



«صورة قبر ذى القرنين وبجواره أطلال مسجد مبدوم»

فإن ذا القرنين هذا إنما ذكره الهمداني أيضاً في كتابه «الإكليل» ، في الجزء العاشرة فقد قال ما معناه أن ذا القرنين السيار ويكنى بالصعب على رواية هو الهَمَيْسَع بن عمرو بن عَمْرٍ بن زَيْد بن كهلان وعلى رواية أخرى هو الصعب ذو القرنين السيار ابن مالك بن الحارث الأعلى بن الحيار بن مالك ابن زيد بن كهلان . وجاء في هامش القول المذكور من تحقیقات العلامة السيد محب الدين الخطيب ناشر الجزء المذكور : أن هناك قولاً ثالثاً مزعوماً لأمير

(١) «صفة جزيرة العرب» ، طبع ليدن ص ١١٨

المؤمنين على . وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن ذا القرنين
السيار هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن سدد بن حمير الأصغر ^(١) .
فغير بعيد عن الحقيقة والصحة نسبة القبر إلى ذي القرنين هذا لاسيما
وأنة مقول منذ القرن الثالث الهجرى .



• صورة أخرى لآقماض قبر ذي القرنين .

مزارع أبها وحدائقها

وتنتشر حول أبها عدة مزارع على شكل مصاطب ، دكاك ، يعنو بعضها
البعض . شأن مزارع الجبال ^(١) واعتاد سقيها على المطر والسييل . ولا يغلو
ما في أبها من البساتين القليلة من آبار للسقيا .

(١) د الأكليل ، ص ١ - ٦ ج ١٠

(٢) جاء في تقرير البعثة الزراعية الأميركية التي جابت المملكة لدرس أحوال
الزراعة فيها في الصفحة ١٨٣ و ١٨٤ طبع مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٤٣ عند
السلام على المناطق الجبلية من أبها والطائف قولها : « النموذج الزراعى طولا .
الجماعات في الأماكن المختلفة يشتمل عادة على قطع صغيرة من الأراضي في بطن
الأودية الضيقة التي تسقى من العيون والآبار . ويوجد أيضا عدة أفدة أكبر من =

وبساتين أبها ليست كثيرة الأشجار الثمرية ، بل لم يكن بها شيء يذكر قبل عهد الترك . فهم الذين جلبوا إليها معظم الفروس الثمرية والبقول والخضروات ولهذا فعظم ما يطلقون عليها من أسماء هي تركية فهم يسمون الكمثرى « عرموط » ، أرموط . والسلك « بازك » ، والكرنب « لانه » ، وأمثال ذلك .



« صورة بعض بساتين أبها . »

وما شهدته من الأشجار الثمرية في بساتين أبها وما حولها شجر الخوخ ، ويسمونه (فرسيك) وشجر المشمش ويسمونه الخوخ ، وشجر التين والبرقوق ، البخاري ، والسفرجل والعنب والتوت والليمون والبرشومي ، الصبار أو

— تلك لا تسقى وهي على طريقة تدرجية أي أن القطعة فوق الأخرى وقد أعطى لها المجال الكافي لتتفع بالمياه من هطل الأمطار أو السيول بفضل انحدارها أو لتتفع بما يقسم لها من المياه الجارية ومع أن كثيراً من هذه الأراضي المتدرجة جعلت مواقعها على تدرج من درجتين إلى ثلاثين درجة وهي تزرع منذ الأجيال القديمة فإنها جميعها يوجه عام في حالة جيدة للغاية ، فزراع الجهة الغربية من الدنيا وبالأنص زراع الولايات المتحدة الأمريكية يمكنهم أن يتعدوا كثيراً عن التربة وصيانة الببل من زراع الجبال في المملكة العربية السعودية .

التي الشوكي ، والكثيرى واللوز وقد كانت أشجار اللوز مكية أغصانها
بالزهر في منظر تحيف رغم تجرد الشجر من الورق بسبب فصل الشتاء .
وتجدر اللوز من الأشجار المبكرة بالثمر وزهره يأتي في طبيعة الأزهار وما أحلى
ما ضمن فيه مجير الدين الأسعدي حيث قال :

أزهر اللوز أنت لكل زهر من الأزهار يأتينا إمام
لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدنيا إمام



منظر بستان من بساتين ألبا .

ومن جملة ما رأيت في بعض البساتين شجرة زيتون ذكر لي صاحبها أنه
يخفيها في كل سنة وأنها مما جلبه الترك إبان حكمهم للبلاد .

على أن في جبل عسير وجبال السراة ، الحجاز ، أشجاراً تسمى العتم خشبه
وشجره وورقه مشابهة بالزيتون ، وأحال أن في جبل عسير استعداداً وافياً
لنمو شجر الزيتون وتكاثره ولو انتشر لاصبح مورد ثروة لابستان بها^(١) .

(١) قبل أن يتيسر لي طبع هذه الرحلة كانت الحكومة قد سيرت في أواخر
عام ١٣٦٩ هـ بعثة زراعية من بعض المختصين لإرشاد المزارعين من سكان السراة =

والفواكه في أبها رخيصة الأثمان تجلب إليها من القرى المجاورة والضياع التي
تقرب منها وقد اشترت صفحية ملائى بالتفاح السكرى صغير الحجم بنصف
ريال سعودى أى بما يوازى خمسة قروش مصرية تقريباً .

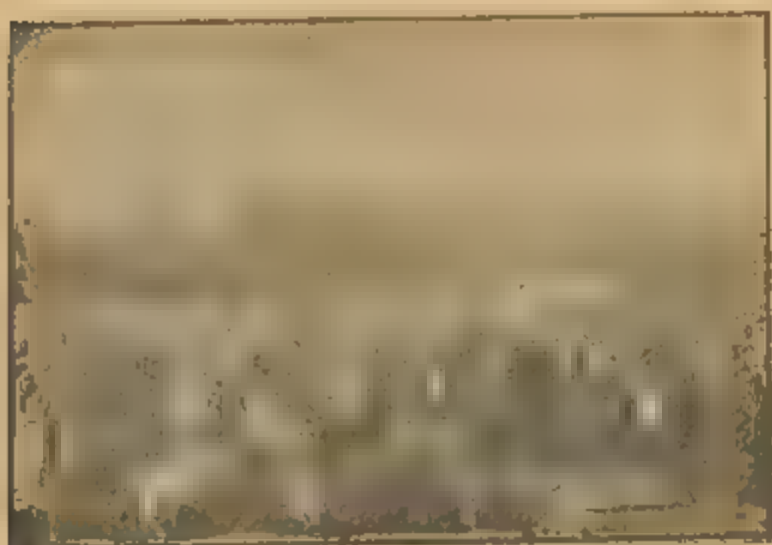
إلا أنهم لا يفهمون طريقة صلاحها ومعظمها يحنونه فجأ قبل نضوجه
وما شهدته في سوقها عدى ما سبق ذكره من الحضرات ، البراصه ،
(كرات أبو شوشه) والفاصولية والطاطم ، قوطه ، والبهانجان الأسود
والأبيض والخرشوف ولا تعدم كثيراً من غير ذلك من أنواع الخضار تجلب
إليها في موسمها .

ومن متوجات أبها وما حولها من المزارع الحنطة والذرة والشعير
والعدس ويسمونه ، البلسن ، كما يسمون البرسيم قَضْباً .
واعتماد أهلها في القوت على الذرة والشعير . أما الحنطة فطعام ذوى اليسار

وغيرهم وكان يشار إلى البعثة في غايته الأخ السيد حسن شطا الخبير الزراعى في مديرية
الزراعة السعودية وخريج جامعة فواد الأول بمصر وقد أخبرنى أنهم في أثناء تجوالهم
في بلاد غامد من السراة اطلعوا على أعداد وفيرة من أشجار العثم وتحقق لديهم أنه
الزيتون البرى كما اطلعوا على أشجار تسمى (الضُرو) وتحقق أنه شجر المسق
البرى وذكر لى أن من المتيسر الممكن فينا تطعيم شجر العثم والضُرو بأفلام من شجر
الزيتون والفندق الثرى فتقلب الأشجار المطعمة إلى أشجار تجود بالخصيل الوفيرة
من النوعين لأن أشجار العثم والضُرو الموجودة في السلسلة الجبلية ، السراة ، تقدر
بكيات وفيرة تتجاوز عشرات الألوف .

على أن منطقة السراة على استعداد كامل لزراعة شتى أنواع الثمار وأجودها فقد
جاء في تقرير البعثة الأمريكية الزراعية التي جابت المملكة للدراسة والاختبار قولها
(وزراعة الأنواع الطيبية من الخوخ والمشمش والبرقوق والتين والسفرجل
والعناب في هذه المناطق لا تكفى حاجة السكان بالفواكه الطازجة في أوقاتها وتضيفها
واستعمالها في الأوقات الأخرى غلب . بل يمكن أن تبنى الأسواق البعيدة بالفواكه
الجافة) ص ١٨٤ طبع مطبعة مصر سنة ١٩٤٣ م فخذوا لو عنت الحكومة بهذا
الموضوع :

ولأعزاء الضيوف وأبناء الألائم . وهم للشعر أكثر استعمالاً من الندة
بمخلاف أهل تهامة فانهم على العكس من ذلك .



منظر لسوق أبها وبعض بيوتها .

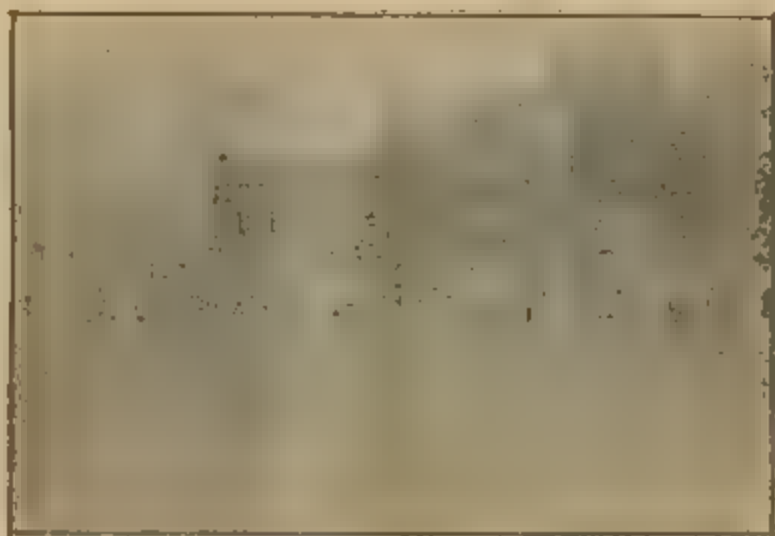
ويسمون المطبخ . ملها ، وخبزهم العيش في تنور يسجرونه ثم يلقون
أقراص العجين في جداره .

أبها مركز النشاط الحكومي

وفي أبها دائرة للشرطة وثكنة للجند النظامي ، الحامية ، ودار البلدية
من عهد الترك وفيها رئاسة أموال عسير وبها مدرسة أولية طلبتها حوالى
المائتين وفيها مصحة من طبيب واحد وعيادة خارجية وبها مؤسسة لاسلكية
ومأمور للبريد في إدارة اللاسلكى .

وعلى قمة جبل ، ذروة ، أحد الجبال المشرفة على القرية حصن أظيم من
عهد الأتراك يسمى باسم الجبل ولا تخلو بعض الجبال المشرفة عليها من حصون
على شكل أبراج مستديرة يسمونها (المنائيل) وهذه المنائيل منتشرة في كثير
من قرى عسير تتخذ وقاية ومرعى لحماية الوادى .

وقد بنى بها جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود أيده الله مسجداً



مدرسة أمها الأميرية وحملها .

جامعاً منسقاً وفيه تقام صلاة الجمعة ويجرى يومها الأمير عند دخوله المسجد وخروجه منه استعراض بجنود الشرطة والنظام .

ولا تخفى محلة من محلاتها من مسجد خاص وفي محلة مناظر مسجد واسع من بناء العهود السابقة .

وعرفت بها رجلا من بقايا عهد الأراك يقول : إنه فلسطيني الأصل اسمه شكري له إلمام بالتصوير الشمسي وصناعة الميكانيكا ، فهو ساعاتي أمها ومهندس ما فيها من سيارات وآلات ومنه أخذت بعض مناظر أمها .

قبائل عسير

وعسير أربعة قبائل كبرى هم : بنو نمير ، وبنو عكرمة ، ويقال لها ولد أسلم ، وهما شوكة عسير وأكثرهم عدداً ، وربيعة رقيقة ، وبنو مالك ، وجميعهم يعدون على وجه التقريب من أربعين إلى خمسين ألفاً .

وتتفرع هذه القبائل الأربع إلى عدة بطون وأنفاذ يطول شرحها تبليغ

على وجه التقريب حوالي أربعين نخلاً ، يكتنون نحو مائة وخمسين قرية قد تكون بعض القرى منزل أسرة لا تتجاوز بضعة بيوت .
ويقولون إنهم يرجعون في الأزد أزداً سنوياً^(١)

ملاحظة وتعقيب

(١) ذكر الدكتور عبد الوهاب عزيم في كتابه « مهد العرب » ص ٩٤ ما يأتي :
« والتسم النخالي من النخيل النخاليين يسمى اليوم ، عسيرا ، وهي تسمية لم تعرف في القديم . وقبيلة عسيرة التي يسمونها الآن هي قبيلة إحدى قبائل النخيل المعروفة وكانت تسمى باسمها القديم إلى القرن السابع الهجري على الأقل .
وفيه أودية وزروع ووفى كثيرة بها بيشة وتربة وهي مسورة كبيرة تحيط بها المزارع والتخيل وبها مبان كثيرة ومنها أنها ومرفوها المتخذة على ما بين ميل جنوبي جدة وصيدا وكانت حاضرة الإدارة أمراء عسيرة .
والذي يظهر لي فيما ذكره حضرة الفاضل المشار إليه ما يأتي :

أولاً - أن قبائل عسيرة لها أسماء معدودة هي ما ذكرته لك من أسماء يطلق على مجموعها اسم عسيرة من القديم فقد جاء في كتاب « حصة جزيرة العرب » لرحماني المتوفى عام ١٣٦٩ في صفحة ١٨٨ أن عسيرة قبائل من غزيرانية أوردت ودخلت عزيم .
والذي يبدو لي أن وجه إطلاق عسيرة على القبائل المذكورة وتسميتها به هو وعورة الطرق والسبل في انفس الذي يسكنونه من جبال الحجاز وصعوبة سلوكها حتى على أهلها وسكانه وعلى ذلك فالتقبات هي التي تسمت بالأفليم لا الأفليم بالقبائل ثانياً - أن الذي آتاه أن قبيلة بجيلة اليوم تسكن من جبال السراة أو الحجاز في القسم الأقرب للطائف وجنوباً عنه .

ولم أسمع طول مدة إقامتي بعسيرة واختلاعي بأهلها من أحد منهم أنهم كانوا يعرفون بجيلة بل يقولون إنهم يرجعون في الأزد أزداً سنوياً .

ومما قاله شاعرهم علي بن حسن يفخر في أبيان حروبهم مع الأتراك في أواخر القرن الثالث عشر الهجري من قصيدة مطولة قوله :

ففي وانظري يا أم عبيد معاركها	يشيب لها الولدان من كل أمرد
وان كنت عنها بالبعد قسائي	ففيها أسود من مفيد ، بمرصد
وفيها ليوث (الأزد) من كل شيعة	يصالون نار الحرب ناراً لمفسد =

ويعرفون سلسلة الجبال التي يسكنونها بساق الغراب . وتمتد منازلهم شرقا إلى منازل قبيلة شهران ، قرية حجله وما حذاها . وغربا إلى منازل قبيلة

التي ان قال .

ويقال من أريام نصر تنابعت بها من سواط الخرب ذات التوقد
بأبي بن حاتم من ، شوية ، جد . رقي بهم محمدا إلى حوز فرقد
وبنيمة ليست من الأزاد بل من النمار أثناء عم الأزاد وهي على ما جاء في كتاب
سبائك الذهب في أساب العرب ، لسويدي أن أزد هو ابن العوث بن لبث بن زيد
ابن كهلان بن سبأ والنمار بن نراش بن عمرو بن العوث وبجدة الخوة لحمام بن النمار
غلب عليهم اسم أمب فسموا إياها ويجمعون مع أزد في العوث ويعز هذا الذي
ذكرته ماجاء في معجم ياقوت ج ٥ ص ٦٤ عند الكلام على السراة قوله . قال
أبو عمرو بن العلاء : أصبح الناس أهل السراوات وهي ثلاث وهي الجبال المطلة
على تهامة وما بين اليمن وأوها حديث وهي إلى سهل من تهامة ثم بجيلة وهي في السراة
الوسطى وقد شركتهم تقيف في ناحية منها ثم سراة الأزاد شوية وهم بنو كعب
بن عبد الله بن مالك بن نصر .

وقال أيضا عن الأصمى ، الطود جبل منصرف على عرفه ينقاد إلى صنعاء . ويقال
له السراة وإنما سمى بذلك لعلوه وسراة كل شيء . فظهره يقال سراة تقيف ثم سراة
فسمهم وعندها أن ثم سراة الأزاد ..

ولا خلاف بأن تقيما قديما وحديثا من سكان الطائف وماو الأله وقبائل عسير
اليوم هي في نهاية سلسلة جبال السراة (الحجاز) فواذى تثليث الذي اعتبره ياقوت
الحذ الفاصل لسلسلة جبال الحجاز عن اليمن يقع في الجنوب الشرقى عن بلاد عسير
محدرا إلى الشمال جبل عسير هو ولا شك ما سماه أبو عمرو بن العلاء بالسراة الثالثة
وقال أنه منزل الأزاد أزد شتوه .

وليت حصرته رمز إلى المصدر الذي عرف منه أن قبيلة عسير هي بجيلة
إحدى قبائل اليمن وإنما كانت تعرف بهذا الاسم إلى القرن السابع على الأقل .

ثالثا - أن يشه . ويعني بها غالبا قرية الروشن من قرى وادى يشه ،
و . تربة ، ليست من قرى قبائل عسير فقرية الروشن هذه تبعد عن أيها حاضرة عسير
بنحو ست مراحل وعلو وادى يشه القريب من منازل عسير في السفوح الشرقية
يسكنه قبائل من شهران وقد مر الأملح إلى ذلك عند ذكر وادى يشه أثناء ...

ألمع ومشارف الجبال . وجنوباً يتنازل فحطان وبعضاً من شبران . وشمالاً
بمنازل قبيلة بللحمر أو المكان المعروف بالدرجة وهو السبب الممتد إلى
— مرورنا عليه وذكر بعض قبائله وسكانه امارته فبين أن حرب إلى الضائفة إذ هي في
الجنوب الشرق عنه ولا تبعد عنه بسوى تسعين ميلاً على ما جاء في كتاب . جزيرة
العرب في القرن العشرين . وقد سبق وصفها عند المرور عاباً وأنها من قرى قبيلة
البقوم وهي لم تحسب من قرى عسير حتى على عهد الترك ولم تحصل مغازى أمراء
عسير إليها حين استقلالهم بالذمارة . وليس صاحب كتاب عهد العرب وحده الذى
عد هاتين القريتين من قرى عسير بل كثير من كتب عن عسير عندما منه كصاحب
كتاب . جزيرة العرب في القرن العشرين . وصاحب . قلب جزيرة العرب . وغيرهما
عدوهما من قرى عسير وأوردتها متأثرين في ذلك إما بالتقسيم الإدارى في عهد حكم
الترك للبلاذ أو بما امتد إليه نفوذ آل عائض أمراء جبل عسير واستيلائهم على ييشه
وبعض القبائل المخاضية لها من سكان جبل السراء .

أما التقسيم الإدارى في عهد الترك فقد كان يهدف لمصالح مالية لم تراعى فيه حدود
القبيلة الصحيحة وذلك لأن الحجاز على عهدهم كان معنياً من الرسوم والضرائب
فقدوا حدود مارتبوه في متصرفية عسير إلى كثير من القرى والقبائل التي كانت
تخسب من الحجاز وألحقوها بولاية صنعاء ولا أحن أن امتداد نفوذ آل عائض أيام
قيام امارتهم في جبل عسير من الميولات المقبولة في اعتبار ما ليس من الاقليم
وعده منه فأنها حالة قابلة للتبدل والتغير والامتداد والاكشاف على أن هذه الأودية
الثلاثة أى وادى ييشه ووادى تربة وما بينهما وهو وادى دنية كانت على عهد قيام
امارة الشرفاء في الحجاز مباحات جدران وادعاء ومثار نزاع بينهم وبين الأمراء
السعوديين أمراء نجد . والخلاف عليها كان القدحة الأولى في زناد القتال والحرب
الذى وقع بينهم وانتهى بما انتهى إليه من الوضع الحاضر في الجزيرة .

ورغم أن صاحب كتاب . جزيرة العرب في القرن العشرين . كان مدركاً لما ذكرته
فقد قال في ص ٤٣ عند الكلام على ييشه . وقد حكم الأشراف — يعنى بهم
أشراف مكة — قديماً هذه المنطقة قبل الحركة الإصلاحية في نجد في تاريخ المعاصى
كثير من اخبار الأشراف في ييشه .

وللاتصال الشديد بين ييشه ووادى الدواسر كانت هذه المنطقة موضع نزاع
بين الأشراف ونجد .

منازل بللحمر . وجاء في كتاب في بلاد عسير أن بلاد القبيلة المعروفة باسم
قبيلة عسير ، تتألف من الجبال والأودية والسهول الواقعة بين أعلى سراة

كما قال أيضا قبل ذلك في ص ١٤ ، ومع أن الأتراك قد كونوا متصرفية عسير
وجعلوها تابعة لولاية اليمن فقد كان أشراف الحجاز يدعون تبعية بعض المناطق
الخجورة للحجاز كما أن أمراء نجد أيضا يدعون ملكية بعض المناطق من الجهة
الشرقية . ورغم ذلك فإنه عدما من قرى عسير كما عد تربة أيضا .

وما ذكره باقوت في معجمه عند الكلام على وادي يشه سريع بأنه
من أعمال مكة . أما اليوم فإن عسير والأودية المذكورة أصبحت جزءاً من المملكة
العربية السعودية ، وقضت جبهة قول كل خطيب .

وإني لأسأل الله غلصاً أن تعم الوحدة والاتحاد سائر أقسام الجزيرة العربية
من أقصاها إلى أقصاها فلا عزة لها ولا منعة ولا سلامة من مضامع المستعمرين إلا بها .
رابعا — أن صليبا . وإن كانت من مدن تهامة أى تهامة الخجازية لجبل عسير ، لأن
العرف جرى بتمييز كل قطعة من تهامة بماجاورها من أقاليم . فيقال تهامة الحجاز
وتهامة عسير وتهامة اليمن . فقبائل عسير المعروفة بهذا الاسم اليوم لا تمتد منازلهم
إليها ، ولم يسبق للأمراء صليبا أن كانوا حكاماً لجبل عسير بل أن أمير ، أبو عريش .
من مدن تهامة وهو الشريف حمود المعروف بأبومسار استولى على عسير عام ١٢٣٣
في أثناء فترة الاضطراب الذي حصل من مهاجمة جيوش محمد علي باشا إلى مصر
للجزيرة ، وعاربة السعوديين فيها وكان استيلائه في ومضة من الزمن قصيرة لا يمتد
بها ولا اعتبار . أما ما حصل بعد ذلك وبعد أن استتب الأمر للأمير عايض وسلفه على
ابن بجثل من أمراء عسير فهو أنهم أغاروا على تهامة وانتزعوا صليبا من أمير
أبو عريش وحكموها .

نعم إن السيد محمد الإدريسي أول الأمراء الإدارية في صليبا حاول أثناء عهد
الترك في عام ١٣٣٩ هـ الاستيلاء على جبل عسير وحاصر أهلها مركز الحماية التركية
والمتصرف . بمائة أحماد الأمراء آل عايض وبعض قبائل عسير كرها منهم في
الترك ولكنه فشل في محاولته هذه بمناهضة أمير مكة الشريف الحسين بن علي له
وفدحه لحصار أهلها .

وحاول ذلك أيضاً مرة ثانية بعد انسحاب الأتراك من جبل عسير عقب
الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٧ هـ وكاد آل عايض يرضخون له ويكونون له أتباعاً =

الأردن في الغرب وبلاد شمران في الشرق وبلاد قحطان في الجنوب وبالآخر وبالأسمر في الشمال ، وبعبارة أخرى هي بلاد واقعة بين جبل ثمنية وعقبة

ولكنهم نكّلوا فيما وافقوه عليه وحاربوه ودحروا جيشه كما كرت ذلك تفصيلا في تاريخ عسير السراة الملحق بهذه الرحلة .

واقليم تهامة هذا كان ذا كيان سياسي قائم بذاته تحت إمارة الأشراف آل خيرات ملحق اسميا بحكومة صنعاء إلى عهد استيلاء آل سعود عليه في عهدهم الأول عام ١٢٢٠ هـ بواسطة من تنصّب تحت نفوذهم من أمراء عسير .

فلما اتحدت جماعة آل سعود عادت الإمارة إلى سابق عهدها وظلت كذلك إلى أن زحف الترك وحضهم العام إلى اليمن وماجاوروه في عهد السلطان عبد العزيز عام ١٢٨٥ - ١٢٨٩ هـ فولت إمارة الأشراف آل خيرات من أبو عريش في تهامة كازالت إمارة آل عايف في جبل عسير وظل الأقبليان تحت ولايتهم المباشرة وشكّلوا فيها متصرفية كما سبق ، إلى أن نشأت إمارة السيد محمد الادويسي في صيدا بتهامة عام ١٣٢٦ هـ على ما ألفت إليه عند الكلام على صيدا من هذه الرحلة .

وكان إقليم تهامة هذا يعرف في عهد الأشراف ، بالخلاف السلياني ، ولازان في أهله من بسميه بهذا إلى اليوم .

والخلاف في عرف اليمنيين يطلق على المقاطعة أو الناحية فيقال بخلاف صنعاء وخلاف صيدا وخلاف بيضا . وهكذا .

ووجه تسميته هذه المقاطعة بالخلاف السلياني ، هي نسبتها إلى رجل أخال أنه حكمها في غابر الزمن ، يعرف بسليمان بن طرف الحكيم ، وجدت ذلك في وريقات من كتاب بالي بخط اليد في قرية رجال أظنه يبحث في الأنساب جاء فيه .

« وأشراف الخلاف السلياني وهو خلاف ، سليمان بن طرف الحكيم ، وهم أكثر سكانه في عصرنا هذا وما قبله ، قال الناشر في كتاب الدرر ، أخبرني السيد العالم الطود الشايع الأشم ، مشرع المكارم والحكم ، الفقيه العلامة الأمين ، المحتوى على جميع الفنون ، أحمد بن عيسى بن محمد بن سليمان بن محمد بن سالم بن يحيى بن مينا بن سرور ابن نعمه بن فلتية بن الحسين العابد بن يوسف بن نعمه بن علي بن داود المحمود بن سليمان بن عبد الله البر بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، أخبرني السيد المذكور أن سكان الخلاف من الشرفاء من ولد سليمان بن علي بن داود فولد سليمان ولدان هما يحيى وعلي ومهما انتشرت

القرون ورواي ركان الممتد إلى الحقو فالبحر من جهة الجنوب ، وبلاد
بنى شعبة وريبعة ألين ورجال ألمع ووادي حلي من جهة الغرب . وعقبة
شعار ووادي تيه والسهب الممتد إلى بلاد بالأحر من الشمال ، وسلسلة
الفضاب والمهوب المتصلة ببلاد شبران من الشرق . وإذا قست المسافات
بالساعات للشاة كانت المسافات من شعار في الشمال إلى تمنية في الجنوب
ثلاثاً وعشرين ساعة بالمشى السريع .

وأما المسافة من الشرق إلى الغرب فإنها تقرب من المسافة التي من الشمال
إلى الجنوب إلى أن قال : وعلى هذا الاعتبار تكون قبيلة بلاد عبر عبارة
عن بقعة من الأراضي الجبلية يبلغ طولها خمسين كيلو متراً وعرضها أربعين
كيلو متراً .

أهل الكهف أو موتى الكهوف

وعلى ذكر جبل تمنية الواقع جنوب بلاد عسير . ولا يبعد عن أهلها بأكثر
من ثمان ساعات أذكر أن به غاراً فيه بضعة أموات يقول أهلها إنها إن
لم أمدأ طويلاً وهم في هذا الغار تبيست جلودهم عليهم ، ولم يتطرق إليهم إلى
والانحلال . وعد صاحب كتاب في « بلاد عسير » أن وجود الغار ومن فيه من
الأموات زعم من أهل البلاد وليس الأمر كذلك . فإن الغار ومن فيه حقيقة
قائمة فقد ذكر لي ذلك كثير من أهلها أثناء وجودي بها ولكن لم أعر
الموضوع اهتماماً ولم يتيسر لي وصول تمنية فأتحقق مما قيل . غير أنه منذ سنتين

الذرية من ولدي يحيى أبو الطيب غانم ومنهم أمراء بيتس وجزاران وبانغت إلى آخر
ما جاء في الورقتين المنوه عنهما .

كما أني عثرت في معجم ياقوت للأدياء ص ٨٦ ج ١٤ في ترجمة علي بن عيسى بن
وهاس الأمير فقلعن دهمس بن وهاس بن عثود بن حازم بن وهاس الحسني أن
علي بن عيسى مات في مكة في سنة نيف وخمماية . وكان في عشر الثمانين وكان أصله من
البن من مخلاف بن سليمان ، مما يدل أن تسميتها بالمخلاف السلياني قديمة جداً .

ذكر لي صديق يعمل مفتشاً في مديرية المعارف بأنه تيسر له في أثناء دورة تفتيش قام بها في تلك الجهة الوصول إلى الكهف . ومشاهدة من فيه من الأموات فأثار قوله هذا . الرغبة في استجلاء حقيقة أمر هذا الكهف ومن فيه . وكان صديقي وزميل الأستاذ عيسى فهم لا يزال يعمل موظفاً في تلك الجهات وهو الآن معتمد للمعارف في ألبانيا . فكتبت إليه راجياً الوصول إلى الكهف والتحقق من أمره . وما يحاك حوله من أساطير فقام بهذه المهمة وبعث إلى بالبيان الآتي .

تقع تمنية في الجنوب الشرقي عن ألبانيا وتبعد عنها سبع ساعات على الدواب وساعة أو تزيد على السيارة وذلك لصعوبة طرقها . وتمنية عبارة عن واحة خصبة تنفجر منها ينابيع الماء بخرارة . وأرضها



منظر من مناظر الطريق إلى تمنية والكهف .

صالحة جداً للزراعة ، وهي مرتفعة عن سطح البحر بثمانية آلاف قدم تقريباً
أما أهلها فتغلب عليهم السذاجة والبساطة في كل شيء .

والغار المشهور يقع في موضع يسمى الشرحة ، أو دام شرحه ، كما يسمونه
أهل تمنيه . والشرحة هذه جبل شامخ في العلو يفصل بين تمنيه وتهامه وفي
قته يقع الغار متجها نحو الجنوب الغربي واتساعه ثلاثة أمتار في مثالي .



• صورة الغار والاساذ عبد الرحمن البجاوى يشير إلى فته بعضا في يده .

ويبلغ عدد الاموات الموجودين داخله أربعة نفر فقط ، أولهم عما يلي فم
الغار رجل مستلق على ظهره شاخص ببصره ، عظيم الجثة ضخم الجسم فطفل
صغير ، يليه امرأة مضطجعة على شقها الأيمن وعحضته هذا الطفل ، وفي احدى

أصابع يدها خاتم صغير قد بلى جداً . فشاب طويل نحيف خلفها . وهو أيضاً مضطجع على شقه الأيمن .

وجميع هؤلاء الأربعة عراة ليس عليهم أكفان أو ثياب البتة . وليس هناك ما يدل على أنه كانت عليهم أكفان أو ثياب . وقد صمرت أبدانهم ليست جلودهم حتى أصبحت كاللبن القديم . وانمحضت أشعارهم فليس لها أثر في الجمجمة . أما جلدة الوجه فقد زالت كلياً غير أن الأسنان لازالت سليمة — أما العينان فهما غائرتان . أو أن الحدقتين قد بيضا في داخل العين . وبالجملة فليس صحيحاً كل ما يقال عنهم . واعتقد أنه لا يمكن حملهم إلى مكان بعيد إلا بمشقة كبيرة إذ أنه يخشى تحطم هيكل الجسم من المفاصل التي أصبحت عارية عن اللحم والمصّب .



منظر قدم أحد الأموات بادية من طرف الكهف .

ولا يعرف جميع أهل تمنيه عن هؤلاء الأموات شيئاً البتة . وقد سألت أحدهم وهو يبلغ من السن سبعين سنة . فيما زعم — عن أصل هؤلاء الأموات وعن الشائع عنهم ، فأجاب بأنه وجميع عشيرته لا يعرفون شيئاً عن هؤلاء .

الأموات وعن الشائع عنهم . كما أن والده ومن في عصره لا يعرفون شيئاً أيضاً عنهم .

وقد تحسست الأخبار من كثير منهم فلم أظفر بنتيجة . فكلمهم لا يعلم شيئاً ولا يروى عن آباءه خيراً .

وتبعد الشرحة عن تمثيه بكنو منز تقريباً وليس فيها مقابر عدا هذا الكهف غير أني قد عثرت على كهوف أخرى جنوب تمثيه تبلغ الثلاثة مملوءة بالأموات رجالاً ونساء وأطفالاً . وبعضهم فوق بعض على غير ترتيب وقد ميزت الرجال عن النساء بثيابهم البيضاء . كما أن النساء معروفات بثيابهن السوداء . ومعهم . قرب . الماء قد استغثت . وأما هذه الكهوف فتسجده نحو القبلة . وقد سألت أهل القرية عنهم فأجابوا أيضاً بأنهم لا يعلمون عنهم شيئاً . الأمر الذي حقق لي جهلهم وغباوتهم المشتهرين بهما . وسكان تمثيه من بني مالك وهم ملحقون بعمير . كما أنهم غير بني مالك المعروفين شمال أبها . أما أسماء القرى التي يمر بها القاصد إلى تمثيه فأولها الشرف وتبعد عن أبها بثلاثة أرباع الساعة . وهي تابعة لقبيلة بني منيد في بلاد آل سرحان التابعة لقبيلة شهران . ثم تبدأ تشاهد القرى الصغيرة المتباعدة عن يمينك وشمالك ووراءك . وبعضها لا يحتوى إلا على بيت أو بيتين حتى تصل . المسقى . وذلك بعد ثلاث ساعات متواصلة . وبعد المسقى يكون واحد يكون سوف يوم الاثنين الذي يجمع كل هؤلاء . السكان في الأسبوع مرة واحدة . وتكون تمثيه بعد هذا السوق بساعة واحدة هذا ما جاء من زميلي المشار إليه . والذي اعتقده في أمر هؤلاء الأموات أنهم أناس من أهل هذه الجهة في أثناء موجة من موجات الأوبئة التي كانت تحتاج هذه النواحي . لاسيما في العصور السابقة . علق بهم المرض وهم يسرون فأفعدهم عن القدرة على المشي فأجأوا إلى هذه الكهوف محتمين فيها من عوارض الطبيعة وعوادي السباع . وأرهقهم العلة فأتوا وظلوا بالكهف . على أن الظاهرة التي تسلفت النظر هو عدم نحلل أجسادهم بالسرعة المعتادة . وحذا لو أن الحكومة عذبت بنقلهم ودقهم لينقطع ما يخامر عقول بسطاء البدو وجهالهم من شأنهم . فيحوكون حولهم الأوهام والأساطير

أبها مركز مواصلات هامة

وتتفرع من أبها أربعة طرق رئيسية . أحدها نحو إلى الشرق ومنه تأتي السيارات القادمة عن طريق بيشه وحيدس مشيط . ويوصل إلى وادي الظهران ووادي نجران .

وثانيها : وهو في الجهة الشمالية يوصل إلى قرية نحاييل فالمنفذه على الساحل في تهامة ، وإلى قبيلة بلحمر وما يتلوها إلى الطائف عن طريق السراة . وفي هذا الطريق إلى محابل عقبة تسمى ، شعاراء . هي رأس وادي تيمه

وثالثها : وهو في الجنوب الغربي من أبها يوصل إلى درب بني شعبة ومنه إلى صيدا فجيزان على الساحل . وفي هذا الطريق عقبة تسمى ضلع . أو . ضلاع هي رأس وادي باسمها ينصب في وادي عتود الغربي ويلتقي به

ورابعها : وهو في الشمال الغربي من أبها عن طريق قرية السودا يوصل إلى قرية الشعبين حاضرة قبائل المع ومقر الإمارة لهم في الوقت الحاضر ، وفي هذا الطريق عقبة تسمى . الصباء . هي رأس وادي العوص وهي أكبر عما في الطرق الأخرى من عقبات ومنها كان طريقنا إلى رجال

في طريقنا إلى رجال

أقننا في أبها ثمانية أيام . وفي يوم السبت ٢٣ من ذي القعدة سنة ١٣٥٩ شددنا رواحلتنا قاصدين رجال ورافقتنا في طريقنا هذا . الأستاذ عبد المالك مدير مدرسة أبها . وكانت حركتنا نحو إلى الساعة السادسة أي قبل الظهر بقليل ومراكبنا الحير بعد السيارة

سرنا في طريق جبلي نهبط تارة ونعلو أخرى . حتى شارفنا قرية (البَدَلَة) بعد ساعتين تقريبا وهي قرية على ميل شعب شهدنا فيه غديرا مترعا بالماء

تركنا البدلة ولا زلنا في ارتفاع مستمر ومنظر الجبال أجرد من الخضرة على مثال ما تركناه خلفنا إلى أن وصلنا قرية صغيرة تسمى (غاوة) من هذه القرية ابتداءً اخضرار الجبال لما عليها من شجر العرعر وغيره من النباتات . وفي الساعة العاشرة بعد العصر وصلنا قرية ، السوداء ، بعد أن مررنا بقرية صغيرة أخرى تسمى (محضان)

قرية السوداء

والسوداء قرية مدينة بيوتها من الحجارة موزن بعضها في بعض ، كأنها كومة واحدة من البناء ، مؤلفة من طابق واحد قائمة على قمة جبل وهي من أرفع قرى عسير . فارتفاعها عن سطح البحر يبلغ على ما قيل إلى ألفين وأربعمائة متراً^١ وهي تتبع قبيلة علكم إحدى قبائل عسير كما مر .

وتحيط بالقرية مروج خضراء من سلسلة المزارع التي أنشأها أهلها في الوهاد الواسعة والمصاطب العريضة المخذوة بالقرية وكان الموسم موسم ذرع الشعير فشهدنا حقوله بعد أن شقق الأرض واستوى بقدر شبر كأنها بسط سندسية في غاية البناء وحسن المظهر

ومزارع السوداء مشهورة بجودة ما تنتج من الحنطة . وأتذكر أنني قرأت في معجم صغير ألفه الأستاذ رشدي ملخص عن قرى الجزيرة أن في قرية السوداء أو على مقربة منها منجم للحديد عظيم

لم نخرج على جمهرة بيوت القرية . بل قصدنا بيتاً متطرفاً في منحدر من سفح الجبل كما استحسن ذلك لنا المكاري . حططنا رحالنا وبيتنا ليلتنا . ومن حسن الحظ أنها كانت ليلة دافئة نسبياً ولم تكن شديدة البرودة كما كنا نتوقع فقد خبرت درجة الحرارة في السحر فلم تهبط عن ست درجات فوق الصفر

(١) ذكر صاحب كتاب ، في بلاد عسير ، أن ارتفاع قرية السوداء عن سطح البحر ١١٤٢٠ قدما وذكر المسترفني في مصوره أن ارتفاعها ٢٩١٠ أمتار

مع انه اخبرنا من نحن في بلادهم من أهل القرية أن الماء كثيرا ما يجمد لديهم وهو لا يجمد إلا إذا انخفضت درجة الحرارة إلى الصفر فما تحت

وهواء السودا هواء متعش ، وهى جيدة المناخ لأرتفاعها ورغم ذلك فإن أهل البيت الذى حللناه كانوا مرضى بتوع من أنواع الحمى الخبيثة المعدية أظنها ، التيفو ، أو برايتفو ، وهم يسكنونها البهة ، تأتيم على شكل وباء ما حق ، فقد قالوا لى إن هذا الوباء اجتاح قريتهم منذ شهرين فاستوصلت منهم أسر وخليت منهم الدور

شهدت فيهم غلاماً لم يتجاوز العاشرة ، أبى من مرته كان مضطرب النظر كالمشدود وقد أمسى من الضعف كأنه حبكلى عظم يتكلم وكلم يأسف المرء للجهل المطبق على أهل هذه الجربة ولما هم فيه من قذارة وعدم اعتناء أو تحرز ، رأيتهم يتركون ما لديهم من آبار ويستقون الماء من النجول والمستنقعات ، غير آبهين بما هى عليه من وخامة وتلوث ولا أظن انتشار هذا الوباء لديهم إلا من هذه المياه الملوثة

جبل تهلال

روضة ومفان

تناوانا الفطور وحزنا أمتعنا على الخير ، وفى الساعة الثانية بعد الشروق استأنفنا السير وبعد برهة وجيزة انفسح أمامنا الطريق ، وبدأت لنا سطحة تهلال المشهورة^(١) وهى سطحة واطنة الدرى تنشر عليها أشجار العرعر وشجيرات الشت وما شاكلة من النباتات البرية ، كالخيزان والبميران ذى الرائحة الزكية الفياحة ، وكان لمنظر أشجار العرعر المتشابهة فى بعضها البعض وما يرافقها من الشجيرات المنبثة تحتها وسجع القمارى وأغاريد مختلف أنواع الطير وسكون الهواء إلا من نسيم عليل رطب - أثر سرور عميق فى النفس ، فيه

(١) ذكر صاحب كتاب ، فى بلاد عمير ، أن ارتفاع سطحة جبل تهلال عن البحر



، منظر من مناظر سطحة جبل تبال ،

من المتعة والاستئناس ما لا يمكن لمثل تصويره ووصفه ، والتعبير عنه أصدق
تعبير . وأصبح مارأيناه من المناظر الخلابة الرائعة - منظر قطع السحاب وهي
تتأرجح على ذرى جبال نهامة الواطئة عنا . بما خيل لنا معه ونحن ننظر إليها أن
السماء أقرب إلينا من الأرض

مناظر فيها من الحسن والمفان ما يجعلها جديرة بعقوبة الشعراء
وأرباب الخيال الواسع السامى والحس الرهيف لتصويرها بما تستحقه
من وصف

سرنا مأخوذ من هذا المنظر الساحر حوالى نصف ساعة ثم بدأ الطريق
يتلوى بين صعود وهبوط مع بقاء اخضرار الجبال والربى إلى أن وصلنا
قرية صغيرة تسمى الشرف حوالى الساعة الرابعة والنصف نهراً

وقرية الشرف هذه تخص سكان وادى العوض من قبائل المع وهي في
رأس عقبة السماء عبارة عن بضعة بيوت متناثرة متقيا مزارعها على المطر
وفي أول العقبة بئر عذبة الماء منها يشربون

وقفنا هتية ريثما أحكنا حزم أمتعتنا على الخير . ثم سقناها أماناً

واستأنفنا السير مشاة لأن الطريق في أول العتبة بل وفي كثير من أقسامها
لولبي ضيق ، شديد الانحدار يسير المرء فيه على حافة مهاو — لا يبدو عرض
الحافة نصف الذراع — سيراً مربعاً يكاد يصل درجة الخطورة .

ظلنا نتابع السير مشاة ونحن على حالة من الهلع خشية السقوط
والانزلاق فشيئاً كان مسبباً وترشحاً بما تطأ عليه أرجلنا من ضروس الأحجار
الرائدة نطمئن تارة ونضطرب أخرى إلى أن وصلنا نهاية العتبة في حوالي
ساعتين ونصف من الزمن فوجدنا سلسيل ماء ينحاح على صخرة ويتدفق
منها يسمى (العرقوب) .

جلسنا عند السلسيل تحت ظل بعض الأشجار النابتة بين الصخور
والأحجار وتسارعنا إلى الماء نرشف منه بأفواهنا فكان عذبا فراتا زاده
لذة وهناء ما لا يقناه من عناء وجهد في العتبة .

وبعد أن تناولنا طعامنا وأوقدنا السموار^(١) لصنع الشاي — انكأ كل منا
على مرفقه فوق الأحجار مصوباً بصره إلى معارج هذه العتبة الكؤود نشهد
سير الجمال التي تركناها خلفنا بأحاطها الثقيلة وزوالها من حيث نزلنا تجمع
أرجلها مرة وتبسطها أخرى حسبما تتبدل من المواضع . والجمال المسكين أخذ
بذنب الجمل يتمتع فيه تارة ويندفع معه أخرى موازنا سيره خوفاً عليه من
السقوط والانقلاب .

وعجيب أن يتأتى للجمال مع ضخامته وسنوقه وما عليه من حمل — أن
يسير في هذه الطرق الوعرة المننكة الضيقة المسالك .

في مثل هذه الديار والطرق التي لا يستطيع المرء أن يحمل فيها نفسه

(١) السموار كلمة روسية معناها الشوقد من نفسه ومن روسيا عن طريق
التركتان عرف أهل الشرق الأذن والأوسط هذه الآلة لغل الماء خصيصاً في
صنع الشاي .

فضلا عن متاعه تتجلى له منة الله تعالى ويلس معنى قوله . وبحمل أفعالكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس .

ونحن في مجلسنا هذا لمحتنا بعض الرعاة وصبيهم يسرون ركضاً خلف أغنامهم في جوانب الصخور والشعاب التي لامالك فيها بالمرءة لجمع ما تفرق من الأغنام بكل خفة وسرعة كشي أحدنا في طريق معبد مستقيم .
ذلك فضل المران والاعتیاد وما يكسب النفس من قوة العزيمة والاطمئنان .

وبعد أن شربنا الشاي شددنا على الخير ما كنا قنأنا لناد من أمتعة لنرتفق به . وبدأنا السير في وادي العوص واخضرار الجبال بالأشجار لم يزلنا إلا أن شجر العرعر تلاشي ونحن في أوائل المقبة . لأن المرعر لا يثبت إلا في الأماكن الباردة المرتفعة وهو شجر يشبه في منظره شجر الصنوبر المعروف وخلفه شجر الأثب وهو شجر غليظ الساق دوحى الأغصان قائم الخضرة يشبه ورقة ورق الدفلى في عرض عنه .

وادي العوص

ووادي العوص واد طويل كثير الأشجار البواسق فشجر الأثب والدر ، والجين ويسمونه (إبرا) منتشر فيه بكثرة تتخلله شجيرات خضراء داكنة كأنها القباب الصفار تسمى المصّرة قالوا أن فيه شرواً^(١) وجنياً للنحل جيداً فامتطلعت زهرة من أزهاره فوجدت في أسفل محتمها قطرة لزجة فيها شيء من الحلاوة .

سرنا في وادي العوص حوالي ساعتين باغتنا أناءها ونحن نسير حذو خلت طوله ثلاثة أمتار تقريباً أسود الأعلى والأسفل أصفر الوسط في غلظ
(١) الشرو والشرو بالفتح والكسر لغة العسل .

زند الطفل نفر من خثخشة أرجل الخير وانساب بين الأشجار فتركناه
كما تركناه .

قرية الشعين

وفي الساعة العاشرة وصلنا قرية الشعين وحططنا رحالنا ضيوفاً على دار
الأمارة ولم يكن الأمير موجوداً لأنه على رأس الخلة التي ذهبت لتأديب قبيلة
الصواعقة لتأييهم عن دفع الزكاة المشروعة (١) . فاستقبلنا ابنه وأزنانا في دار
تقابل دار الأمير وبعد أن استقر بنا المقام أخذنا أحد خوري الأمير إلى مجلس
الأمارة وهو عبارة عن حجرة أرضية مفروشة بالحصير فيها دكاك من اللين
يمتاز مجلس الأمير في صدرها بابتنتين كاعدى الكرسي . وعلى الدكاك شمال (٢)
مستطيلة لم تواجه صفحتها المكفسة منذ أيام .

وبعد أن تقهرونا علمنا أن الهيئة المختصة للتجوال والتفتيش على سير
الأعمال الإدارية في هذه الأنحاء قد انتهى بها المطاف إلى قرية الشعين صباح
يوم وصولنا إليها تخففت الأستاذ عبد المالك للسلام عليهم لأنى أعرف
بعض أعضائها وهما الشيخ صالح قزاز والشيخ محمد الحابس وبعد السلام
والتحية تعارفت بالعصوين الآخرين وهما الشيخ محمد الين والشيخ فيصل المبارك
وقضينا لديهم برهة سألونا عن سير الحرب القائمة إذ ذاك وحوادثها لقرب
عهدنا بالماضي . الراديو في أيها فآخبرناهم بما لدينا منها ثم رجعنا وتناولنا العشاء
بدار الأمارة وكان عبارة عن صفحة من الأرض ومليق اللحم ليس إلا .

(١) الصواعقة بطن من قبيلة شحب إحدى قبائل ألمع .

(٢) الشماز وأحدما شملة بسط من الصوف مستطيلة ومربعة معروفة في الحجاز
تشبه الكليم إلا أنها أخشن وبرأ وأغلظ خيطاً .

والشعبين قرية بيوتها من الحجارة قائمة على حواف شعب
من الشعوب المنحدرة من الجبال المطلة على القرية تشرف على ملتقى
وادي العوص بوادي حلي . ولذلك فأفق الناظر منها فسيح أمامه .
وهي قليلة الدور لا يتجاوز سكانها الثلاثمائة نفرأ . اجتاحتها الجدري في
هذه الآونة فأهلك من أهلها ما بناهر السبعين شخصاً وفيها يقام سوق يوم
الأحد من كل أسبوع عظيم بالنسبة لبقية أسواق قبائل المع . جتته مراراً
لشراء ما يلزمنا وشهدت في معروضاته الموز بجلبه إليه . بنو زيد . سكان
وادي « ناة » لوفرة المياه في وادئهم .



• منظر سوق الشعب أثناء قيامه يوم الأحد .

وأغلب ما يعرضونه منه حبات مفروجة يبيعون الحبة منه في الأغلب
بقرش والقرش من أبا إلى جيران هو نصف قرش سعري .
ولا يزال للريال الفرنسي قيمة ومدار في البيع والشراء بل كثير من
البدو يستكشفون عن قبول غيره ويعرفونه (بأبو حرة السلطاني)^(١) .
وما آبار الشعبين أقل حلاوة مما تركناه خلفنا من مياه .

(١) الريال المذكور ليس من عملة حكومة فرنسا وإنما هو ريال نمساوي =

الوصول إلى رُجال

بنّا ليلتنا ولما أصبحنا رأيت والأستاذ عبد المالك أن نترك الأمتعة وبقية الرفاق ونذهب منفردين إلى قرية رجال وهي قرية من الشعبين لا تنصلهما سوى عقبة تسمى « رَز » تماثل عقبة الثقب الأحمر في طريق الطائف الجبلي أو تزيد عنها قليلاً في صعوبة المسلك .

كأريتنا على حمارين ركبناهما ركوباً ، صدق أو لا تصدق ، المشي أفضل منه وبعد أن اجتزنا العقبة وسرنا بضغ دقائق وصلنا قرية رُجال وانصلنا فيها بالشريف عبده الحارمي مأمور المالية إذ ذاك فاستقبلنا أحسن استقبال لا يزال طيب أثره في نفوسنا وقررنا وإياه أن يكون مقامنا في رجال في إحدى دورها كيئفاً انفق ثم بعد أن يستقر بنا المقام تنخير الدار الصالحة لأن تكون مدرسة وتعدنا على مائدة المشار إليه وقدم بقية الرفاق بالأمتعة آخر النهار ، فأمعن الشريف في الأكرام وأبى إلا أن يكون عشاؤنا جملة عنده أيضاً

رتبنا أمتعتنا في المسكن الموقت الذي تحصل لنا عليه الشريف عبد الله وبنّا ليلة ذلك اليوم على حالة عادية وبات معنا الأستاذ عبد المالك تلك الليلة وليلة أخرى قفل في صبيحتها عائداً إلى أبها . وأخذنا نحن في افتتاح المدرسة واستقبال الطلبة وما إلى ذلك

قرية رُجال

وقرية رجال في صدر واد صعب يسمى « وادي كسان » يمتد بقرى مرحلة

== أخال أنه عرف التعامل به في الجزيرة والحبيشة على عهد امتيلاء البرتغال لبعض سواحل الجزيرة في عام ١٥١٥ م ولكنه الآن قد انقرض أو كاد فقد شددت الحكومة في تحطير استعماله والتعامل به .

(١) رجال على وزن غراب هكذا وجدت مضبوطة في رسالة « نفع العود في سيرة الشريف حمود » لحسن بن أحمد بن عبد الله البكلي وهي مخطوطة اطلعت عليها عند بعض الحفاطية من سكان رجال وهكذا ينطقها سكان القرية .

ولا يخلو محيطها من شجر الأثل والجيز والدر . ولهديل الحمام المطوق على أغصانه وتغريد الطيور لا سيما المعروقة عندنا (بالثفري) — أصوات شجيرة مطرية خصوصاً في الصباح الباكر مع لطف الهواء وبقية طراوة نسمات الليل .

وقد مضت علينا في رجال أول ما قدمناها بضعة أشهر كانت غاية في الاستئناس والابتهاج .

فقد كان المطر لا يتقطع عنا أثناءها أياماً متتالية بل قد يدوم تهاته أسبوعاً كاملاً على وضع في نهاية اللطف والجمال .

فما أن زول الشمس حتى نشهد قطع السحاب قد بدأت تنفلت من خلف ذرى الجبال المحدة بالقرية متجمعة متكاثفة على سماءها فإذا ما أطبق السحاب عليها من سائر الجهات أرسل مطره منها أحياناً ورذاذاً أحياناً إلى ما قبل الغروب بساعة أو ساعتين ثم تنقشع السحب وتصحو السماء .

وكنا قد اتقلنا من البيت المؤقت إلى بيت من أجمل بيوت القرية واقع في قم شعب على نهد من السفح مؤلف من طابقين في كل طابق حجرتان متسعتان تتقدم البيت ردهة برّاح وتعلوه حجرة صغيرة تنفذ إلى سطحه .

فكنا بعد أن تصحو السماء نبرز بالكراسي والدكاك ، إما إلى ردهة البيت أو على السطح ونجلس مستمعين بالنظر إلى ما خلفه نزول المطر من نقاء وصفاء وانتعاش في الحجر والشجر وكل ما في القرية .

وقد يستمر بنا الجلوس والسمر في الليالي القمرية إلى آخر الربع الأول من الليل وكثيراً ما كان يضوى إلينا قاضي القرية وبعض وجهائها فتجاذب شهي الحديث في مختلف المواضيع . سويكات وليال مرت ما كان أحلاها .

بيوت قرية رجال

وجميع بيوت رجال من الحجارة منها ذو الخس طبقات ويقل منها ذو الطابق والطابقين .

قائمة على حفافى الوادى من الجانبين متراكب بعضها على بعض . ترى البيت الواحد موزع الملكية بين عدة أشخاص لكل شخص طبقة مخصوصة وبعضها قبيح المدخل وكثيراً ما ترى سطح بيت مجازاً ومراً لبيت آخر وتوافذها ضيقة رغم أن لا شدة للبرد فيها فدرجة الحرارة طول فصل الشتاء لم تهبط عن العشرين بكثير .

ويسمون النافذة « كشره » ، كاهل ايها .

على أن بعض بيوت أثريائها ووجهائها لا بأس بتزيينه وهندسة بنائه وهي على العموم منقوشة من الداخل على طراز ما وصفت لك من نقوش فى بيوت أيها بل إن أشكال النقوش فى رجال وأوضاعها أجل وأتقن مما فى ايها وقد علمنا أن أهل ايها اقتبسوا هذه النقوش من أهالى رجال وعرفوها عنهم .

وهم أكثر تحلية وتنميقاً للبيوت من أهالى ايها . غير أن الخضار المتخذ من عيدان البرسيم لا يتخذ فى بيوت رجال لأن البرسيم لا يوجد فيها ولا قريباً منها فزارعها كلها على المطر لا تصلح لزراعة البرسيم . وليس فيها سوى بثرين للشرب فقط . والمراحض معدومة فى بيوتها بالكلية عدا بيت أو بيتين لأنهم يستكرونها ما يفوح فى بعض الأحيان منها من الروائح ويستعيون غشيانها ، وأول من صنع بيت خلاء مأمور للبالية من أهل الحجاز صنعه فى البيت الذى سكناه موقتاً ولكنه كان بيت خلاء وجوده أضر من عدمه لما ينبعث منه من الروائح الكريهة فى كثير من الأحيان . وكان حجة قائمة على صواب رأى أهل القرية فيما يأبونه منها . وغرف البيوت لا تفرش أرضها عادة كما هو فى ايها بل تبلط بالطسين ثم يحدد

وهو طرى بحر أربعة أصابع اليد مقوسة بترتيب ظريف يشكل أرض
الفرقة بشكل جلد السمك .



محنة مناظر في رجال وترى البيوت مراكبة على بعضها البعض
وأشجار الجبل بادية بجوار مسجد القرية

وفي أطراف الحجر تدور كراسي من الشريط يسمونها أمقعايد
(القعايد) مطلية قوائمها بالقطران أو الحشن .

وللقطران الباقى شأن عظيم فهم يطلون به قوائم السرر والنوافذ والأبواب
ومواعين الماء فهو في مقام (البويا) ويصفوة القطران وزيته ي غسل الرجال
والنساء رؤسهم ويدهنونها لقتل ما يتولد فيها من القمل .

وفي استعمالهم للقطران هذا الاستعمال توفيق من الله إليهم لما في القطران
من خاصة قتل بعض الجراثيم وإبعاد الهوام والخشرات فهو يلعب دوراً مهماً
في الوقاية من بعض الآفات التي لولاه لما أمن انتشارها .

ولابد للقعايد من ارتفاع عن أرض الفرقة بدعائم من الخشب ملبسة

بالطين المبيض المحلى بخطوط مختلفة الألوان وتحت القعائد على الجدار
ذكاك في عرض شبر يضعون عليها بعض الأواني والمرافق البيتية .

وفي واجهة كثير من البيوت خوارج مربعة مسقوف بعضها وبعضها
مكشوف يظنها الرائي لأول مرة (رواشين) أو (بلكونات) وما هي إلا
نواقي من الأعواد الرفيعة مرصوفة بعضها مع بعض تستعمل إما مفصلاً أو
مطحناً ويسمونها (شتحة) .

ولا يزيد ما في رجال من الدور عن المائتي بيت موزعة إلى أربعة أقسام:
قسمان كبيران يسمى أحدهما (مناظر) والثاني (التنصيب) أو الكداحة
وقسم بأعلى القرية يسمى (الحرجة) وقسم بأسفلها يسمى (علة) لا تزيد
بيوته عن عدد أصابع اليد . ولا يتخلو بيت في رجال من شيء من البق وله
من شريط القعائد خير مأوى وأقوى حصن .

أما بيتنا الذي زلناه لأول مرة فله الحظ الوافر منه كأنه مقر سلطنته في
هذه البلد .

ولو لا ما كان معنا من وسائل الوقاية لما غمضت لنا فيه عين ولما عرفنا
معنى الليل على أنه قد يندفع علينا نهاراً فترى الواحد منا شغله الشاغل اللقط
والجمع ونفض الثياب للبحث عنه ، حالة كم ضحكنا منها على بعضنا البعض .
وآبار قرية رجال بعيدة الفور وماؤها كماء زمزم حمدناه لما فيه من
إدرار ومقاومة للأمساك .

والرياح القوية قليلة الهبوب فيها لشموخ الجبال المشرقة عليها ولذلك
ولتراكب بيوتها على بعضها البعض كأنها في منظرها بعض بيوت مكة يقول
أهلها إدلالاً بها ، رجال إزمكة ، (١) .

وتستلمح الأرض التي لا هوى بها ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

(١) إزمكة بمعنى ابن فاتهم يقلبون الثوب راء في النطق كما سيأتي بيانه .



« صورة بعض بيوت رجال وترى الخوازيج ، الشنعة ، بادية فيها »

السوق في قرية رجال

وللقرية سوق يفد عليها من حولها من القبائل في كل يوم جمعة واثنين على شكل أسواق القرى وفيها بضعة دكاكين مفتوحة على الدوام .

واعتماد أهلها في القوت على الذرة والقهوة وأثرهاؤها ومتوسط الحال منهم لا يخلو طعامهم من اللحم في أغلب الأيام .

واللحم يباع بالأقسام - لا بالميزان ويسمونه (شركة) . - على شكل ما وصفت لك عند الكلام على (تربه) وأغلب ما يذبحون الماعز

وأسمار الحبوب والسمن اللحم وما شاكله من الانتاجات الداخلية أرخص مما في أيها .

وطقسها رطب معتدل الحرارة كثير الطل والندى لا سيما في الليل .

وبعد أن طالت إقامتها بها وأنسا بما لاقيناه من طيب المعاشرة في بعض أهلها حمدناها على ما هي عليه .

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

سكان رجال

وسكان رجال عموما لا يريدون عن الألف معظمهم من بني ظالم وفيها بيت يعرف أهله بالهنود يحترفون صناعة الحلل من الفضة والمعدن وقد اندمجوا في أهل القرية وأصبحوا منهم في كل شيء لا يمتازون إلا بما يلبسه المرء في أفرادهم من استقامة وطول في الأنف يختلف عن السحنة العربية ويطلب على ظني أن أصولهم إما من السود أو البشاورين ومن سكان رجال العائلة الحفظة التي سيأتي التعريف بها .

تقاليد وعادات

ولأهل رجال ولع وتقاهر بزين غرف بيوتهم بما لديهم من أمتعة بيتية وغير ذلك فتراهم يحيطون سائر جدار الحجرة برقوق ينصبون عليها الكثير من الأواني كالأطباق والفضائر^(١) والأكواب ونحتها (جنات) القهوة و (دلالها) من مختلف الحجوم والأنواع وبعض الأطباق من الصاج المدهون (السينكو) مخرقه ومعلقة بخيوط في سائر الجدار مضافا إلى ذلك ما لدى الشخص منهم من مصابيح وفوانيس وسيوف وجنابي وبنادق وما شاكل ذلك . مما يخال للمرء معه أنها دكاكين للعرض لا حجر للسكن . وهذا ما لم نشهده فيما دخلناه من بيوت أيها حاشا أنني دخلت بيت صديق

(١) واحدها غضارء وهي في اللغة (على ما جاء في المنجد) القصعة الكبيرة وفارسية وأهل نجد وعسير يطلقونها اليوم على ما نقول له نحن في الحجاز (الزبدية) وفي مصر (السلطانية) .

أعرس حديثاً . فوجدت ملابس المروس وبعض الأمتعة متثرة في المكان للعرض ولما سألت قيل لي هي عادة في أوائل أيام الزواج وهكذا عرفت مثل هذه العادة لدى سكان جبال الحجاز الأدنى للطائف فقد شهدنا زفاف خمس من الصبايا أقيم في قرية الشعاعيب من قرى وادي ميسان من بلاد ناصرة عرضت ملابسهن وأمتتهن في أوائل أيام العرس كهذا العرض .

وأهل رجال في خلقهم وأخلاقهم وملابسهم لا يختلفون عن أهل تهامة إلا بأشياء خالطهم من عادات أهل السراة لتوسطها وقربها من السراة ولا يبعد عن الحقيقة من بعدها من أطراف السراة . ومنذ أن هبطنا من عقبة الصماد أخذ يخالط بعض السحن شيء من السمرة الشاحبة .

ألبسة الرجال والنساء

والملابس إلا النادر مزر وصدرية ذات أكمام والرؤس حاسرة وافرّة الشعر غير معقوص ولا مضفور بل مرسل ومفروق من الوسط ومحاط إما بفتيل من نبات ذي الرائحة النفاحة أو بسير من الجلد محلى بقصدير (اكليل) . ويضعون في وسط الرأس بل على أحد جوانبه لفّة من نبات الریحان يفرسونها بين الاكليل والرأس يسمونها (غرارة) . ولا بد من (المعيرة) الجنينة في الوسط فقليل جداً من لم يحل وسطه ولو بسكين على الأقل .

أما النساء فلباسهن خليط أغلبه يتخذ على القميص ولهن بالمآزر تفاخر ومنها ذات الثمن الضالّي تجلب لهن من اليمن الأقصى وهي المعروفة عندنا بالمصانف . . ويلبسن قصانا أيضاً هي الفاتين المعروفة .



• سورين يدويتين تمثل بعض أتيان القرية في لباس العنوة والأناقة .

وعما يتفاخرن بلبسه ثياب يسمونها الخلل يتخللها في الثياب من الحرير
وشكلها كشياب الدرازيون التي كانت تستعملها قديماً نساء مكة . وهي ثياب
واسعة الأردان تتخذ من رفيف النسيج .

ويعتدن في حلين (التي لا تختلف عن حلي سكان جبال الحجاز وكلها من
الفضة والمعدن) . لبس الخنخال ويسمونه « حجل » و « الدمليج » ولكنهم
يلبسونه في العصد بدل الزند ، ومعظمهم محرق الأنف لتحليتها بأزرار من



« صورة بدوية أخرى تمثل فتى من قتيان القرية في شكل آخر من اللباس »

الفضة ، بسمونه « الزمام » ، ورؤوسهن مدورة بالخمر ويسمونهن « مقام »
كأهل إيهما .

وليس على المرأة في رجال سوى شؤون البيت إلا ما ندر منهن أما
الاحتطاب وسقى الماء فأغلب ما يفعله منهن الفقيرات وطبقة الموالي وهم
كثير في رجال .

ونساء من حول رجال من القرى سافرات ولياسهن مختلف ، فمن كن
من سكان الجبال المصاغبة للسراة فلباسهن الثياب كأهل السراة وهن أنضمر
وجهاً وأجل ألوانا ، ومن كن من أهل الوديان والأماكن الواطئة فلباسهن



« منظر بعض نساء تهامة وعلى رؤوسهن القبعات المستطية . »

الصدر والمآزر . وبعضهن يلبسن ثيابا واسعة الأكمام والأردان كثياب أهل شنقيط .

وعلى رؤوسهن جميعاً القبعات الخوص التي سبق ذكرها عند الكلام على من يرد منهن سوق أبها ويسمونها « طفشة » .

والطفشات على ثلاثة أنواع نوع واطئ واسع الدائرة صلبها ، ونوع طويل واسع الدائرة مع تهديء وإين فيها . ونوع طويل ضيق الدائرة صلبها كأنه برانيط بعض رجال كوريا من إقليم الصين .

وقد لاحظت أن الطفشات ذات القبعات الطويلة يتخذنها لإبائها مستودعاً لما لا تترك المرأة مصاحبتها كالشط والمكحلة فهي تحقيبة اليد عند المرأة المتحضرة .

وأغلب أهل قرية رجال من المتكسبة بالبيع والشراء لضيق الوادي لديهم وندرة الأماكن الصالحة للزراعة فيه .



« صورة امرأة من سكان نهامة الجبال على رأسها الطفشنة . »

لغة قبائل الملع ولهجاتهم

والطمطانية والكشكة شائعتان في لغة قبائل الملع عموما بأظهر عما هي في السراء من جبل عسير ، ويستعملون كلمة الرواح في معناها النصيح بمعنى الإوبة والرجوع مما يشكل فيه وإدراكه على المسكي لأول وهلة للضد في الاستعمال عنده .

ويقولون « ميد » بمعنى أريد . ومدار النبي في كلامهم جميعه على ليس .

فإذا سأومت إحدى الباتعات ولم يرافقتها انمن قالت « است ميد » أما ما فلا أثر لها في أفواههن مع أنهن يرون « عاقل الحب حرام » .

ويقولون « أهريت » بمعنى بحثت وأرسلت كاهل ابها ولم أدرم اشتقاقهم هاتين الكلمتين فقد طاعت مادة (ماديميد) (وهريير) في المنجد لم أقف على

ما يمت إلى هذا الاستعمال بصلة . ولعل من له اهتمام بذلك أن يقوِّص في مادتيهما من أمهات كتب اللغة عنه يطلع منها بما يثبت صحة الاستعمال .

ويقولون « مُعَيَّلٌ » و « مُعَيَّلَةٌ » بمعنى صغير وصغيرة ، ويدلون النون في ابن وإبنة بالراء فيقولون « أمليَّةٌ عرس إبنة فلان على ابن فلان .
ولهم في حفلات الزواج عادات غريبة بعضها مما يضحك وهاك قصتها .

حفلة زفاف

تَن تَن تَن

تساءلنا ماذا ؟ — فقد خيل إلينا لأول مرة أنها أجراس تدق — فقيل لنا أن عروساً تزف إلى بيت زوجها وأن هذه أصوات المفراز ، الهاون ، يقرع أيضاً بتحركها من بيتها إلى بيت الزوج .

كان الوقت قبيل المغرب فنسارعنا نشيد هذه الزفة فإذا جمهرة من النساء عليهن المآزر المزركشة وعلى رؤوسهن الخمر فوات الذهب بالوانها المختلفة والعروس تتهاذى وسطهن على سيارة لكنها من نوع « حارليت » معتمدة من جانب على أحد أقاربها ومن الجانب الآخر على إحدى قريباتها . ومقود الحمار في يد إحدى الموالى يمشى به الطوبى بين ضجيج الزغاريد وقرع الطبول (ولا تنس الهاون فإنه هو أيضاً برن صوته ويدوى) . إلى أن قاربت بيت الزوج فدوى صوت الهاون منه أيضاً وبرز آله وأقاربه مصطفىين بنشدون أناشيد الترحيب والاستقبال .

فلما أن رأى الوجه الوجه تجلت العروس صامتة لا تتكلم ولا تتحرك « مايش » مانت مينت ،^(١) وهي لا تجيب بكلمة .

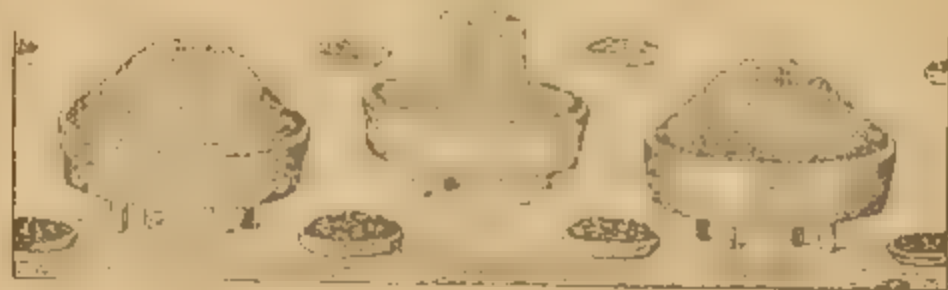
فاختطف أحد الحاضرين مذحف العريس من على كتفه ومده بساطاً على الأرض ، عندئذ تحركت العروس بالسير تدبخر على هذا البساط خطوة خطوة ثم وقفت « مايش » فقال أحدهم ما كيفت « نشيتي قهوة » تريد قهوة

(١) أى ما بك ، ماذا تريدين ؟

وفي لمح البصر قدمت لها القهوة ، وبعد أن تناولت فجانا وهي واقفة وطابت نفسها بما نالت مما يعتبر بينهم من مظاهر التقدير والتكريم — مشت مشياً متباطئاً والزغاريد تعلو والهليون يقرع من الجانبين .

فلما أن بلغت باب الدار برزت من بين الجمع أم الزوج ومولاة لها وأجلست العروس على (أمقصاده) ودارت الألسنة بكلمات الترحيب والتبجيل وأخذت أحدها من قصب الماء والأخرى تفصل قدى العروس ثم دخلوا بها جميعاً إلى الدار .

هذا انتهى الفصل الأول من فصول الزفاف وبدأت الموائد تنصب وهي عبارة عن صحاف خمير الذرة المثلوث بالمرق بعد خبزها ، عليه قطع اللحم المسلوقة ولا تخلو المائدة من بعض أطباق الخضار المطبوخة .



صورة بعض الموائد .

بعد أن أكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً بدأ دور الرقص والطبل على أهائهم واغنيتهم الوطنية تتخللها زعقات يطلقون عليها « جئرة العرس » . تركناهم في لعبهم يخوضون وذهبنا . وفي وقت السحر قرع الهليون قرعاً عالياً مدوياً فاتقينا مزيجين من نومنا وسألنا جارتنا المعجوز (فقد تذهبت هي أيضاً) ماذا ؟ فقالت لنا أنه جازها . فقلت وما معنى جازها فقالت :

بعد أن ينتهي اللعب وتطيب نفوس اللاعبين منه وذهبون إلى دورهم يخلى بين العروسين فيمد الزوج يده متلبساً . ولا ورثي مما حلت وزرقي

أو تهب لي عشرين ريالاً ، وبعد مساومات وبيع وشراء وجذب وامتناع يقع الاتفاق على مبلغ ترصده العروس وهنا يسدل الستار على الفصل الثاني من رواية هذا العرس .

ويسمون ما يدفعه الزوج عندئذ ، *حلّ الزّرة* ^(١) .

فلما أن جازها على ما وصفت لنا الجسارة علت الزغاريد وبدأ دق الماؤون الذي أطار عنا النوم في أعذب أوقاته . وأخذ المفرش الذي شهد المعركة ملطخاً ونشر على حبل في إحدى غرف الدار ليشرده في صبيحة تلك الليلة من تجمي من النساء للتهنئة . واجتمعن في ذلك اليوم للغناء واللعب

البيض *فالش* ^(٢) و*كسوة الحليش* ^(٣) *يا ناشية* ^(٤)

إلى *بدي المورج* *ردي سافنا* *يا ناشية*

دفرش *تبعلا ثلاثة فراق* *يا ناشية* ^(٥)

أما *فلانة بيضن وجه ابوها* *عينو* *يا شيفة* *وانبعوها*

وأهل هذه النواحي يعنون بحفلات اختان أكثر من عنايتهم بحفلات الزواج ولقد شهدنا حفلة ختان برجال أقبمت لأحد أبناء أربابها كانت الغاية فيما يفعلون من ذلك .

(١) هذه العادة معروفة في اليمن أيضاً فقد ذكر العلامة الشيخ عبد الواسع النيماني في تاريخه ص ٣٠٤ : *ويؤم الزوج أن يدفع للزوجة حق الاقتضاء ليلة الدخلة ويسمى في اليمن حق الصياح* . ويظهر من كلامه أنها في غير ما اشترط ومساومة ، وتذكرت بهذه المناسبة بيتاً لشاعر قديم وهو :

قف واستمع ما قاله ملك الهوى لجليسه

تذكرك الملاح محلها من حل عفدة كيسه

(٢) قالك (٣) *لخالك* *يا ناشية* *أى يا صبيه* .

(٤) *دفرش* يعنى دم بكارتك والفراق واوحدما فرقهو ماعون من الخوص تعباً فيه المتزوجات من الذرة والحظوة والدخن يسم حوالى اربعين كيلو مكية .

حفلة ختان

ففي أول جمعة من جمع شهر ذي الحجة ونحن خارجون بعد الصلاة من المسجد لحظت قتي في اقبال من شبابه ودينه يسعى نهباً بخطى سريعة متوجها نحو إحدى الدور لفت نظري اليه مئزره الحريري المخطط الملمع والصدري من الحرير الأخضر وشعره المرجل في تمام الزينة وما يحمله من سيف مفضض ذي حائل حريرية ظننته لأول وهلة عروساً في صبيحة ليلة الزفاف ولما سألت عنه قيل لي إنه ابن أحد تجار القرية وأن أباه يريد أن يُعَلِّيه، بعد عيد النحر تذييلاً واستكمالاً لأفراح العيد . فقلت عليه ماذا ؟ أيرفعه على قمة جبل من هذه الجبال ؟ فضحك محذو وقال بل يختنه والختان عندنا إعلام وترفع فان الشخص لا يعتبر رجلاً يسرى عليه ما يسرى على الرجال إلا إذا ختن ولو بلغ سنه خمسين سنة (١) وسيقام لهذا الولد ، هود كبير قاييت (٢) ، فقد دعى اخواله من الشام والشام عندهم كل ما كان في الجهة الشمالية بما يليهم وفي مساء هذا اليوم قرع الطبل : والطبل اذا قرع في مثل هذه القرى تسابق اليه الناس وبعد برهة وجيزة من قرع الطبل برز الشاب من بيته وانضم اليه من اجاب الداعي وأخذوا في الرقص والملاعب على طريقتهم ، فقرات بهلوانية

(١) اعرف مثل هذه العادة والتقليد في بعض قبائل هذيل القاطنة على بعد ثلاث مراحل من مكة وجنوباً عنها بمايلي سفوح جبال السراء ، فانهم لا يعتبرون من لم يخنن كامل الرجولة يجب عليه ما يجب على الرجل الكامل بل لا يحق له أن يرجل شعره على عادتهم فتكون له حفة كحفة النساء . ولو بلغ أربعين سنة وكان له أولاد ، ويسمون الأغلف مرغول ، وكثيراً ما إذا هبط أحدهم إلى مكة يعض متوجاههم من الفحم والحطب وما شاكل ذلك وأراد بعض أوباش أهل السوق أن يطرأ عليه ناداه ، يا مرغول ، أويأ (أبو دغله) فيجن جنونه ولو وجد سيلاً لقتال من يقول له ذلك قاتله ، وهم أيضاً في عملية الختان ويسرون على طريقة قبائل المع التي سيأتي وصفها : (٢) هود بمعنى حفل وقاييت بمعنى فائق .

وركض في ميدان اللعب وضرب بالأرجل على الأرض، حالة لم أذق لها طعماً .
فلت هذه الألعاب داتبة أحياناً ليلاً وأحياناً نهاراً حوالى عشرة أيام
طلعت أثناءها إلى أبها منتزاً عطلة العيد مخافة الأهل والأصحاب باللاسكى
ومبادلتهم التهانى بعيد الأضحى .

وفي أثناء وجودى بأبها حدث يوم السبت ١٢ الحجة سنة ١٣٥٩ زلزال شديد
تصدعت فيه بعض البيوت والمباني المستعدة للتصدع وتواردت الأخبار في
أمنية ذلك اليوم بأثره الشديد في بعض الجهات التي حول أبها مما يلي الجنوب
فقد قيل لنا أن الكثير من الأطوار ومشارف الجبال تدكدكت على بعض
الرعاة والمحتطين فأودت بهم وأن أشد أثر للزلزال حصل على الحدود اليمنية
وفي البلاد اليمنية نفسها .

وأذاع الراديو في تلك الليلة أن زلزالاً شديداً وقع في جهة « أدنه » من
بلاد الترك على الحدود السورية .

ولا أطيل القول عن هذه الكارثة الطبيعية فحسبنا ما نحن فيه من زلزال
الافكار وما يقرع الأسماع من أهوال الحرب القائمة وفضائع القتال . ولأعد
لوصف حفلة الختان . فقد كان من محاسن الصدف أنني رجعت من أبها إلى
(رجال) في صبيحة يوم الختان .

وقال لي الرفاق إن أمس كان يوماً مشهوداً في برناجنا .

فقد قدم أخوال المحتفل باختنانه من الشام . وما أن بدت تبشير مقدمهم
من أعلى عقبة « رَز » المشرف على القرية حتى تجمع أهلها وأعيانها واصطفوا
وسط الوادى مسلحين في أكمل زى يروونه وهرع المحتفل به يصحبه قارعو
الطبول واستقبل أول دفقة منهم وعاد بهم والطبول تقرع وهو محمول على
أكتاف عبد من العيد فحيوا وحيوا وتقدم أحدهم واستدعى المراد خته وقال
إِنْ مَا جِئْنَا بِهِ شَيْءٌ مَا يُذَكِّرُ فَاثْمَلُونَا عَلَى السَّلَامَةِ .

ثم تقدم شخصان وأمسكا بطرفي إزار حريري^(١) فاخر نشره وأخذ مقدم من أتى يلقي فيه بالريال إثر الريال ومُصيح^(٢) القرية يعد ذلك . وكلما بلغ العدد عشرة رفع صسوته بها عالياً إلى أن بلغت الريالات المطروحة ثلاثين ريالاً فطوى الأزار وعاد الولد وأتى بالدلفة الثانية على ما سبق من الوصف .

كان في الدلفة الثانية جد الولد لأمه وبعد عبارة طاب التجاوز والمساعدة وأن ما أتوا به من عون ليس بالشئ المذكور وأنه لا يساوى حتى قبة نور قد أرادوا إخفاءه لولا العادة والتقاليد .

نصب المنبر وأخذ المقدم يلقي فيه بالريال تلو الريال ومصيح القرية يعلن العدد . حتى بلغت ثلاثمائة ريال فرأى وبذلك انتهت مراسم الاستقبال وذهب الضيوف إلى ما أعد لهم .

وفي صباح اليوم التالي قرعت الطبول وبرز الشاب في زيه الذي وصفته لك لأول مرة مستلاً في يده جنينة يلعب بها وسار مخفوفاً بأهله وذويه في أيديهم السيوف وعلى أكتافهم البنادق وصوت الزغاريد ينبعث عالياً من الأمام والنساء المشتركات في الحفل بأيديهن المناديل كالرايات يلوحن بها إلى أن وصلا ربوة في أحد شعاب الوادي .

طفر إليها الفتى وأحرق به أهله وذووه وأبعدوا غيرهم من الحشد وقسح عنه المنبر الحريري وألحف بقطعة من « الدوت » ، (٣) وجاء الختان .

وهنا علت صيحات من حوله بكلمات التشجيع هازين في وجهه السيوف . محمد يا محمد بحرل يا محمد . .

فأفرج محمد عما بين مخذه وجمد في مكانه جا حظ العينين مأخوذاً بما حوله وتقدم الختان بمدية طولها فتر لا أدري مبلغ حداثتها ثم قبض على جلدة نحو

(١) المعروف عندنا (بالمصنف) (٢) المنادى ،

(٣) هو الدمور في اصطلاح المصريين

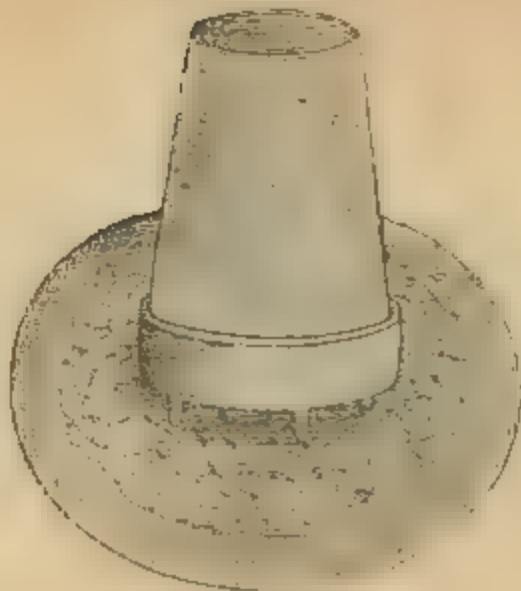
تلقي القضيبي من الأعلى فاجتزها بسرعة ، ثم تناول مثل ذلك من الأسفل
وجزها فتدفق الدم والولد مبللق عينيه إظهاراً لثبات الجنان وعندي أن
ذلك ثبوت الجنون فليس هو إلا في حالة فقد الشعور والإحساس مما توالى على
مسامعة من الصيحات والزعقات وما توحىه إلى نفسه من مخزى الدهر لو
طرفت له عين أو بدا عليه شيء من الاضطراب ومنوم نفسه قام مقام البنج ،
عندما انتهى الخائن دوى صوت البنادق وصاح من حوله : *يَجَلْ يَجَلْ* ،
ثم انهال الخشد من الربوة في رقص ولعب والولد المكين يرقص بينهم غير
آبه بما يتدفق منه من الدم إلى أن توسطوا الوادي ورقصوا برهة ثم نادى
المنادى يدعو من حضر لحضور المأدبة .

فساروا وسرنا ورامم فلما شارفوا البيت تجدد الرقص في شكل دائرة
رقص الولد في وسطها بشاركة أبوه أحياناً وجده لأمه أحياناً كأن ذلك من
تقاليد العادة .

انتهى اللعب وأخذ الولد إلى مقر الحريم ، وسبق المدعوون إلى غرفة
المائدة زمرة زمرة كلما انتهت زمرة أدخل غيرها .

المائدة الألمعية

وكان الطعام من الدخن على طريقة ألمعية لا يماثلهم في صنعه أحد من
القبائل في تلك الجهة كما قيل لنا . وذلك أنهم يخبزون عجين الدخن أقراصاً
ثم يدهكونها بالأيدي إلى أن تختلط وتكاد تعود عجياً كخالها قبل الخبز .
ثم يأتون بصحفة من الخشب سعتها بحسب كمية الطعام المخبوز من خبز
الدخن ثم يكبسونه فيها كبساً قوياً متعالين به على شكل مخروطي واسع
الأسفل ضيق الأعلى قليلاً فإذا ما استوعبوا وضع الطعام في الصفحة
جعلوا في أعلاه قدحاً من الخشب غاطساً فيه ثم يملأه سناً ويجعلون
الصفحة وما حوت وسط دفتنه ، مفرش مستدير من الخصر ويحيطونها
بقطع اللحم المسلوق ويسمون هذا الغذاء *مَرْزُومَة* .

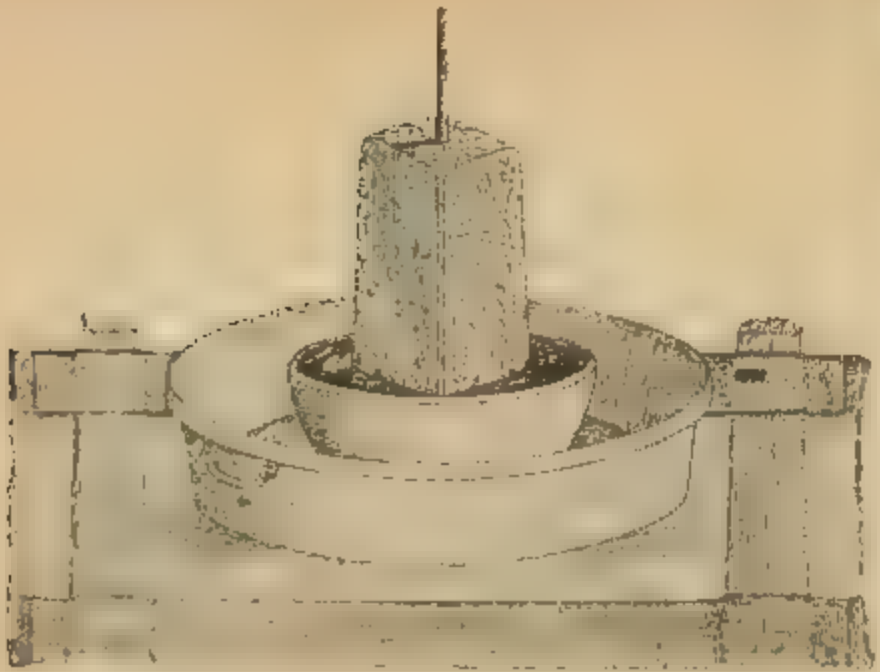


صورة يدوية لطعام « المازوزة » .

وطريقة الأكل من أسطوانة الدخن هذه هي أن يدعى الحاضرون إلى
الحجرة القائمة فيها الأسطوانة جماعة بجماعة بقدر مانسع دائرة المفتة فيتناول
كل منهم قطعة بقدر مسكة الخمسة الأصابع ويغمسها في قدح السمن ويردقها
بقطعة من اللحم المسلووق المتبث حول الصفحة وهكذا حتى ينتهى الآكلون
وتهدم الأسطوانة. وقد تعدد الأسطوانات بحسب كثرة المدعوين أو قلتهم.

وفي صبيحة اليوم الثاني دعينا إلى « فطور من طعام يسمى « الموززة »، صنعه
أحد أبناء عم المختون وهو خاص بالقبائل الألمعية أيضاً .

وصنعته أن يخبز دقيق البر ويصنع به كما صنع بالدخن إلا أنه يجعل برجا
مربعاً تفرس أحيانا في وسطه عصا تبدو من أعلاه ويوضع السمن في الصفحة
الموضوعة في وسطها الطعام فإذا ماتها المدعوون للأكل صب العسل من أعلى
البرج إلى أن يسيل ويختلط بالسمن في أسفله .



مسورة يدوية لأكلنة المؤزرة كما شهدناها

أكلنا منه كما أكلنا من أسطوانة الدخن بقدر ما ساع لنا وسألنا عما ذا فعل بالمتخون وما هي طريقة تلافى تلك الجراحة ومعالجتها فاعلينا أنهم يقدون المتخون ثم يربطون احليله على ما به من جراحة بحبل مما يلي الحشفة ثم يشدون ذلك الحبل إلى عصا توضع في مقابل جلسته ولا يزالون يلفون عليها الحبل شيئاً فشيئاً ما طين بذلك القضيب إلى أن تتوتر عصبته مما يلي المشعر . يتلافون بهذه الطريقة تقلصه وانكماشه بعد أن تقشع عنه الجلد .

والعلاج الذي يستعملونه لهذه الجراحة ورق نبات يسمى « الصلغ » ، يدهنونه بالسمن وبعد أن يبنخروا القضيب بروث البقر الجاف يسخنون الورق على النار ويلفون به القضيب ، ثم يصبونه بقطعة من القماش بالضعف والتعقيد ليحتفظ بحالته التي مطوه بها بعد اطلاقه من الحبل السابق ذكره وقد يبطل شفاء بعضهم إلى عدة شهور بل سنة .

فتصور ما يحسه المختون من آلام شديدة من هذه العمليات في الحتن والعلاج وما كان اغنام عنها لو اقتصروا على المسنون والمنعارف ولكنها الجاهالة والعادة وما لها من سلطان قاهر على النفوس وقد قيل لى إن بعض القبائل منهم ومن غيرهم في تلك الجهات لا يقتصرون على ازالة جلدة القضيب وحده بل يبدؤن السطح من أعلى العانة حتى لا ينبت بها الشعر (١)

مقبرة رجال وحفلات المآتم

ومن أعرس الأشياء وأشقى حفر القبور في البلاد الجبلية فهي مصيبة تعترض في مصيبة الموت

فمقبرة رجال -يسمون بها- المَـجَنَّة ، لضيق الوادى وكونه عرضة للسيول في أغلب الأحيان - قائمة على صفح جبل من الجبال المشرفة على القرية وقد مات بعض نساءها ونحن بها فظل ذووها يحفرون القبر من الصبح حتى العصر وأهل قرية رجال يسمون الجالوس للعزاء - دُفُرَ أشاء - فيعد أن ينتهوا من الدفن يذهب المشيعون إلى بيت المتوفى ويتلاحق بهم من لم تسعف ظروفه بالمشاركة في التشيع وهناك توزع عليهم أقراص خبز الذرة والدخن يأتي بها أولياء المتوفى وجيرته مشفوعة بالقهوة .

ويستمر العزاء على هذه الحالة ثلاثة أيام في نهايتها يقرأون ويهللون ويختتم الحفل بدعاء للبيت وتوزع على من حضر أمتواد الربحان الطرية وتنتهى مراسم العزاء والمآتم .

(١) إن الحكومة الحاضرة تحظر هذه العملية وتندب في مواعيد الحتان من يرقب العمل على الوجه المستون فقط وإذا علمت أن شخصا أجراه على العادة وغالط الأمر جازته ولكن هذه العادة متأصلة ولها عندهم مقام فهم يتوسلون بكل ما أتوا من حيلة في سترها والجري بها على مألوف عاداتهم والأمر يحتاج الى مزيد من الحزم والعناية والقسوة في الجزاء .

وقسا ليزدجروا ومن يك حازما فيلقس أحيانا على من يرحم

رجال في رجال

وقرية رجال على ما قيل لنا لم تنشأ قبل عام الألف وأن أول من بنى فيها رجل من أهل مدينة بيت الفقيه ، من مدن تهامة اليمن يسمى موسى بن جثم ، من ذريته الحفاظية بعض سكان رجال اليوم .

وأول من نجم فيهم واشتهر أحد أحفاد موسى ويسمى الشيخ بكرى وهم يعدونه الجد الأعلى لأسرتهم وكثيراً ما تنسب القرية إليه فيقال قرية الشيخ بكرى .

ومن الشائع بينهم في شأن تأسيس القرية وإطراد العمران بها كثير من الأساطير ، والحفاظية الآن يناهزون المائة وهم بيت علم ولهم حرمة ومكانة بين قبائل المع موروثة عن أسلافهم فقد كان فيهم علماء اعلام متكلمون ومنهم من ناصر الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عهد آل سعود الأول ، وسعى في نشرها بين قبائل المع وألف فيها الرسائل والقصائد .

ولكل واحد منهم الآن حق التلقب بالفقيه ولو كان أمياً فكثير منهم يمتن الآن البيع والشراء وبعضهم متكل على ما لآسلافه من حرمة دون التصدى لها والتحلل بها بصدق وحق .

ولوجود مثل هؤلاء لاسيما المتعلمون منهم فائدة تذكر في تخفيف أثر الجهالة وما ينجم عنها خصوصاً بين قبائل بدائية تكاد تكون متوحشة مثل قبائل المع فتسرب أفراد هذه العائلة بين القبائل الأترزاق بالوعظ والأرشاد فيه على الأقل استبقاء صور الديانة وعلوق بعض تعاليمها في أذهانهم .

ومن أميز من عرفته منهم قاضى رجال بل وقبائل المع عموماً الشيخ ابراهيم زين العابدين الحفظى وهو شيخ في آخر سن الكهولة بشوش الوجه خفيف الروح على جانب وافر من الذكاء الفطرى والملم تام بفقهاء الشافعى

(١) وهم الأستاذ فؤاد بك حزة في كتابه في بلاد عسير ، صفحة ١٥٤ بأن جعل الحفاظية من السادة ويعنى بذلك من العلويين فالصحيح ما ذكرته كما قال لى ذلك الشيخ زين العابدين قاضى رجال .

عبادة ومعاملة ، ومعرفة بالعربية والشعر لها قيمتها وهو بذلك كوكب الحفاظية
اللامع وبدرهم الساطع

ومن ألقاه وألقا ابنه محمد اللالى شاب وافر الأدب حتى حرص أبوه
على تعليمه بما استطاع وقد عينته المعارف أستاذا بمدرسة محال
ومن أنبل من عرفناهم رجال الشيخ فابيع بن ابراهيم أحد تجار القرية وعين
أعيانها فقد نالنا من عطفه ورعايته لنا وحسن تقديره ما اوجب له علينا
جزيل الشكر .

قرى قبيلة المع

وحدود منازلهم

وقرية رجال أعمر قرى قبائل المع وأكثرها سكانا وحضارة وبلها
في ذلك قرية الشعبين ثم البلية
أما باقي القرى فهي عبارة عن بيوت متناثرة في صدور الأودية وشعاب
الجبال وتبلغ نحو أربعة وثمانين قرية
وآخر ما نراهم اليه منازلهم من الشرق مشارف الجبال التي تخص سكان
السراة وقبائل عسير ، ومن الغرب ، قرية الجمعة وما يوازيها ، ومن الشمال ،
منازل صحر وبني المهمل ، دون محال بقليل . ومن الجنوب ، الجرفعة على
مقربة من وادي عقة ضلاع تمتد إلى قرب درب بني شعية

منتوجات بلاد المع

ومن حاصلاتهم مختلف أنواع الحبوب . ففي الأماكن العالية المصاوبة
للسراة تزرع الحنطة وما يزرع عادة في الأماكن الباردة المرتفعة وفي الأودية
الواطئة تزرع الذرة والدخن والسمسم ، والذرة أغلب ما يزرعون وفي بعض
الصدور الغربية لجبالهم يزرع البن ولكن بكمية قليلة ، وأغلب ما يوجد في جبل

صلب وفي وادي ثاه وقرية المرار بوادي حنونة وفي جبل القارية وقرية
شديدة وبني عبد شحج

ومن حاصلاتهم العسل يسائر أنواعه والوانه ومنه الجيد الذي لا يجد بعده
والجمال والبقر والضأن قليل في مواشهم بالنسبة للباقر

قبائل ألمع

وقبائل ألمع (١) سبع قبائل تنقسم إلى قسمين قسم يقال لهم ألمع الشام وقسم
يقال لهم ألمع اليمن ويعنون بالشام من يسكن الجهة الشمالية وباليمن من يسكن
الجهة الجنوبية .

فن يسكن الجهة الشمالية منهم :

١ - « بنو قطبة » ، وحاضرتهم الشعين .

٢ - « بنو ظالم » ، وحاضرتهم رجال .

ويطلق على بني ظالم وبني قطبة أم رفق يعني الرقعة .

ويسكن الجهة الجنوبية منهم :

١ - « بنو زيد » .

٢ - « صلبة » .

ويقال لهاتين القبيلتين « بنو بكر » .

(١) ذكر صاحب كتابه في بلاد عسير ، صفحة ١٥١ عند الكلام على قبائل ألمع
قوله أما القبيلة نفسها لم أستطع التثبت من كونها قبيلة : ألمع : أو إنها قبيلة « آل
مع » كما أرجح ثم حدثت فأصبحت ألمع : وهذا وهم منه وترجيح لما لا معنى له فإن ألمع
من الأسماء العربية فقد جاء في كتاب سبائك الذهب للسويدي صفحة ٦٦ قوله : ألمع
بفتح الهذلة وسكون اللام وفتح الميم ثم عين مهملة بطن من بني مزريقا من الأزد
وألمع هو عمرو بن عدى بن مزريقا أحد ملوك اليمن المشهورين وسمى مزريقا لأنه
كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما بالعش استسكافا أن يلبسهما غيره والألمع
والألمعي كما جاء في القاموس (الذكي المتوقد)

٣ — « بنو ميجوكة » .

٤ — « بنو قيس » .

ويقال لها بنو مسعود .

٥ — « شحب » ، وهذه القبيلة أكثرهم عددا .

وكل هذه القبائل تنفرع إلى بطون وأغاذ يطول شرحها وتفصيلها ، ويبلغ عددهم على ما قيل لنا حوالي ثلاثين ألفاً وفيهم من المقاتلة ما يربو على ثلاثة آلاف ويعبرون عنهم بـ « الشوكة » ، وجميع قبائل الملح الآن تحت إمرة أمير واحد وهو الآن محمد بن زيد من أهل نجد مرتبط إدارياً بأماردة أبيها وفي كل قرية وقرية نائب وشيخ من نفس القبيلة أو القرية ومقر الأماردة قرية الشعيين حاضرة بني قطبة ويرجعون في القضاء إلى قاضي رجال وهو وإن تكن إقامته في رجال فجلس القضاء يعتقد في الشعيين بين يدي الأمير وغالباً ما يكون في يوم السوق من كل أسبوع ومع القاضي موظف آخر يحمل لقب كاتب العدل مهمته تحرير صكوك المبيعات والإقرارات المحضة ، أما المحاكمات في الثالب فليس لها سجل ولا صكوك إلا ما ندر من مهم القضايا وما تدعو الحاجة إلى تسجيله .

جلسة محاكمة

وقد أتيت في فرصة حضور بعض جلسات المحاكمة كان القاضي يجلس فيها على المصطبة بجوار الأمير والخصمان بين يديه على الأرض . وقد أكبرت في القاضي ما كان ينخذه من الدقة والتلطف في استظهار الحقائق بمصافاة نامة فكثيراً ما كان أحد الخصمين يروغ ويدخل ويخرج من « زقاق الملص » كما يقولون مما دل على خيرة القاضي الوافية بطبائعهم وموطن الضعف في مداركهم .

التحية الألمعية

ولا يفوتني قبل أن أنهى القول عما عرفته من أحوال قبائل الملع أن أذكر لك عاداتهم في التحية فإن الرجال أحياناً يكتفون فيها بعد السلام بالمصافحة وأحياناً يقبلون رؤوس بعضهم البعض زيادة في التعظيم .

أما النساء فأحياناً يقبّلن أفواه بعضهن وأحياناً يقبّلن أيدي بعضهن لا فرق بين أن تبدأ الكبيرة الصغيرة بذلك أو العكس ، ومن التقاليد التي لها حرمة عندهم وعند قبائل عسير أبتغاء رعاية الشئى والالتزام نحوه بحقوق لا تنب للغير . وذلك إذا ولد لأحدهم ولد وطمع أبوه في محالته لشخص ذى مقام في القبيلة أو في غيرها من أحلافها سماه باسمه وكنيته ولقبه وبعث إليه يخبره بذلك وعندئذ يكون المسمى باسمه ملزماً باكسابه وزيارته وإذا كبر عد حليفاً له ما للحليف من حقوق وواجبات .

إلى الوادى الحصىب

دخل فصل الصيف وانتهت المدة المحددة للدراسة وأفلنا المدرسة بعد أن أجرينا الاختبار النهائى للطلبة وشاركنا فيه فضيلة القاضي وأمى لدينا متسع وفراغ من الوقت وقد سبق القول بأن (وادى تاد) من أحصب أودية قبائل الملع وأوفرها مياهاً وأطيبها مناخاً لارتفاعه فتاقت النفس للوصول إليه ومشاهدته ، ولكنى مع الأسف قد فشلت في ذلك وعدت من نصف الطريق أجز ذيل الحنية وانفصص مرارة العجز عن تحقيق الأمنية .

فانى بعد أن قطعت حوالى أربع ساعات في الصعود إلى متن جبل لا يقل ارتفاعه عن ألف متر أتساق الطريق إليه أحياناً وأحبو أحياناً — اعترضنى طريق فيه على حافة هاوية لا تقل عمقاً عن خمسمائة متر ولا يزيد عرض الطريق وسعته فيها عن موضع القدم أو موقف الانسان وما أن خطوت فيه بضع خطوات حتى أخذنى دوار كدت أهوى معه الى الأعماق لولا رفيق سائرته في طريق من رجال يتصد سوق الوادى ، وكان يمشى خلفي مصادقة

فصعدني على صفح الجبل من الناحية الأخرى وأمسك بذراعي . وسحبني إلى موضع فسيح تركناه خلفنا .

لولا ذلك لكنت اليوم في العالم الآخر فحال أن أصل القاع وفي عرق يبيض أو عضو سليم .

في هذا المسير لمست عظمة خلق الجبال وروعة منظرها وما هي عليه في هذه البلاد ، وأدركت بيقين صدق تسمية هذه الجهات بعسير ، وعذرت أهلها فيما كنت أسمعه منهم من شدة الغرور والاعتزاز بها .

أمنية وأمل

وسبح الخيال واستمرض ما نحن عليه سكان المدن المتحضرة في الحجاز من رخاوة وطراوة وضعف لا تقوى معه على مواجهة ما تسوق إليه أحيانا بعض ضروب الحياة وواجبات الوطن ، وتمنيت لو تقوم بين شبابنا اليوم فرق للكشفة لما في تعاليمها من الثمر وإيجاد القدرة على مجابهة مثل هذه الأحوال وغيرها .

كان بعد أن انتشلني رفيقي أن آوي بي إلى بيت لامرأة عانس في بعض حواشي الجبل على أن أنتظره إلى أن يعود من السوق ثم نرجع سوياً إلى رجال . لكن بعد أن تركني وذهب ضقت بالبقاء لما أنا فيه من ألم الخيبة ولما كان يقرع سمى من حين لآخر من صوت هبوب الرياح وصفقها بين جوانب الواديان المحيطة بهذا المرتفع الذي عليه البيت فقد كانت على غاية من الشدة والأزعاج . فقلت للمرأة هل لك في مرافقتي إلى أن نهبط أول وادي الميل . وقد كان طريقنا منه إلى هذا الجبل . ثم تبخثن لي عند بعض سكانه عن حمار أستأجره منهم إلى رجال . فأجابتنني إلى ذلك وسرنا وأخذنا الطريق إلى أول الوادي حوالى الساعة والنصف ، وقالت لي المرأة بعد أن وصلنا الوادي لو لم تكن معي لما أخذتني هذا الطريق أكثر من ربع ساعة فازددت بهذا القول خجلاً على خجل .

العطلة المدرسية - إلى مكة

عدت إلى رجال وظللت بها نحو أسبوع وكنا نتخذ أنا ورفقاى أساتذة المدرسة من التريض فى أمسية كل يوم بين الجبال وعلى الروابي القريبة من رجال متعة وسلوى ثم آتت من رفاقى رغبة فى قضاء العطلة المدرسية بين ذويهم بمكة فحرك ذلك كوامن الشوق فى نفسى لرؤية الأهل والأصدقاء فى البلد المقدس فانفقنا على المزاولة فى الطريق على أن نعود عند ابتداء العام الدراسى الجديد سوية .

وكان من محاسن الصدف وحسن الحظ أن اعترم الصديق الكريم الشيخ إبراهيم إسلام مدير مالية أبها السفر إلى مكة حيث رقى إلى وظيفة أعلى فدعانا إلى مرافقته وهيا لنا الكثير من أسباب الراحة وبذل من العناية والرعاية ما جعلنا عاجزين عن شكره .

وفى يوم ٢٦ جمادى الثانية سافرنا من أبها ولم يكن طريقنا فى هذه المرة عن قرية خميس مشيط بل جد طريق آخر سلكناه إليه من جبل ، شمان ، الواقع فى الشمال الشرقى من أبها حيث يمر بواى ، ابن هشيبك ، ولا يربقربنى تندحه وخيبر التى سبق القول عنهما بل ولا ينتقى الطريقان إلا فى منعطفات وادى ، المرجاب ، وهى التى وصلنا إليها فى مائتات ليل وצל السائق فيها واضطررنا للمبيت كما سبق القول ويمتاز هذا الطريق بأنه أخف وعورة عما بين قرية خميس مشيط وأبها وأنه أقصر فى المسافة بضع كيلو مترات

روضة بن غنام

ومما مررنا عليه فى رجعتنا هذه روضة ابن غنام التى سبق ذكرها وكانت السماء قد جادت على المكان بوابل من النيث فكسا الأرض حلة زاهية وكان نبات الحشيش المعروف عندنا (بالقبيا) يرتفع نحو نصف قامة الرجل قد أصفر سنبله الزغبى البراق الشديد اللمعان من لفتح الشمس وحمارة القيظ .

(٧ - كتاب الرحلات)

كلما هبت عليه الريح تملأ وتخرج وبدا في منظر فاتن غابة في البهاء والرونق ، حتى أشجار الشوك فقد أمست مخضرة وجميلة في نوعها مما جعلني أعطي كل الحق لأهل هذه الجهة في إطلاق اسم الروضة عليه

العودة إلى رجال

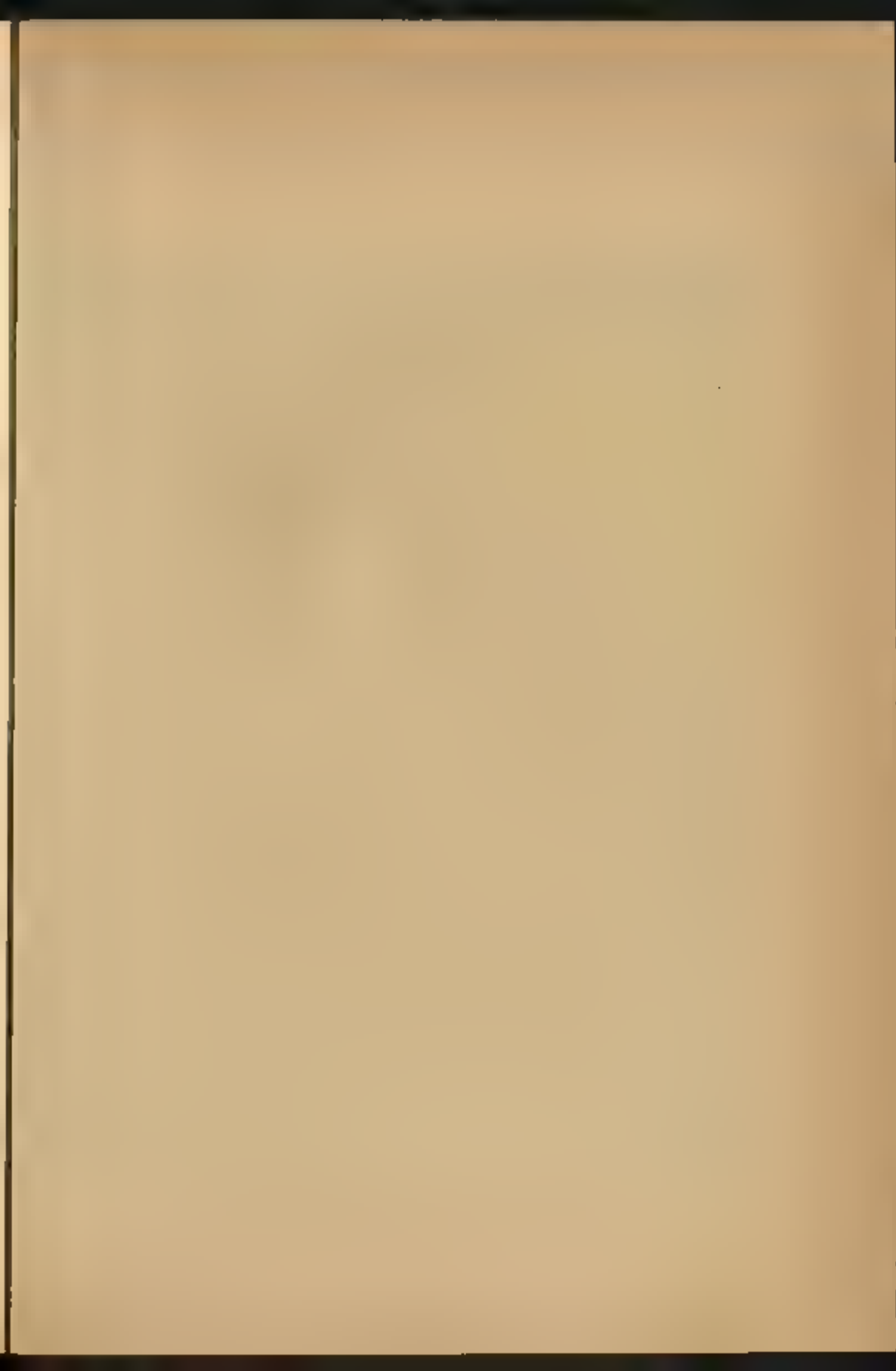
قضينا أيام العطلة بمكة . وفي ليلة السبت الرابع من شوال بارحناها إلى الطائف في طريقنا إلى أبها على سيارة من سيارات البريد وكان المفروض أن نستأنف منه السفر صباح السبت ولكننا ظللنا فيه إلى يوم الأحد لأسباب خارجة عن إرادتنا وإرادة السائق والسيارة فلم يكن بها أى عطل مما لا يتفق وما يجب أن يكون عليه المسمى بالبريد .

غادرنا الطائف في ضحوة النهار ونشط السائق في المسير فلم تتوقف حركة السيارة إلا على ضفاف وادى يشبه حوالى الساعة العاشرة بعد منتصف الليل فجمعنا على ضفاف الوادى وفي الصباح من يوم الاثنين دخلنا قرية الروشن ، وظللنا بها بقدر ما تزود السائق من البنزين وغيره وتناولنا الشاي ثم سرنا إلى (بئر بن سرار) على بعد حوالى ثلاث ساعات بالسيارة عن قرية الروشن فقبلنا بموارده وأكلنا ما طبخناه . وقبل المغرب فارقنا بئر بن سرار نقصد أبها ولم يتوقف سيرنا بأى عائق حتى وصلنا سفح جبل شمس حوالى الساعة الثامنة بعد منتصف الليل فبتنا فيه إلى الصبح ثم دخلنا أبها بعد أن أشرقت الشمس بقليل وعلى ذلك الجملة ما أمضيناه من الوقت منذ بارحنا الطائف إلى أن وصلنا أبها نحو تسعة وثلاثين ساعة منها حوالى أربع عشرة ساعة قضيناها في الإقامة بين قرية الروشن وبئر بن سرار وسفح جبل شمس مما دل على جلد السائل وكفائه في مهنته .

ومن المصادفات الحسنة في هذه السفره أننا لم نزد في السيارة عن خمسة ركاب مما كنا معه في راحة تامة رغم مشقة السير وسرعته . وأقنا في أبها يومين ثم هبطنا رجال إلى ما نحن بسيله



الصديق الكريم الشيخ ابراهيم اسلام



حاجة في نفس يعقوب

لما كنت بمكة تكلفتني مديرية المعارف بالتفتيش على مدرستي قريتي محال والنماص والوقوف على سير الدراسة بهما والنظر في شكوى قدمها مدير مدرسة النماص على أحد الأساتذة بها . فكان ذلك فرصة أتيت لي للوقوف على أحوال تلك الجهات ومشاهدتها . وكانت محال أقرب إلى مقرى من النماص وهى حارة المناخ وقد أشرف فصل الحريف على الانتهاء . وكاد الحر أن يزول فبادرت بالتوجه إليها

رحلة الشتاء - إلى محال

وفي يوم الأربعاء ٢٨ القعدة سنة ١٣٦٠ هـ جئمت^(١) على حد تعبير أهل رجال في حجة بعض المتسوقة للبيع والشراء في سوق الربوع^(٢) وهو سوق يقع في منتصف الطريق تقريباً بين رجال ومحال . وبعد أن اجتزنا عقبة رز وهبطنا قرية الشمعين ملنا نهلاً وأخذنا الطريق من وسط وادي (حلي) وهو واد من أنصب الأودية وأفسحها مزارع وفي أثناء سيرنا مررنا بقرية «عشالف» ثم قرية «الجرف» عن يسار الطريق ومنازل قرية «البشا» عن اليمين وبعد ثلاث ساعات وصلنا (سوق الربوع) وهو سوق يقام يوم الأربعاء من كل أسبوع على عادة أسواق البادية خاص بأهل تلك الجهة وما قاربها . مكانه على ربوة في جانب الوادي في طرفه بعض المقاهى . والمقهى عبارة عن خوص لا يدخله المرء إلا راحاً ولا يحجب الشمس إلا كما تحجبها الغرايل . وهى مطاعم أيضاً فلا تخلو واحدة منها من قصعة مترعة بخمير الذرة وتور الخبز أقراصاً أولاً بأول حسب الطلب وأرجبها لا يتسع لأكثر من ستة أشخاص يحملون القرصاء .

(١) الجئمة والجئمة أول ماخير الليل (٢) الربوع بمعنى الأربعاء فإن أهل مكة وسائر سكان جبال الحجاز وغيرهم اليهم يقولون الربوع بدل الأربعاء والثلاث بدل الثلاثاء .

أقنا في واحدة منها بعد أن حجزناها (أنا ورفيقي) لنا خاصه بقدر
ما تناولنا فيها طعام الإفطار ثم قبل الظهر بساعة شددنا أمتنا على الخير واستأنفنا
المسير . جادين تارة من وسط الوادى وآونة على حواف سفوح الجبال
الممتدة على ضفافه . ولم يكن الطريق يخلو من مناطق يتكاثر فيها شجر
الآتب والسدر والجوز وشجيرات المص وكثيراً ما صادفنا شجيرات الزقوم
على شكل كتل ملتحمة في بعضها مستقيمة الأغصان كأنها العصي المنتصبة .
إلى أن وصلنا بلاد بنى ثوعة بعد أن مررنا بمكان يعرف بالسحر .

كانت الشمس قد أذنت بالغروب وكان السير المتصل قد أضنانا فرأينا
الزول ياحدى القرى المجاورة على سفح بعض الجبال لأداء صلاة العصر
والغرب واستعادة بعض النشاط . فقصدنا قرية تسمى القاعد وهى تتبع
آل غنيسيه - نخذ من بنى ثوعة - تشرف على واد فسيح واسع الرقعة جيد
الثروة مزارعه جميعها على الأمطار ولا تبعد عن محاليل بأكثر من نصف ساعة
فاضواء محاليل نرى منها ايلا وأهلها سمر الألوان كأنهم (الجبترت)^(١) وكاننا
في قرية من قرى أواسط أفريقيا صلينا المغرب وتناولنا ما هيا لنا أهل
المنزل الذى آوينا إليه من القهوة ومرنا . وفى الساعة الواحدة بعد الغروب
دخلنا محاليل

في محاليل

ومحاليل قرية لا يتجاوز سكانها الألف معظم بيوتها من طابق واحد من
الحجر تتخللها بعض العشاير (الأكواخ) عدداً ثلاثة أو أربعة بيوت
كانت من طابقين . شوهاء المنظر كريمة المرمى لا تطف لأسلحتها والكثير
من أعواد سقوفها بارز عن حيطانها يزيد بها بشاعة . ومعظم حظائر البيوت

(١) قبيل من الصومال

من أعواد شجر المض اليابس البشع المنظر . وجعلها ملتف على جبل واطى .
يبرز من سلسلة الجبال المحاذية بوادى القرية يسمى ، كسْصَعَة ، على فته قلعة
خربه بناها الأتراك فى عهد حكمهم .

وأغلب أهل محایل دكن الألوان ، ضمن الأبدان كأنهم أعواد محترقة فهى
حارة المناخ ودرجة الحرارة فى مدة الثلاثة الأيام التى أقمتها بها لم تهبط نهائياً
عن الخمسة والثلاثين ولم تنزل ليلاً عن أربعة وعشرين مع انقضاء فصل
الصيف ومشارقة فصل الخريف على الانتهاء .

ولمحایل سوق يقام فى كل يوم سبت يقولون أنه من أروج أسواق هذه
الجهة وأكثرها حركة لما حول محایل من القبائل الوفيرة العدد ولقرب محایل
من البندر ويعنون به ثغر القنفذة الذى لا يبعد عنها بأكثر من ثلاث مراحل
ومحایل حاضرة قبائل بنى موسى وفيها مقر شيخهم بن عتال وأهلها فى سداجة
تامة وعلى سبيل الكثير منهم غباء وجود ولباسهم الوزرة والطرة والصدىرى
ولا يعدم فى أهلها من يلبس الثياب . والرؤوس إما حاضرة أو مغطاة بالطواقى
الخيزران تجلب إلى هذه الجهات من الهند عن طريق عدن واليمن وبعضهم
يعصب رأسه بالأحاريم المعروفة عندنا فى الحجاز . أما البدو وسكان بقية
القرى فلباسهم الطمرة (١) من السرة للركبة ، وكان الله رحيماً .

واباس النساء فى محایل القميص والوزرة وعلى الرأس المقلبة التى سبق
وصفها . وأما فى الأطراف والقرى الأخرى فلباسهن الثياب الواسعة الأردان
وعلى رؤوسهن القبعات الخوص التى سبق لك بيانها عند الكلام على نساء
رجال . وحليهن هى الحلى المار ذكرها أيضاً .

وأجمل ما فى وادى محایل ومزارع وادى حلي - التربة الخصبة
الصفراء اللون اللدنة المسكة بالعماء . ورغم أن المزارع جميعها فى هذه
الجهات تعتمد على الأمطار فالقصب الأخضر لا ينقطع من أسواقها طول

(١) الطمر فى اللغة الثوب البالى وأهل هذه الجهة يسمون الوزرة من النوع
الواطى الرخيص الثمن (بالطمره)

السنة . ومن أعجب ما شهدته أغراس البامية في بعض الحقول مع بعد عهدها بالماء يبلغ طول الفرسة منها قامة الرجل ويكاد ورقها يقطر ماء من الارتواء وأخال أن لوفرة الطل أثراً في ذلك ، فليالي هذه الجهات بيلة ندية في معظم فصول السنة .

ويشرب أهل محابيل في الغالب من الفدران والمستنقعات التي لا ينقطع ولا يجف ماؤها في أغلب الأحيان .

ويوجد في طرف الوادي في جنوب القرية بئر تسمى الغليلة ، ماؤها عذب ولكنها بعيدة المسافة عن القرية وماؤها قليل إلا أنه دائم النضج ولا يصلح عندهم من زرع الغلال سوى الذرة والدخن والسمسم . وقد رأيت في عدة بيوت معاصر صغيرة لمصر السمسم واستخراج زيته تديرها الجبال وحولها وعلى مقربة من القرية غيلات متناثرات هنا وهناك . وقيل لي إنه في عهد مضى كان تغيلها أكثر مما هو عليه الآن ولا أخال أن تمر تغيلها من الثمر الجيد . وقيل لي أيضاً أن محابيل كانت في بعض ماغير من الزمن أوسع عمراناً وأكثر احتشاداً بالسكان . وحتى قيل فيها قديماً هذين البيتين والتبعة على قائليها :

تجنب محابيل لا تاتها وإن راقك الرطب اليناع
فأهل الفساد بها جلس وسوق الفسوق بها شائع

وعلى بعد ساعة من القرية واد يسمى الخاطلة يكثر فيه شجر السدر والجوز والألب وما شاكله . وما يروق منظره ونضارة شجر الأراك المنتشر في رقعة الوادي على سعته كأنه القباب أو ربي خضراء قائمة فيه .

أقيت في محابيل ثلاثة أيام عدت بعدها إلى رجال وظللت بها في عملي الأصيل مترقباً انقضاء فصل الشتاء ، وحلول الربيع . لاستطيع الوصول إلى النماص . فإنها في السراة . وعلى سطح جبل من أرفع جبال الحجاز .

رحلة الربيع - إلى النماص

وفي الرابع والعشرين من شهر صفر مساءً فقت من رجال والطريق إلى الشرق أو الشمال دائماً من عقبة رز فلا متغذ غيرها . وكان معي رفيق استأجرته للوصول في إلى أبيها ونعم ما فعلت فإني ما كدت أصل قبل الغروب نهاية وادي العوص والمكان الذي يبيت فيه عادة من يسافر في المساء . حتى دكنت السماء وتلبدت بالسحب . وانهمر مطر غزير أخذ يهطل عدة ساعات . سال على أثره الوادي ميلا عظيما . وأصبحنا والسماء تموج بالسحب ولكننا طمعنا في السلامة منها لأن الأمطار في الغالب في هذه الجهات لا تهطل إلا مساءً أو من بعد الزوال . فشددنا رحالتنا نقصد العقبة ولما وصلنا إلى أول العقبة وجدنا الطريق على غير ما نعهد مما قدفت به السيول والأمطار من الصخور والأحجار . الجراويل . فاضطررنا أن ننزل عن الخيل وأن نمشي وإياها .

سرتنا برهة وإذا الأخاديد لا ينيسر للحمير بما عليها من حمل أن نجتازها فوقفنا حيارى لا ندرى ماذا نصنع وزاد الطين بلة أن أخذت السماء ترشح بالمطر رذاذاً وأصبح من الخطر وقوفنا وتمهلنا في السير إذ لوزاد المطر وتدفتت العقبة بالماء . وما يحمل ويدفع من الصخور والأحجار لحاقت بنا كارثة . ولكن الله لطف فقد ساق إلينا بعض قاصدي أبيها من الركبان والمشاة وتكاملنا في أسفل العقبة نحو العشرة من المسافرين أخذ بعضهم يعين البعض في نقل ما على ظهور الحمير من أمتعة شتياً فشتياً مجتازين بها الأخاديد والأجراف التي أحدثتها السيول وأخيراً تعاونوا على الخمر نرفعها ونعينا هي الأخرى على اجتيازها .

ظللنا نعالج السير في العقبة على هذا الوضع حوالي خمس ساعات مع أن العادة أن ينتهي السير فيها في ساعتين ونصف على أوسع تقدير . وصلنا قرية الشرفه في أعلا العقبة نقطر ماء فأوتينا إلى أحد بيوتها

ونشرنا أمتعتنا نعرضها للهواء انقاسا للجفاف أما الشمس فكانت محجوبة بالغيوم .

قضينا في عملة التجفيف وتهيئة ما نطعمه إلى الساعة العاشرة بعد العصر ثم حزمنا أمتعتنا على الخير واستأنفنا السير وفي حوالي الساعة الثانية بعد الغروب وصلنا قرية البدله فرأينا البيات بها إلى الصبح ودخول أيها نهارا .

الرفيق قبل الطريق

أقمت في أيها يومين أترقب رفيقا أصبحه معي إلى الناص يعتمد على رفقة وخبرته بالطريق فإن المسافة إليها من أيها لا تنتهي بأقل من خمسة أيام . ومن الخطل ذهاني منفردا لا سيما بعد ما لقيت في طريق إلى أيها ما لقيت .

تيسر الرفيق الرفيق والخير بالطريق وفي صباح يوم الأربعاء تحركنا من أيها وجهتنا الناص وقاصد الناص من أيها يأخذ الطريق من شمال جبل شمان مع ميل قليل إلى الشرق وبعد أن اجتزنا حدة الجبل المذكور وهبطنا وادي الرضف . ثم رقبنا سلسلة جبال جرداء وسرنا فيها نحو ساعتين وصلنا وادي . حرمة ^(١) وفي قرية من القرى القائمة على ضفافه قبلنا وصلينا العصر . ثم استأنفنا المسير وقيل المغرب وبعد أن مررنا بقرى بني رزآم والملاحنة وصلنا قرية القبيّة ، ولزنا الميت بها فإن ما بعدها خلأ غير مكنون بقدر ست ساعات

بتنا في أحد بيوت قرية القبيّة إلى الصبح ثم شددنا أمتعتنا على الرواحل

(١) وادي حرمة كما جاء في كتاب في بلاد عسير صفحة ٩٤ ينبع من جبل تهمل ويصب في وادي أيها عند بلدة أمحاله من قرى بني مالك عسير ويملك البلاد القريبة من راسه ، علكم ، من عسير ويملك ما كان في أسفله ووسطه بنو مالك من عسير أيضا .

وسرنا وبعد ساعتين وصلنا باحة شعار . ومن أبها إلى باحة شعار طريق يكاد يكون معبداً رغم مروره على عدة حدبات وذلك لأنه أقرب طريق لوصول المعدات والمؤن الحربية من ثغر القنفذة إلى أبها مما دعى الترك أيام حكمهم البلاد إلى أعمال يد الإصلاح فيه . ومن الميسور أن تسير السيارات من أبها إلى باحة عقبة شعار دين كبير عناء وبقليل من الإصلاح والتعميد .

وقد بنى الترك في عهدهم الأخير عند رأس عقبة شعار ثكنة للجند يقيمون بها لحاية الطريق وتطل على الثكنة سبعة أبراج على رؤوس الجبال المحيطة بالباحة لحاية من بها من الجند يسمونها (مفاتيل) . وقد تطرق الخراب إلى الثكنة بل لم يعد منها ما يقوم على حاله السابق سوى جدار واحد .

تركنا عقبة شعار عن يسارنا وعلنا شرقا وبعد أن قطعنا الباحة بدأنا نرقى أكاما تتخللها شعوب واسعة تسمى : المِسْوَح ، في نهايتها قم شعب يسمى : الدُرْجَة ، هي آخر حدود قبائل عسير السراة من هذه الجهة .

رقينا الدرجة - وهي عبارة عن صغار ركنها السيول - وأصبح سيرنا صعوداً وهبوطاً من ذروة جبل إلى سفح آخر نحو أربع ساعات ، وتسمى سلسلة هذه الجبال : بالأشعب ، وهي جبال جرداء محترقة لا أثر للنبات فيها بالمرّة إلا ما كان من بعض طفيليات شوكية تنبت فيما يستقر به ماء المطر من ملتقى السفوح . لافرق بين ألوانها ولون الصخر . وحتى منظر الجبال منذ فارقنا أبها لم يكن مخضراً بل أجرد إلا من بعض شجر الطلح وما شابهه غير أن الأشعب هذه تزيد بأنها كثية المنظر كددة اللون .

وادي عبل

ومن ذروة أحد جبال الأشعب هذه أشرفنا على وادي عبل ، وهو واد

ملتو تقوم فيه نحو سبع قرى تحوى بضعة بائين وعدداً من مزارع الشعير والحنطة والذرة . وهو واد منخفض فقد كانت درجة الحرارة فيه ظهراً نحو أربعة وعشرين درجة ستغراد مع أننا تركناها في أيها في نفس الوقت خمس عشرة درجة . والجبال المعتدة على طرفي الوادى جرداء صلبة لا أثر للنبات فيها .

قبيلة بالأحمر^(١)

ووادى عبل هذا هو أول منازل قبيلة . بالأحمر ، (٢) قيلنا في قرية منه يقال لها قرية ابن ملحيم إلى الساعة الثامنة بعد الظهر ثم سرنا وبعد مسير ثلاث ساعات في سلسلة جبال جرداء مقفرة تسمى الضحى ، أشرفنا في نهايتها على وادى صبيح ، وهو واد يخص قبيلة بالأحمر المار ذكرها وكانت سفاح الجبال المحدقة به خضراء بما تكاثف عليها من شجر العرعر وغيره

ذو العشيرة

وفي قرية آل مشاعير . من قرى الوادى المذكور بننا إلى الصبح في بيت رجل يسمى عبد الله بن عايض غبيلته على ما كان له من نمل فقد أحرق بنا ونحن تدفأ حول الموقد عشرة من أبنائه كلهم من أم واحدة وذكر لنا أن له من زوجة أخرى نصف هذا العدد مع أنه لا يزال حول الأربعين فيما تراه إلى

إلى منازل بالأسمر

وفي نحو الساعة الواحدة بعد شروق الشمس تحركنا من القرية وبعد أن اجتازنا عقبة الجند ، وهم ينطقونها البعد ، وعقبة آل عامر

(١) أهل هذه الجهات ينطقون هكذا بالأسمر وباللحمر بدون همز وفي كتاب صفة جزيرة العرب عرفهم ببني الأسمر .

(٢) قسم صاحب كتاب في بلاد عسير صفحة ١٥٨ قبيلة بالأحمر إلى عشرة الفخذ وعدلهم ٣٠ قرية .

ومررنا بقرية على الطريق من قرى (وادى سيحان) وقطعنا سلسلة جبال تسمى « شعايه » ، أشرفنا على وادى « عبالة » أول حدود منازل قبيلة بالأسمر ، (١) . وكان ذلك حوالى الساعة الخامسة والنصف ظهراً .

قلنا فى قرية من قرى الوادى تسمى « ذبوياء » ولم نطل بها المقام بل بعد ساعة سرنا فمررنا بقرية « المصنفاه » وقرية « ابن خريب » وبهذه القرية سوق موضحى يقام كل يوم اثنين ثم مررنا بقرية « الغرسه » ثم رقينا ذروة جبل أشرفنا منه على شعب « حظنوه » (٢) .

جمال الطبيعة

وشعب حظنوه يبدأ من الذروة المذكورة منحدرأ إلى وادى سندوان كثير شجر العرعر وغيره من الأشجار فالمشرف عليه لا يرى إلا غابة كثيفة وكثلا من الأشجار المتشابهة مد البصر .

سرنا هابطين نلتوى فى السير بين صفوف الأشجار القائمة متتابعين أبصر

(١) قسم صاحب كتاب فى بلاد حبر فيسنة بالأسمر إلى ستة أقسام وعد لها ست قى وذكر أن لهم فى تمامه ٣٧ فرعا صفحة ١٥٩ .

(٢) قال لى بعض من نعدت به فى غير أن فى وادى حظنوه هذا وبين أشجاره المتشابهة كان اثنتى عشرة العدا . المشهور أحد اصوعى العرب وفتاكها وصاحب اللامية التى أولها .

أقيموا بنى أى صدور مطيكم فاقى إلى قوم سوائى لأمين يتصيد أفراد قبيلة سلامان ويقتلهم حينما اقم أنه سيقتل منهم مائة وأن السلامانيين نصيدوه فى نفس المكان بعد أن قتل منهم تسعة وتسعين وقتلوه ثم طرحوا رأسه اهانة له فمر أحد السلامانيين بها وضربها برجمه فدخلت فيها شظية من الخبيثة كانت سبب موت السلامانى ومرت بذلك عين الثمنفرى وتم قتله مائة منهم :

والقصة بما ذكره الرواة فى كتب الأدب وقد تكون اسطورة من أساطير العرب أو أن بعضها على الأقل دخله المبالغة والخيال ولم أعر فى كتب المعاجم التى تيسرلى البحث فيها على ذكر لشعب حظنوه هذا .

مسلك فيها وصوت خرير المياه المنحدرة من فروع الشعب إلى وسطه يسيرنا
وقد يهبط بنا الطريق إلى قلب الشعب فنمر على حافة غدران مترعة بالماء إذا
ماداعبت الريح صفحته تجعد وترجرج في لطف ومنظر يذيع للخاية.

ومناظر الشعب كلها جميلة خلاصة فائنة فالسائر فيه لا يشعر بوهج الشمس
ولا وضوح ضوئها ولو كان سيره في الظهيرة من تكاثف الشجر وثشابك أغصانه
والريح لا تهب فيه إلا رحية لينة . فكان كما قيل :

يصد الشمس أنا واجهتنا فيحببها ويأذن للنسيم

سرنا منتشين مبتهجين بما وصفته لك من مناظره الساحرة نحو ساعة
ونصف خرجنا منه في نهايتها إلى وادي « سدوان » .

بلاد بني شهر^(١)

وفي طرف الوادي الشمالي بقنا في أحد المنازل إلى الصبح ثم استأنفنا
المسير وبعد أربع ساعات مررنا أثناءها بجبال لا تخلو صفاحها الغربية من
إخضرار تسمى بـ « الدهناء » وهي الحد الفاصل بين منازل قبيلة بالأسمر
وبين قبيلة بني شهر . وصلنا قرية آل زخران فجرزناها إلى باحة « تنومه » .

وفي قرية من قرى الباحة يقال لها قرية « ابن السريف » ، قبلنا إلى الساعة
التاسعة عصرأ ثم شهدنا سوق السبت وهو سوق يقام في باحة تنومه
كل يوم سبت أكبر أسواق بني شهر ومع ذلك فلم يكن شيئاً بالنسبة لسوق
الأحد بالشعبين أو لسوق أبها .

وباحة تنومه باحة واسعة تشتمل على عدة قرى والجبال المحيطة بها
جرداء إلا ماواجه الغرب فلا تخلو من بعض الأشجار ومناخها دافئ فدرجة

(١) الشائع على السنة أهل هذه الجهات بني شهر بكر الشين ولكني وجدتها
في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني مطبع لندن مضبوطة في عدة مواضع منه بالفتح

الحرارة كانت ظهراً عشرين درجة . وفي طرفها الغربي عقبة تسمى (ساقين) بعد أن قضينا حوائجنا من السوق استأنفنا السير مترفين قررنا بوادي « مَلِيح » وفيه عدة منازل ولم نخل جباله من شجر العرعر لاسيما قرب عقبة القامة . قطعنا الوادي وركبنا عقبة القامة في نحو ساعة وربع ، ومررنا في سطحها على قرية الظاهرة فاجتزأنا واجتزأ بعدها قرية « آل مشهور » أو بني مشهور وفي نحو الساعة الواحدة بعد الغروب وصلنا قرية النخاس . وكانت طريقنا من باحة نَبُوْمَه إلى النخاس فضة^(١) فكنا نضطر إلى المشي على الأقدام في كثير من الأحيان على أن الطريق جميعه كان وعراً شاقاً اعترضتنا في أثناءه عدة عقبات كنا نمشيها تمرزاً واحتياطاً من السقوط عن الدواب .

النخاس

والنخاس باحة تشبه سطح الهدا^(٢) ولكن ، تزيد عليه في السعة والعمرة كائنه في الطرف الشرقي من الباحة لا تتجاوز بيوتها المائة بل عددها يتأ يتأ فكانت ثمانية وتسعين لا غير .

وأكثر البيوت من ثلاث طبقات وبيوت المسابلة شيوخ بني شهر محصنة من الداخل والخارج وجميعها من الحجارة بل وجميع بيوت قبائل بالآخر وبالأسم التي مررنا عليها في قراهم من الحجارة أيضاً عدا بعض بيوت في وادي عبل من منازل بالآخر فقد كان نصفها الأسفل من الحجارة ونصفها الأعلى من اللبن .

(١) الأرض القَصَّة هي المنشورة عليها الصغار والأحجار بعضها فوق بعض

(٢) الهدا هو سطح جبل كرى في الطريق الجبل بين مكة والطائف عليه عدة قرى وبساتين فيها مختلف الثمار ويكثر فيها شجر الورد .

وسكان قرية النماص لا يتجاوزون الخمسة على أكثر تقدير معظمهم من الكلائة بطن من بني شهر .

والبيوت إلا النادر غير نظيفة من الداخل ولا تحوى الحجرة سوى نافذة واحدة مربعة لا تتجاوز سعتها ثلث المتر لشدة البرد في النماص ولهذا ففي أغلب الأوقات تجد الغرفة ضعيفة الضوء ويسمون النافذة ، بَدَايَة .. وليس في البيوت مراحيض ولا هي مزخرفة من الداخل كبيوت أهلها أو رجال مل مليطة بالطين فقط .

ولا يوجد في القرية سوى مكان واحد غير واف بما يحتاجه المرء ولولا أننا حينما معنا مقداراً من السكر والشاي لما ذقناه مدة مقامنا بها .



صورة بعض بيوت قرية النماص .

واللحم لا يمدفونه إلا مرة في الأسبوع ففي القرية سوق صغيرة جداً تقام يوم الثلاثاء من كل أسبوع . وأكثر ما يذبحون يوم السوق ، البقر على أن المواشي الأخرى موجودة لديهم لكنهم لا يذبحونها إلا في المواسم والولائم ولضيف عزيز يترقبهم .

وعادات أهل الناص وبني شهر عموماً تتقارب وعادات أمثالهم من سكان
جبال الحجاز كغامد وزهران وغيرهم .

واستبداهم أم بال قليل جداً في كلامهم أما الجيم فضائعة لا نجد لها أثراً
فيقولون ياء بدلاً من جاء والجماعة بدلاً من الجماعة .

وألوانهم هي الألوان العربية على أن منهم من هو أبيض البشرة ووردي
الوجنات لبرودة المناخ وارتفاع الناص وعلوها فهي تعلو سطح البحر على
ما قيل لنا بألفين وثمانمائة متراً .

ودرجة الحرارة في الأيام الحسة التي أقفا فيها لم ترتفع نهاراً عن ثمانية
عشر درجة وتهبط ليلاً إلى العاشرة مع أننا كنا في أشهر الربيع .

ولباس سكان الناص الثياب البيضاء للرجال والسوداء أو الملونة
للنساء مع فارق بالطبع في الشكل فيما يختص بكل جنس .

أما التهاميون منهم وهم كثير فلباس الرجال الوزرة على غرار سكان
تهامة عسير حتى الرقوس فأنها حاسرة وأقيرة الشعر .

أما النساء منهم فيلبسن الثياب ويعتدين لبس الطفشات التي سبق وصفها
لشدة الشمس والحر في تهامة . ولم ينس لي مشاهدة شيء من أمساكنهم
وأفراحهم وأغالها لا تختلف كثيراً عن عادات من يجاورهم مما سبق وصفه .

وفي سطح الناص عدة مزارع للحنطة والشعير والعدس والذرة
والسيالة وليس بها من أشجار الثمار ومن الخضار ما يستحق الذكر . ولكن
حول قرية الناص نحو سبع عشرة قرية تتخض عنها قليلاً يوجد بها كثير
من الأشجار المثمرة والخضار بسائر أنواعها وفي بعض بساتين العسيلة في قرية
الناصر توجد بعض شجرات للجوزة القعقع .

ومن مزرعات قرى بني شهر التهامية الدخان الأخضر والبصل والثوم
وهي وافرة لديهم يصدرونها إلى من جاورهم من القبائل والقرى ولا تخلو
صدور جبالهم المواجهة للغرب من أشجار اللين ولكنها قليلة

حدود بنو شهر

وبنو شهر قبيلة وافرة العدد تمتد منازلهم شرقاً إلى قبائل شمران وغرباً
تصل منازل من يرجع فيهم من سكان التهام إلى قرب ثغر القنفذه وشمالاً
تحدهم قبيلة بني عمرو وجنوباً منازل بالأسمر التي سبق ذكرها
ومن يصاقهم من القبائل التهامية مما يلي الغرب أهل وادي الريش وآل
مومي والحمد لله وربيعة المقاطرة .

ومن أرفع الأماكن في بلاد بني شهر جيلان في مواجهة النماص يعرفان
بـ « بَلَّاحِصَن » . كنا نراها من النماص في الجهة الجنوبية الغربية منه شاهقة
الذرى ممنة رؤوسها بقطع السحاب .

وأمام عقبة النماص مما يلي الغرب إلى تهامة ثلاثة جبال شاهقات إلا أنها
منفصلة عن سلسلة جبال السراة فهي تحسب من جبال تهامة العالية وسكانها
يعدون في بني شهر واسم أحد هذه الجبال « تَرْيَان »^(١) ، والثاني « نَهْدَو »^(٢) ،
والثالث « رَيْمَان »^(٣) ، وذرى هذه الجبال على ما قيل في لائق ارتفاعاً عن
سطح النماص .

(١) جاء في صحيح الأخبار للعلامة بن بلهث في تعليقه على أقوال البكري . قوله
وهناك جبل ثان في بلاد زهران منهم من يسميه تريان ومنهم من يسميه تريان بالثاء .
ولا أدري هل يعني هذا الجبل أم غيره لأن موقع هذا الجبل لا يوازي منازل زهران
بل يوازي بلاد بني شهر .

(٢) ذكر هذا الجبل وأنه من الجبال المشهورة الهمداني في كتاب صفة
جزيرة العرب ص ١٢٥

رجال الحِجْر

وبنو شهر ينقسمون إلى قسمين : سلامان وائله ويقال لهم وللبالامر
وبالاحمر ، رجال الحِجْر ، وأخايل أنهم أبناء عمومة يتقاربون في الأصول
غير البعيدة .

الحضارة تغزو

ومع خلو النماص من كثير من الضروريات فضلا عن الكماليات
وبعدها وعسر الطريق إليها فقد سمعت في ليلة من الليالي الست التي قضيتها
بها ، الزاديو ، في بيت شيخ بني شهر وكانت ليلة فريدة تشرفت فيها أسماءنا
بصوت بليلة الشرق الأنثى أم كلثوم .

في طريق العودة إلى رجال

قضيت مبهني في النماص واعزمت العودة إلى مقرى رجال وفي صباح يوم
الجمعة في نحو الساعة الثانية تقريباً شدد نار حالنا وبارحنا القرية نقصد ، تنومه ،
وبعد أن اجتازنا عقبة القامة تعرض لرفيق أصهاره وألزمونا بالمبيت لديهم فلم
نر بدا من القبول والاستجابة للدعوة ولم يقصر مضيفنا ، فقد ذبح لنا كبشاً ،
وذلك يعد في هذه الجهات غاية الإكرام ، وقد لاحظت أن طريقتهم مع الضيوف
في تقديم الضيافة تختلف عن عادة أهل عير وطريقتهم ، فشهران وعير
والمع يقدمون الطعام ويتركون الضيف وحده يتصرف كيف شاء ، بل ينلقون
عليه الحجرة كما سبق القول عند الكلام على قرية الخميس في شهران .

تقاليد وعادات

أما بنو شهر كما شهدت من مضيفنا ، فإنهم يشاركون الضيف في الجلوس
على المائدة . وبعد أن يحضروا كامل الذبيحة يخرج الضيف قسماً منها لأهل
البيت ويسمونه قسم المعزية ثم يوزعون الباقي من الذبيحة على الحاضرين
من الضيوف ومن شاركهم الجلوس من أهل البيت على المائدة .

بتنا وأصبحنا وقدّم لنا مضيقنا طبعاً من القمّر تناولناه صرفاً على القهوة ثم استأنفنا المسير، وبعد ساعتين وصلنا باحة تنومة. وشهدنا قيام سوق السبت مرة ثانية، وظللنا في تنومة حوالى أربع ساعات. كنت أراود نفسي خلالها أن لا نعود عن طريق السراء التى قدّمنا منها، بل نهبط إلى نهامة، فإن فى باحة تنومة عقبة تسمى ساقين. كما سبق القول توصل إلى قرية تسمى نعص (١) وقيل لنا أن العقبة رغم طولها فإنها سهلة المسالك. وأن المسافة فيها إلى نعص خمس ساعات. ومن نعص نير وسط واد إلى محابيل حوالى خمس ساعات أخرى. ومن محابيل إلى رجال عشر ساعات فى طريق سهل بالنسبة لطريق السراء التى ظالمّا اضطررنا فيها المشى على الأقدام. ولكنى لم أئين فى رفيقى الارتياح لهذه الرغبة. فرأيت رعاية ما يريد وعدنا من حيث جئنا.

استضفناهم كرها

كان رفيقى يحرص كل الحرص على أن لا يمسى علينا الليل دون أن نكون فى بيت من بيوت أحد القرى التى نصادفها فى طريقنا حتى أنه فى ماتانا أدركنّا الليل فى أثناء المسير قبل أن نترك أحد البيوت. فنزل عن حماره يستحمه وحمارى على السير إلى أن وصلنا بيتاً من البيوت فطرقناه لاستضيف أهلهم فأبوا فتحه. لأنهم يخشون أمثالنا لما يلحقهم من البعض من أذى. غير أن صاحبه كان جريئاً فسور الجدار وفتح باب الحظيرة من الداخل وأدخلنا دوابنا فيه واستضفناهم كرها. ولكنهم حمدوا حالنا بعد ذلك واطمأنوا إلينا.

(١) أسفل عقبة ساقين واد يسمى بـ «نقره». والغايد محابيل يمكن له ألا يخرج على قرية نعص. بل يأخذ طريقه من وادى بقره إلى قرية المشطّر ومنها إلى قرية حضن التابعة للريش ومنها إلى محابيل. وهو طريق أقصر من طريق قرية نعص على ما قيل لى.

وكنيت كرهت هذا الفعل من رفيق . وأبديت له ذلك فاعتذر لي بأن الموقف كان حرجاً وقال أن في المير بعد الغروب في هذه الديار مخاطرة . فهي كثيرة السباع المفترسة وبالأخص الفؤ . والنمر حيوان لا يقل خطراً عن الأسد . بل هو أكثر غوراً واختلا وأخف حركة منه . وصلنا أهباً سالمين ونقبت فيها يومين استجم بعض ما فقدته من الراحة . ثم نزلت إلى رجال .

نظرة عامة

هذا كل ما عرفته من أحوال جبل عسير وسكانه ومن جاورهم من جاء ذكرهم . وأرى قبل أن يقف البيان وينتهي بالقول أن أذكر ما لمست وتبينت من أخلاقهم ومزايهم النفسية . ومدى استعدادهم للطب وما أكتبنهم البيئة من طبائع وأخلاق . فالعسيريون على العموم أصفاء السريرة في سداجة فطرية بالغة . أذكيا . دقيقوا الملاحظة سريعا الإدراك كرام مضيافون حريصون على حسن السمعة في هذا السبل . شجمان شديداً الآباء لما لم يألفوا . يرتابون في الشرب الطارق منازلهم ويألفونه إذا اطمأنوا إليه . وبالاختصار فإن الطباع والسجايا العربية متجلية فيهم بكل وضوح . وما يعمدهم ويدل على دماثة أخلاقهم . إطلاقهم كلمة الجار والجاره على من يستخدمونه للعمل تكريماً وإعزازاً له عن كلمة خادم .

وفي بعض نطقهم فصاحة تذكر بكلام العرب القدماء . ولا يزال في ألفاظهم كلمات على نطقها الصحيح . فيقولون في الاستفهام لم ولماذا . وإذا كان استنكارياً قالوا فيم . مستبينين بحركة الوجه وتجهمه . ويستعملون كم بمعنى هناك وسمعت منهم بعض كلمات أظن أن استعمالها قد اندثر عند غيرهم فقد كنت عند جوار لنا في رجال وانقلت له ثور وهرب يقصد أعلى الشصب الموالي للبيت . وكان رفيقاً في أسفله . فأخذ يصيح فيه إدراك اللاي إدراك اللاي . ما لم أفهقه إلا من مشاهدة الحادث . فإن اللاي في اللغة الثور

الوحشى . وكثير غير ذلك مما لا يحضر فى ذكره الآن (١) .

وقد لمست فى أبناء قرية رجال من فرط الذكاء وسرعة الفهم والادراك لما يتلقونه من دروس ما أعجبت به جداً . وعندما تقدمت لمديرية المعارف بمكة بنتائج اختبارهم النهائى فى السنة الثانية لقيام المدرسة ، وأطلعت على مبلغ ما وصل إليه معظم الطلبة من إجادة فى رسم الحروف وصحة الاملاء وصواب الاجابة فيما قدمته لها من أوراق الاختبار التحريرى . بعثت إلى بمذكرة شكر وتقدير لما لسته من ذلك .

الأقبال على التعليم فى رجال

وقد كان الأقبال على الالتحاق بالمدرسة من أهل القرية فائقا جداً فلم تفته السنة الأولى إلا وقد بلغ تلامذتها مائة وأربعين تليذاً مع صغر القرية ، وهذا الأقبال وهذه الوفرة تضافرت على إيجابها أسباب عدة .

أولاً — ان أهل القرية معظمهم بل جميعهم من المتسكبة بالبيع والشراء . فهم فى حاجة إلى الإفادة من تعليم أولادهم القراءة والكتابة والحساب ، ولأن منهم العائلة الحفظية ، وهم أولو سابقة فى تقدير العلم والعرفان . ويهتم بيت علم .

ثانياً — اتى لم أتقيد فى قبول الطالب بما اشترطته المعارف من سن . بل تساهلت بعض التساهل غير المختل . كما لم أراع ما يقتضيه المنهج من أوقات الدراسة ، بل راعيت فى ذلك وضع سكان القرية فى حياتهم اليومية .

(١) كان المرحوم مصطفى صادق الرافعى يسمي الشيشة ، الأركلية ، المكركة ويقول أن العرب فى بعض الأحيان تسمى الشيء بصوته . وهكذا سميت الشيشة عربية لم تتجاوز السادسة فقد كنت فى أمية بعض الأيام جالسا فى الغرفة فى البيت الذى نزلنا أول ما قدما أنها أدخن الشيشة وحولى صاحبة البيت وأبناؤها الثلاثة ، فسألت الأم إحدى البنات ، ماهذه يا ظبية؟ فقالت على الفور المكركة . ورحم الله الرافعى .

فكنا نبدأ الدرس الأول مع شروق الشمس ، وجعلت الفسحة الكبرى والتي تكون عادة بعد صلاة الظهر لتناول الغذاء - في ضحوة النهار ، يتناول في أثنائها الطلبة طعام الإفطار ويسمونه ، قرُوعاً .

كما قصرت البرنامج اليومي من وقت الدراسة إلى ما بعد الظهر بقليل في سائر فصول السنة وطول أيام الدراسة ، مما يسر لأولياء الطلبة أن ينتفعوا بهم في مصالحهم الخاصة في نصف النهار الأخير .

ثالثاً - حبيت للطلبة وأولياءهم التعلق بالمدرسة والحرص على الانتساب إليها ، فاني عندما علمت أن جلالة الملك (عبد العزيز آل سعود) حفظه الله تفضل فتمنع أعانة شهرية قدرها ريالين لكل يتيم من أبناء مدرسة أبها ، تقدمت بطلب مثل ذلك لأيتام مدرسة رجال ، ولما حصلت الإجابة لم أتورع ونظمت معظم طلبتها في سلك الأيتام ، مراعيًا في ذلك من كان وليه فقير الحال .

رابعاً - جعلت من غرفة الإدارة وفناء المدرسة متدي للسر والاجتماع بأهل القرية وإيفاع الطلبة في معظم أيام الأسبوع وإياليه .

حاجة القرية الى طبيب

كنت قد جلبت معي مقداراً من الأدوية البسيطة والنباتية ومالا حرج من الاشارة به من غير الطبيب وأشياء من وسائل الأسعاف كالمرام ومستلزماتها من قطن ولفائف معقمة وغير ذلك من أدوية التطهير فلم أقصر في استعمالها علينا فقط ، بل اشركت مع الطلبة أولياءهم من أهل القرية في الانتفاع بها .

ولما رأيت التهافت على ذلك وشدة الحاجة إليه ، كتبت لمديرية المعارف لتكتب إلى إدارة الصحة لتقدم بقسم وافر من العقاقير . ففعلت وزودتني إدارة الصحة بالكثير مما ذكرت .

وخصصت ساعتين بعد الظهر لممارسة تطهير وتضميد جراح من بهجراحة . وكنت أتعاون وزميل مرسل المدرسة على هذا العمل . مما جعل المدرسة عيادة صحية أولية ، وشئ خير من لا شئ على كل حال . ولعل الحكومة

وفقه الله كما عينت بتأسيس مدرسة في هذه القرية أن تعنى بتأسيس مصحة ،
ولو بطبيب واحد ، فإن في قرية رجال وما حولها من القرى من يعدون
بالآلوف من الناس والعناية بصحة الأبدان وسلامة المجتمع من العلل السارية
لا يقل وجوبها عن العناية بصحة الأذهان وتنقيف العقول وترقيتها ، بل
لا يكون العلم الصحيح إلا في الجسم الصحيح .

العطلة الصيفية والرجوع إلى مكة

انقضت الدورة الدراسية وحل وقت العطلة . فرجعت إلى مكة والنفس
لا زالت عالقة بالتومع في ازدياد هذه الجهات وزيادة التعرف عليها ، فقررت
الاستمرار في عملي ، وما أن انتهى وقت العطلة حتى رجعت .

مهمة جديدة — رحلة إلى تهامة

وفي أثناء هودتي وأنا بأبها لم أهبط رجال بعد ، تلقيت برقية من مدير
المعارف يكلفني بأن أقوم بدورة تفتيشية على مدارس تهامة في صيدا وأبو
عريش وجيزان ، فصادف ذلك هوى في نفسي وكانت فرصة سنحت لمشاهدة
تلك الجهات والاصقاع .

وصلت رجال وأقمت بها نحو شهر رنبت في أثنائه شؤون الدراسة على
ما تقتضيه غيبي ، وعهدت إلى زميلي الأستاذ عيسى فهم في إدارتها .

في الطريق إلى الساحل

انتهزت فرصة سفر بعض أهل قرية رجال إلى درب بني شعبة الواقع
في طريق لأن هم مزارع في منطقة الدرب يملكونها ويحجون حاصلاتها في
مثل هذه الفصول واستجرت حمارين لي ولزميلي مراسل المدرسة محمد الحزني
الذي رأيت أن يصحبنى بعد أن أقمت شخصا من أهل القرية ينوب عني في عمله
بالمدرسة .

وفي يوم الاثنين الخامس عشر ذى القعدة سنة ١٣٦١ سافرنا من رجال
في رفقة من ذكرت من أهلها . وبعد أن تجاوزنا قرية البتيلة أخذنا وسط
وادي كسان منحدرين إلى سوق السبت الواقع في آخر الوادي ثم بين
مخرفة من أشجار السدر والجيز والأثيب كأنما قامت على تنظيمها يد الإنسان .

وبعد أن سرنا ثلاث ساعات في طريق كله على ما وصفت وصلنا بئر
ابن داحية ، واختار الرفاق أن نزل عندها وتناول عشاءنا . ثم نستأنف
المسير لأنها آخر بئر تصادفنا في طريقنا إلى الدرب .

قضينا في تناول العشاء وماله حوالى ساعتين . ثم استأنفنا سيرنا منحرفين
إلى الجنوب تاركين وراءنا آخر حدود قبائل الماع من هذه الجهة .

ولازلنا في سير متواصل مررنا أثناءه بمكان يقال له ، الرهوة ، ثم
بالجوفاء ، ثم با ، أخة (١) ، ثم ، الجبيل ، ثم بالمندارية .
فأ ، الجمره . . وفي نحو الساعة التاسعة ليلا وصلنا وادي دريم .

وهو واد خل تكثر على حفافيه أشجار الدوم ، والدوم من الأشجار
التي يكثر وجودها في هذه الجهات .

وعلى جانب إحدى غدران الوادي بننا إلى الصبح ، وفي الساعة الحادية
عشرة أستيقظنا . وبعد أن أدينا الفريضة وتناولنا ما تيسر من الطعام
استأنفنا المسير .

(١) جاء في كتاب صحيح الأخبار ص ٦٥ ج ٤ نقلا عن ياقوت ج ٢ ص ٣٤١
قال ابن شميل أخة حجارة سوداء تراها لازقة بالأرض تغور في الليلة والليتين
والثلاث والأرض تحت الحجارة تكون جلد وسهولة والحجارة تكون متدانية
ومتفرقة . وحى في هذا المكان كذلك . وقد عدد ياقوت أماكن كثيرة تسمى بأخة وقال
وأخة الاسود من كل شيء . . وروى عن نصر (أخة جبل أو واد بالحجاز) ولعلها
تكون هذه أخة فإنها في أطراف جبل الحجاز .

درب بني شعبة

وفي الساعة الواحدة والنصف بعد شروق الشمس من يوم الثلاثاء وصلنا الدرب ، درب بني شعبة ، فاختار أحد من أنس به من الرفاق أن أصبح في النزول عند قيم مزارعه التي يملكها في الدرب وبني ما اختار .

فقد دخل بنا أحد أكواخ القرية ، وهو وإن لم يختلف عن أمثاله من مساكنها ، إلا أن أهله كانوا في غاية القذارة ، فأكادت أقدامنا تخطو باب الكوخ حتى هاج علينا الذباب من داخله في كتل كأنها قطع الليل .

ولم يكن في وسعي لما أنا عليه من تعب ونصب أن أعدل عن الإقامة فيه ، وأحتمل عناء البحث عن منزل آخر غيره ، فقد أضلنا السير والركوب مدة لا تقل عن اثنتي عشرة ساعة إن لم تزد ، فإذنا منذ أن بارحنا بئر بن داحة في آخر وادي كسان لم نزل عن ظهر الحمول كما يسميه أهل هذه الجهات إلى أن وصلنا وادي ريم ، ولم يكن اغفائنا في وادي ريم يوماً بمعناه الحقيقي ، كما كان والطريق وعرا متعباً للراكب يكاد يكون معظمه أرضاً فضة تلتقاها بالهبوط والصعود من ربوة إلى أخرى ، ومن ظهر إلى شعب ملتو .

دخلت الكوخ أو العشة ، كما يسمونها وعلى أحد الأسرة من الشريط ويمر فونها بالقعايد ، طرحت بحسبي وتلففت بغطاء أحتجى به من الذباب رغم حرارة الطقس ، وأسست عيني للكرى ، فلم أتنبه من نومي إلا قبيل العصر بقليل .

موضع الدرب

والدرب ، أو درب بني شعبة ، قرية في وسط وادي عتود المتحدر بمالئ عقبة ضلّح وغيرها من جبال السراة . ومعظم مساكنها على حافة الوادي اليمنى ، وسكانها حوالى الألف .

من هم بنو شعبة^(١)

وقد كان بنو شعبة هؤلاء في سابق الزمن أولى بأس وشدة ، والمقول أنهم ليسوا من البدن اليمنية ، بل يرجعون في قبس ، نزحوا من نواحي وادي النواصر شرقي جبال الحجاز جاءوا منتجعين فاستطابوا المقام على هذا الوادي

(١) ذكر صاحب فتح العود في سيرة الشريف حمود ما يأتي :

درب بني شعبة ويعرف قديماً ، بدرب ملوَّح ، سماه هكذا أهل السر عند الكلام على غزوة المهدي أحمد بن محمد إلى الحجاز إلى سرح من آل حب بن اثمار حين سبا نساءهم في أيام المتوكل على الله إسماعيل ، وأن بني شعبة هؤلاء اختلف الناس في تسميتهم منهم من يزعم أنهم من تغلب بن وائل بن قاسط بن هيثم بن قصي بن عمرو بن أسد بن ربيعة بن نزار وليس على هذه الدعوى شاهد ، وإنما هم بسمون بني شعبة تغلباً ، وفهمت من بعض رؤسائهم أنهم من أكلب وأكلب من خثعم يمانية وابست نزارية على أصح الأقوال ، لأن رأيت محمد بن قتيبة ذكر أن من ولد ربيعة أكلب نزار وربيعة منهم أناس دخلوا في خثعم وهم قبائل وبطون ليست إلى خثعم .

ويمكن أن بني شعبة من أكلب من ربيعة الداخلين في خثعم ، بالحلف وظهور لي من بعد أنهم ليسوا من بني شعبة هؤلاء ، وإنما هم من بلاد شمران وبلاد بيشة ، وقيل أن هناك محل يسمى شعبة نسبوا إليه وجاءوا الدرب وتغلبوا على أهلها وسكنوه . وكانوا قبل وصول دعوة ابن عبد الوهاب أهل عز ومنعة يحمون الجار والذمار وما كان أمرهم فيهم إلى رجل منهم لعظمة نفوسهم كل رجل يرى نفسه أميراً ، بل عند حدوث حادث ينصبون شيخاً منهم يتقدمهم في الأمر ولم يكن لهم كسب سوى بالخيول العتاق والبيض الرقاق والسمار الطوال والسوائر الثقال اهـ .

ويقول صاحب كتاب قلب جزيرة العرب ص ١٥٩ - ١٦٠ بنو شعبية . نقيم هذه القبيلة حول ، آتود ، إلى مرتق ضلع وممظم القبيلة بالرغم عن ادعائها أنها من قحطان - من أصل سوداني ومن القبايل الرحل فيها آل خصره وآل حشان ، وأخال أن ما ذكره صاحب فتح العود أقرب إلى الحقيقة إلا أن عوادي الزمن همصرتهم ومهمهم الإقليم وانديجوا فيمن جاوردوم كاسبق القول . وقد جاءت فيما ذكره صاحب قلب جزيرة العرب كلمة آتود ، محرفة عن عتود وكأنه نقل ذلك عن بعض كتب الفرنجة .

وتأصلوا فيه . وكانت لهم شهرة في اقتناء الخيل على عادة أهل المشرق .
وكانوا أولى فرسية وشجاعة . أما الآن فقد أموا مزارعين لا أثر لما عرف
عنه فيما سبق . فقد اختلط بهم غيرهم . وصهرتهم بوتقة الأقليم وعضهم
قتلاشوا فبمن جاورهم وفقدوا ما كان لهم من خلال .

بنو شعبة اليوم

وهم الآن ينقسمون إلى تسعة أغان . آل تحذرة ، و . آل نخلة .
و . الصبغة . و . الصبانية . نسبة إلى صبا . و . الأشراف . و . آل الياس .
و . الزهادية . نسبة لكنتى الزهوية آخر منازلهم من جهة قبائل ألمع . وهي
التي سبق أن مررنا عليها في طريقنا .

والدرب أكبر قرأهم : متوسطة بينها على طول وادى عتود . وتبعد عن
البحر الأحمر بنحو ساعتين أو أكثر قليلا على الدابة ما يلي الشقيق . . .

قرى بني شعبة

وقراهم تسع قرى : وهي عبارة عن منازل في جوار المزارع على طول
الوادى واعتداده . واليك اسمائها

- ١ - . المذرب . ٢ - . الغرارة . ٣ - . الشفمي . ٤ - . قائم آل زيد .
- ٥ - . قائم النعجة . ٦ - . ملان . ٧ - . القصب . ٨ - . السداد . ٩ - . الزبارة .

الزراعة والمزارع في الدرب

وأهل الدرب يطلقون على المزارع كلمة . المعادن . ويسمون الركب
معاد . وهو الوحدة الزراعية لقطع الأرض المزروع كالغدان . إلا أنه
كما هو الجاري في الحجاز في الركب أيضاً لاضابط لمقاسه فقد يكون المعاد
كبيرا وقد يكون صغيرا (١) .

(١) جاء في تقرير حضرة الأستاذ السيد عبد الله الدباع الخبير الزراعى عن
هذه المنطقة بأن المعاد يتراوح عادة بين ٣٥ في ٣٥ ياعاً : والباع مقاس بدائى وهو
تقدر ذراعى الرجل العادى متفردين أى طول متر ونصف متر .

وأغلب مزارعهم الذرة بأنواعها^(١) ثم الدخن . وأرضها جيدة النبات بل أغلب أراضي تهامة كذلك . ولقد قست أحد أعواد الذرة . فكان طوله سبعة أذرع^(٢) .

وإذا ماسال الوادي وسقي المزارع وكان السيل قوياً أمكن زرع الأرض ثلاث أو أربع مرات في السنة بتلك السقيا فقط دون الحاجة إلى غيرها .

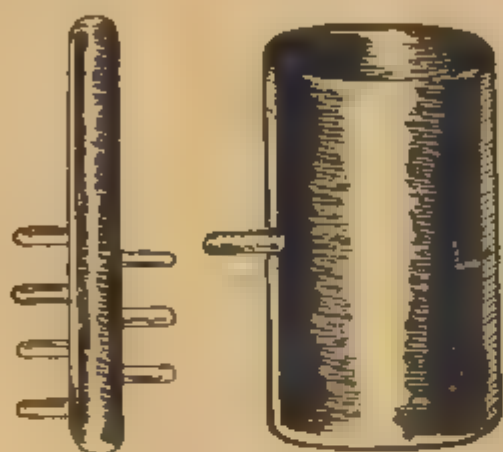
وما شهدته في الدرب . ويوجد في غيره من جهات تهامة نبات يسمونه « الجؤارة » ورقة ونبته يشبه ورق ونبت السمكى أو أدق قليلاً له بذر في حجم حبة الدخن أدهم اللون يتخرجون من أوراقه صبغاً أزرق اللون الثيلة ويستعد نبات الجؤارة للجنى بعد تسعين يوماً من زرعه . ويدوم شجره خمس سنوات يصرمونه في كل خمس وأربعين يوماً مرة كالبرسيم وطريقة إخراج الصبغة منه بسيطة جداً فهم بعد أن يصرمون النبات يخرطون الورق من الأعواد ثم يحففونه فاذا ما جف تماماً وضعوه في ماعون من الفخار مثقوب من نحو الثلث منه . ثم يسدون الثقب بعود ويمتلئ الماعون ماء ويأتون بعصاذات شخائب متخالفة ويبدآن بعصد الورق في الماعون بالعصا مدة ساعتين

(١) جاء في تقرير الأستاذ الدباغ أيضاً أنها أربعة أنواع : الحمراء والزبدية والقهرية والشهلاء . وأن الزبدية والقهرية كليهما أبيض اللون . إلا أن سنبل الزبدية يجي . عادة متمكفاً على عوده . أما القهرية فإن سنبلها يكون مستقيماً إلى أعلا والشهلاء بين الأبيض والأحمر :

وجاء في تقرير البعثة الأمريكية عن المنطقة في ص ١٩١ أن الذرة البيضاء ضعيفة في التغذية لنقص مادة الفيتامين فيها سواء أكلت بالخصار أو بدونها . إلا أنها سرت عندما رأت أهل هذه الجهة يخلطون معها في عمل الخبز الذرة الحمراء وهي غنية بالفيتامين . وميجان الملميم .

(٢) جاء في تقرير البعثة الأمريكية المشار إليها ص ١٣ تحت عنوان تهامة . الدرب . ييش . صلياً . أبو عريش . قولها أن هذه الأماكن القسيحة الامتداد تزرع بمياه السيول فقط . وتنبت من محاصيل الذرة والدخن نباتاً يدعو إلى الدهشة .

أو أكثر على حسب اللزوم ، فإذا تبينوا خروج الصبغة من الورق بعد العصد تركوا العصد ريثما ترسب المادة الصائغة المنفصلة عن الورق في أسفل الماعون فيطلقون الماء من الثقب ولا يزالون يرفعون الرأس مرة بعد مرة ثم يفرغونه على حصيرة ويعرضونه للجفاف ، وبعد ذلك يجمعونه ويبيعونه ، أما بالقطعة أو بالوزن .



، المصدة والماعون .

ويستعملون هذه الصبغة في صبع ملابسهم ، وقيمة العينة من الورق الجاف وهي توازي مائة كيس من الخيش تساوي ثلاثة ريالات وتهبط أحيانا إلى نصف ريال حسب جودة المحصول ووفrته ، أو ضعفه ووقته .

مساكن الدرب

وعدد مساكن الدرب لا يتجاوز الثلاثمائة جميعها بل معظمها عشاش . (أكواخ) تحاط أفقيتها بحظائر من الوشيع ، والعشاش من الداخل مبطنة بالطين كما لو كانت مبنية بالحجارة ، وفي القرية حمسة مساجد من الحجر ، أعظمها المسجد الجامع ، ولكنه خرب محرق السقف وغير معني به ، وجوها حار ، فدرجة الحرارة فيها في فصل القوس آخر فصول الخريف ترتفع ظهرا إلى خمس وثلاثين درجة ، ولا تهبط ليلا عن الخمس والعشرين .

عادات وتقاليد في نهامة

وأهل الدرب يطلقون على الأولاد كلمة « الجهلة » . والسرر التي يجلسون عليها داخل العشة كلها من المجدولة بالشريط من الخوص ، وما كان منها واطناً قريباً من الأرض ، قالوا عنه شبرية وإذا كان السرير عالياً لأمساند له ، سموه « كرسى » . والقعانند إذا كانت مزخرفة ومحللة قالوا عنها « تركية » .

ويعتمدون في طعامهم على الذرة والقهوة . ولا بد أن تكون وجبة العشاء من « الحبيسة » ، وهي عبارة عن قثب خبز الذرة مسقى بالحليب وعلى بالسكر إن تيسر وذوو اليسار منهم يضعون عليه مقداراً من السمن . ويطلقون على طعام الإفطار كلمة « فتوآن » . واستعمالهم للخضار قليل جداً ، والدباء بأنواعها والطماطم ، مما يوجد عندهم بكثرة ، ويسمون الفحمة « نخش » ،

وأواني الطبخ والطعام عندهم جميعها من الفخار ، الخزف ،

وأهل الدرب سمر الألوان يخاف الأبدان . عدى شيخهم . الشيخ محمد



« صورة بعض الاواني الخزفية »

ابن هادي بن مزاع . فانه عريض جسيم في غاية الطول . يزيد منظره ضخامة
دقة أجسام بقية أهل الدرب وضمورها عما جعله طرفة بينهم وشيئاً عظيماً .
ولباس الرجال صدر ذات أكمام يسمونها كورتته . أو صديري . وأسفل
ذلك الوزرة . مما يبر من قماش . كل بحسب سعة حاله . أما الرأس فعليه
طاقية من الخيزران . مما سبق القول بوصفه عند الكلام على محاييل . ويسمونها
قشبع .



• صورتان يدويتان تمثلان معظم لباس أهالي الدرب من الرجال .

على أن الكثير من الرجال يكتفي بالوزرة فقط . ويكون نصفه الأعلى
عارياً لشدة الحر التي تجعل اللباس عبئاً ولا حاجة إليه .

أما النساء فلباسهن ثياب لا أكمام لها واسعة الأردان مصبغة بالذيلة إذا
حسرت المرأة الثوب عن كتفها بأن طرف ثديها وجنبها ويجعلون الثياب
قصيرة للركبة وتحتها إزار مصبوغ أيضا . ويتلفعن بالخر ويلبسن القبعات
الخصوص أحيانا لا سماحين العمل في الشمس .

بيش أو أم الخشب

أقنا في الدرب إلى مساء اليوم الثاني واستأجرنا بواسطة شيخ القرية .
حمارين وشخصاً يدلنا على الطريق ثم مررنا نقصد . أم الخشب (١) .
والطريق من الدرب إلى . أم الخشب ، مظلمة أخاديد وأراضي رملية
ومسائل ضيقة لا تصلح بها عمارة . وأشجار الدوم والسلم منتشرة فيه بكثرة .
وبعد سير نحو خمس ساعات وصلنا وادي يسمى ، سمرة ، بعد أن مررنا
بمكان يقال له . الجبلين . لأن الطريق عنده بين جبلين صغيرين . ويمكن
يقال له . رملان ، وآخر يسمى . الذبر ، ووادي يقال له . بيش .

ووادي سمرة كائن في منتصف الطريق . نزانا فيه على حافة تبع من الماء
كائن في بطن الوادي وتعشينا ، وفي الساعة الثالثة استأنفنا السير مارين
بمكان يقال له . السمعة ، ثم نجحت البقر إلى أن وصلنا . بئر على ، في
الساعة السادسة والصف فأقنا عندها إلى الصبح ثم مررنا ماذين وفي حوالي
الساعة الثانية والصف صباحا وصلنا أم الخشب وبقيت لها بيش (٢) بامم
الوادي جميعه من باب إطلاق الكل على الجزء . وهي بذلك أشهر .
لم نكن نعرف بالقرية أحدا أو بيتاً نقصده . فأرشدنا مراقنا من الدرب أن

(١) جاء في كتاب المستر قلبي *Arabian Highlands* ص ٦٥٤ إن ارتفاع
أم الخشب عن سطح البحر ٤٩٠ قدماً تقريباً .

نقصد مجلس الامارة ، ونضيف الأمير . فذلك على ما قال سيرة معروفة متبعة لاسباب من يمت إلى الحكومة بصلة .

لم تر بدا من اتباع ما أشار إليه رفيقنا فوافقناه مكرهين . وقصدنا مجلس الأمير كما قال . فكان عبارة عن عشاء لا يتجاوز وسعها المترين في مثلها وفي صدر العشاء كرسي من الشريط . قعاده . ولم يكن بها أحد . فخططنا رحالنا وربطنا حميرنا في ردهة بجانب العشاء متصل ببית من الحجر الرضيم من طابق واحد خلفناه في أول الأمر مسكن الأمير الخاص . ثم تبين لنا أنه لأحد أقربائه . ثم جلسنا في العشاء على القعادة ننظر من يأتي . وبعد نصف ساعة قدم علينا فتى في ريعان شبابه حاسر الرأس رجل الشعر منزر يلزار من المصانف . عليه صديري ومتنطق بختجر أو شامية كما يقولون على سبانه شهامة . وفي خلقه وسامة . تبينا منها أنه الأمير فقمنا لتحيته فحاناهاشاً باشاً . وبعد التعرف والاستئناس طلب لنا القهوة ثم الشاي وأبدى استعداداه لتأمين ما يلزمنا . ولم يكن سوى أن نحصل على حمير تنقلنا إلى صيبا . فان ما استأجرناه من الدرب لم يكن إلا لأم الخشب فقط .

وهو أمر من أعسر الأمور . لأن أهل المنطقة جميعاً يرتاعون من تأجيرها على أمثالنا لكثرة مرافقتنا وحملنا ولما يفعله البعض بها من اعتات وارهاق في السير وضرب مبرح . فأبدينا له حاجتنا هذه . ومن فوره كلف أحد جلا وزته أن يحضرها فأحضر لنا حمارين

جلسنا مع الأمير مدة تحدث ثم دعانا لتناول الطعام . ودخل بنا البيت الرضيم المجاور للعشاء . وقدم لنا مقدارا من اللحم مطبوخاً في صفحة من الفخار وقليلًا من التمر وأقراصا من خبز اللدرة . وبعد أن تناولنا ما طاب لنا مما تقدم عدنا إلى العشاء في مجلسنا السابق

النعمة الصغرى والنعمة الكبرى

سألنا عن اسم الأمير فقيل لنا أنه الأمير محمد بن قاسم . ممن

يعرفون بآل النعمة الصغرى ، فانه يوجد نخذ آخر منهم يعرف بآل النعمة الكبرى . وقد كان للأشراف الحسنية في سابق العهود امارة على الخلفاء جميعه .

المساكن والسكان في أم الخشب

وقرية أم الخشب أكبر قرى وادى يش (١) . وفيها من المساكن العتش ، ما يقارب الألف ، وسكانها حوالى ثلاثة آلاف نسمة ، وحول القرية الكثير من المزارع أو المعامل كما يسمونها .

ومعظم المزروعات من الذرة والدخن والسمسم على شاكلة الدرب . وسقيهاها بما يسيل به وادى يش في موسم المطر ، وبها بقعة آبار للشرب ، وهى من القرى المشهورة المطروقة دواما فيما بين السراة ومدن تهامة وقراها .

في الطريق إلى صيدا

بعد أن انتهينا من ضيافة الأمير كما سبق القول وتهيأت لنا المراكب استاذناه للسفر فأذن لنا . ورغب إلينا شخص من جهينة - أحد قبائل شمال الحجاز اتخذ جيزان مقراً له وقدم يش مكلفاً من أحد تجار جيزان بشراء ما يتيسر له

(١) وادى يش معروف منذ القدم بهذا الاسم فقد ذكره اليعقوبى المتوفى عام ٢٨٤ أو ٢٧٨ في كتابه ، البندان ، المطبوع في النخف بالمراق ص ٨٠ عند ذكره لمراحل الطريق بين مكة وصنعاء فقد قال أنها احدى وعشرون مرحلة على تقدير المرحلة ثمانية فراسخ : ذكر منها يش ثم الشعروش . ثم قال في صفحة ٨٩ : يش أهلها الأزبد وبها قوم من بنى كنانة ، والفرسخ ١٢ ألف باع ، وعلى التقريب ثمانية كيلو مترا كما جاء في المنجد . وكلية الفرسخ فارسية .

وجاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني عند الكلام على مدن اليمن التهامية في ص ٤٥ قوله : ثم يش وبه موالى قرش وساحله عَشْرَ والى حازة عَشْرَ تنسب الأسود التى يقال لها أسود عشر وأسود عشتود وهى قرية من بوادىها وقد ذكرها ابن مقبل فقال : جلوسا بها الشم المعجاف كأنهم أسود بَسْرَجَ أو أسود بعشتوك (٩ الرحلات)

مراؤه من الحبوب والفلال رغب إلينا هذا الشخص في أن يرافقنا في المسير إلى صيدا فرحبنا بذلك . وفي الساعة العاشرة والنصف من بعد العصر تحررنا وبعد أن سرنا نحو نصف ساعة وأشرفنا على قرية تسمى « السلامة العليا » ، أشار علينا الجيبي أن نخرج على قرية السلامة . وأن نبيت بها إلى الصبح . لأن الطريق - وهو الخير به - معظمه بين المزارع كثير المداخل والتعاريج وقد تعرض فيه مع سواد الليل للتعثر والضلال وأتألمو سلكناه سالكين . فلما أن ببيت على مقربة من صيدا فأننا سناتها حوالى الساعة السابعة . أى في منتصف الليل وليس من الرشد دخولها في ذلك الوقت .

قال لنا ذلك وتذكرنا المثل ، وعند جبهة الخبر اليقين ، فوافقناه لاسيما وقد ذكرنا أنه يعرف أحد سرات القرية ، ومن الممكن أن نبيت في رحابه . فلما إلى القرية وقصدنا دار من ذكر . فلم يقصر أهله في بذل ما استطاعوا من إكرام وعناية بنا وطيب ملاقة .

وقرية السلامة هذه وما يليها من القرى إلى صيدا عبارة عن مساكن للزارعين في جوار مزارعهم . فمى أشبه بالعزب على حد تعبير المصريين . أصبحنا ووجهتنا صيدا وبعد أن سرنا نصف ساعة مررنا بقرية « أم تخرج » ، أى المخرج ثم بعد نصف ساعة أخرى مررنا بقرية « الملاحة » (١) . ثم بعد ساعة تقريبا مررنا بقرية الشاخر ، . ومن قرية الملاحة إلى قرية الشاخر هبط بنا الطريق إلى وادى صيدا ومسيل النيل إليها تاركين المزارع التى لم تنقطع عن شمالنا ، ولم تغل حافة الوادى وروايه من أشجار الأراك منتشرة هنا وهناك ، أما بعد أن تجاوزنا قرية الشاخر ، فقد عاد بنا الطريق إلى حفافى المزارع وخليجان مشاربها من الوادى الفضل .

(١) هى غير الملاحة التى بالسراة وغير الملاحة التى فى وادى تيشه .

سرنا نحو ساعة وصلنا بعدها إلى قرية (الأخبَصِيَّة) وهي من أكبر القرى القريبة من صيا وأجودها تربة وأوسعها مزارع.

مررنا بها وبعد حوالي ساعة شارفنا صيا، فلم نواصل السير . بل عرجنا على منخفض من الأرض كثير شجر الأراك والسدر والجوز، فيه بئر للسابلة .

في صيا

حططنا رحالنا وتناولنا بعض الطعام وشربنا الشاي . ثم دخلنا صيا (١) وجهت مدرستها للزول بها مؤقتا إن اتسعت لذلك، فلما وصلنا المدرسة وجدناها عبارة عن حظير من الوشيع في إحدى جوانبه عريش من الوشيع أيضا موزع إلى ثلاثة أقسام دون حواجز هي فصول الدراسة في المدرسة، وغرفة الإدارة عشة متواضعة لا تتسع لأكثر مما فيها من مكتب المدير وكرسي جلوسه. وكان الطلبة والمدرسون قد انصرفوا وليس بالمدرسة أحد سوى الحارس، فبمئناه أو أهريناه كما يقول أهل عسير السراه ليأتيانا بأحد الأسانذة نستعين به في دلالتنا على مكان ناوى إليه . فذهب وجاءنا بالأستاذ مدني زكري من أهل صيا . وبعد أن حيانا وحيدناه وعلم ما نرغب أبي إلا أن يكون منزلنا بيته، ولم يكن مناص من موافقته . فسرنا معه، وبذل لنا من الأكرام والرعاية ووافر العناية طيلة الأيام التي أقناها بصيا ما نعجز عن واجب شكره عليه .

(١) قال ياقوت في معجمه ص ٣٢٧ ج ٦ صيا من قرى عشر من ناحية اليمن : لعل عشر اسم الوادي وهو ما يعرف الآن بوادي صيا متحددا من جبال هروب إلى ساحل البحر . ونحن ذكر صيا صاحب كتاب صفة جزيرة العرب ص ٥٤ على أنها من مدن اليمن النمامية .

حارات صيدا ومساكنها

ومدينة صيدا على نهديج من الأرض^(١) سكانها على وجه التقريب حوالي ستة آلاف نسمة وتنقسم إلى خمس محال. وهم يسمون المحلة «مركز» ويعرفونه إما بالجهة أو بالنسبة إلى أشهر أسرة فيه ومراكز صيدا هي :

١- الشامي ٢- النجاشي الأسفل ٣- النجاشي الأعلى ٤- المقامي

٥- الخواجي. وهذه الأخيرة تشمل ما يعرف بصيدا الجديدة.

ومعظم مساكن صيدا وبيوتها أكواخ يسمونها «عشما» تتخذ من أعواد مختلف الأشجار الموجودة في المنطقة، ويلد ظاهرها بحشيش الضرم الصلب العمود وتجدها من تساقط الطل عليها ليلا وسطوع الشمس نهاراً كالحلة مضمرة اللون كثيفة المنظر. أما من الداخل فجميلة في غاية البهاء فانها مبلطة بالطين ومنورة بالجنس الأبيض الناصع ومحلاة برقوق من الخشب موضوع عليها ما لدى أهل البيت من نفيس المرافق. وبعض عشش وجهاها في غاية السعة والتجميل.

وعدا ما في العشة من زخارف خشبية فإن بها مشاجب يعلقون فيها زنايل من الخوص المصبغة بمختلف الألوان والمعنى يزخرقتها. يضعون داخلها ملابسهم ومازليها. فهي بمقام الدواليب في المدن المتحضرة. كما يعلقون فيها كبا من الخوص يسمونها «مسكقاه» يضعون داخلها أكواب القهوة ومواعين طبخها من الفخار. ويسمون ماعون طبخ القهوة «جبننة». ولا يعتادون فرش أرض البيوت بشيء ما بل هي مبلطة بالطين بعد خلطه بروت البقر الجاف. ويسمونه ضففاح ويخططونها خطوطا مقوسة

(١) يقول المستر فلي في كتابه *Arabian Highlands* أن صيدا ليست مرتفعة عن سطح البحر بكثير ولعل ارتفاعها لا يتجاوز ٥٠ قدما على وجه التقريب وقدّر سكان صيدا القديمة والجديدة ويدت اليد بـ ٢٥٠٠٠ نسمة ص ٤٦٣ و٤٦٥

بشكل جلد السمك على نسق ما وصفت لك في أرض غرف بيوت رجال .
وجلسهم فيها على سرر يسمونها قعايد كما سبق شرح ذلك ويانه في
الكلام على الدرب . وحم أن يكون أمام باب العثة عرصة ناهضة عن الأرض
على غرار أرض العثة يسمونها (طراحه) يرزون إليها بالكرامى ذات



صورة يدوية تمثل شكل العثة .

المساند أيام الصيف . ولا تخلو صيبا من بيوت من الحجر لبعض سراتها
وأغصانها لا تتجاوز الخمين بيتاً بعضها يحصص من الداخل والخارج ومن خرقة
حفافى أبوابها بتقوش لا بأس بأشكالها ولكنها لا تعدو في الارتفاع الطابق
الواحد ونادر منها ما كان من طابقين .

وقد رأيت أحدهما مبني بالطوب على شكل عشة بخاله الناظر لأول وهلة
قبة ضريح أو جامع .

وعلى مقربة من محلة الخواحي بضعة بيوت من الحجر ومسجد جامع
وهي المعبر عنها بصيا الجديدة ويطلب على ظني أنها من إنشاء الأدارسة إبان أماراتهم
لهذه النواحي جعلوها مآكن خاصة فلم شهدت منها بيتاً من طابقين واسع
الأرجاء ولكنها جميعها الآن خالية خاوية تطرق إليها الخراب وتهدم بعض
جدارها .

وفي صيا حوالي ثلاثين مسجداً أكبرها المسجد الجامع مربع الشكل في
وسطه ردهة مكشوفة تحيط بها الأروقة .

والطرق والأزقة بين بيوت صيا ليست ضيقة ولكنها كثيرة التلوى
والتعاريج

السوق في صيا

ولصيا سوق دكاكينه خليط بعضها من الحجر وبعضها من الأخشاب
تبلغ نحو مائة دكان فيها الكثير مما يحتاجه سكان المدينة على اختلاف أنواعه
وشهدت في وسط السوق في العراء ثلاث معاصر لإستخراج زيت السمسم
تديرها الخيال ولا تغلوا البلد من غيرها .

وفي طرف السوق مما يلي الشرق قلعة أو نكدة مهدمة قديمة المهد من
أبنية الشرفاء آل خيريات أمراء الأقليم في العهد الأسبق . تعاقب عليها
الإصلاح والترميم من الحكومات السابقة . أما الآن فهي خراب مهلة وقد
شهدت على مقربة منها مدفعا قديم الطراز مدفون بعضه في الأرض يسمونه
المدفع العربي .

اللباس

ولباس أهالي صيا في الغالب الأزار والصديري ذو الأكام ، أما غطاء

الرأس فطواقي من الخيزران من جنس ما وصفته لك عند الكلام على محال
والدرب .

ولا تعد من أهلها من يلبس الثياب والمعاطف ، الأكوات ، ويعتم
بالأحاريم^(١) ، المعروفة والمعتاد عندنا استعمالها في الحجاز ، هذا في الرجال ،
أما النساء فلباسهن القمصان ذات الأكمام القصار إلى المرفق ، ولا يعتدن لبس
السراويل بل المأزر تحت القميص ومتظلمن بحجيات وحليهن معظمها من الفضة
لا تخرج في أشكادا وأنواعها عما وصفت لك عند الكلام على حلي نساء رجال

أهالي صيدا

وأهل صيدا على العموم سمر الألوان نحاف الأبدان في بشرتهم صفاء وفي
قوام بعض نساكنهم سميرية مستملحة .

اللمجة

والطمطمانية جارية في كلامهم إلا أنهم أحيانا ينطقون بلام التعريف
على الوجه الفصيح غير أنهم يستفتحون كلمة الفعل المضارع دائما بحرف الشين سيما
ما كان منها على وزن أفعل فيقولون في أفعل شَفْعَلْ وفي أنام شَسْنَام
وفي أقول لك شاقولك ويقولون شَسْجِي بمعنى نجى^(٢) ومن التراكيب التي

(١) متادبل مربعة كبيرة تتخذ من الحديد أو القطن المطرز أغلب ما تصنع
في سوريا وهي شائعة الاستعمال في مدن الحجاز

(٢) قرأت في الأهرام عدد ٢٤١٨٤ وتاريخ ٣٠ - ١ - ٥٣ م تحت عنوان
في (لغتنا العامية) بحث الأستاذ عبد العزيز مطر في صدد أصل الفعل ، شَسْكَلْ ،
جاء فيه أن (أفعل) في اللغة العربية يقابله ، شَفْعَلْ ، في اللغة الأكادية كما يقابله
، هفعل ، و ، هفعل ، في المعينية والسينية . ولا يبعد كما يبادر لحضرة الباحث أن
عنصر الشين في بعض الكلمات السامية أثر من أثار اللغة الأكادية السامية انقرض
استعماله في اللغة العربية الفصحى يؤكد ذلك ما ذكرته لك بل ومعظم سكان الساحل
الجنوبي للجزيرة العربية ينطقون بهذا الفعل مسبقاً بحرف الشين حتى اليوم .

يستعصى فيها على غيرهم ما سمعته من قولهم « شَيْشِشِقُ الْفَانُوسِ » بمعنى
يشعل الفانوس « مالك متكبر » بمعنى لاى شىء جالس ويبدلون العين
بالآلف فى النطق فأبداه الله بدلا من عبد الله وأم سودية يعنى السعدية .

ومن غريب ما سمعته من شخص كان يسأرننا من أم الخشب إلى صيا -
كلمة « آبأو » وهى كلمة يؤكد بها المتكلم ما يقول ومن كلماتهم الغريبة
« بِيَسَح » بمعنى ثوب .

الطعام وأوانيه

ومن أطعمة صيا ، الخُضْضِير : يصنعونه من فتيت خبز الذرة مضافا
إليه السمن والعل أو السكر و : الحَكِيد : وضعه كالخضير إلا أن دقيق
خبزه متخذ من الذرة الخضراء المجنية قبل أن تيبس فى عودها .
والمصوب : ويتخذ من دقيق البر الخالص يخبزونه كالكطائف ثم يدقونه
بآلة حادة إلى أن يمسى كقطع اللحم المفرومة فيضعونه فى صفحة الأكل
كالقبة ويضعون حوله السمن والعل وأحيانا يضعون على القبة قطعة
وافرة من إلية الكبش المسلوقة ، يرون فى ذلك أمانا فى إكرام الضيف .
ويسمون صحاف الطعام المَفَافِى ، ومن أسماء أواني الطبخ عندهم - الخُفْشَشَه
والكُرْزَمَه - والجفْزَه وكلها . عبارة عن قدور من الفخار أو الحجر على
مختلف الأوضاع لكل وضع اسمه المخصوص .

مناخ صيا

ومناخ صيا حار رطب ، ودرجة الحرارة كانت تبلغ أثناء وجودى بها
فى فصل القوس ظهراً فى الظل ستة وثلاثين درجة ، وتتراوح فى طرفى النهار
بين الثامنة والعشرين والرابعة والعشرين ، أما ليلا فتهدأ إلى الخامسة عشر درجة .
لأن ليلا كثير الندى والطل . والماء فى صيا عذب المذاق .

وادی صیبا وقراه

ووادی صیبا واد فسیح یخدر من جبال تسمى . هَرُوب . تمتد کثیر من الأودية المجاورة . وعلى مقربة من صیبا فی جنوبها الشرقی غابة من شجر السدر البیق ریانة رائعة المنظر جداً . تمتد شرقاً إلى قرية المخرض . وغرباً إلى قرية الباهر . وحول صیبا عدة قرى منها العدایا : وُحُوتین - والبَاحِر - والقَرری - و - مُصْنِبَة - و - الأَخْبَصِيَّة .

الحاصلات الزراعية

ومتوجاتها الزراعية من الحبوب فی الأغلب الذرة . ومن متوجاتها السمسم والدخن والدجر ، الکشری ، وأهل مکة یفضلونه علی ما یردهم منه من الهند وینسبونه إلى جیزان . واللویا ویقولون عنها (دجر) أيضاً . ومن متوجاتها من الخضر : القرع ، والفجل ، والطاطم ، والبامیه . والملوخیه . وغير ذلك من أنواع الخضروات التي یصلح زرعها فی المناطق الحارة . وما یکثر فی صیبا غراس الفل والریحان والمرزنجوش^(١) . وسمونه « الوزاب » ، والبابونج . وسمونه « سُکَب » .

وما یجلب من الفواکه والثمار إلى سوق صیبا من البلاد البینة . الملاصقة للمنطقة الموز والأترج والفافوی وسمونه عتروت^(٢) أو عتبة فلفل ، والأنب^(٣) وسمونه (عتبة کوع) والقشطة وسمونها « شَفَلَح » . یجلب إليها ما ذکر من قرية التَّضْمیر وهي علی مرحلتین من صیبا کما قیل لی . کما یجلب إليها من صعدا أحياناً العنب والرمان والسفرجل .

(١) یقول له الحجازیون : الدوش (٢) المنجة

واخال ان ما يجلب إليها كما ذكرت لا يصل في حالة صلاح عدا الموز
والسفرجل لأن التنضير بعيدة كما ذكرت وصعدا أبعد ، والقوم لا يحيطون
بمعرفة ما يوجب وصوله سالماً جيداً .

وما يوجد في هذه الضواحي ثم كأنه صغار البطيخ أو كبار الخنظل يكاد
جوفه كله يكون بزرًا في شكل بذر البطيخ الحبيب ، يأكلونه محصا كما يؤكل
بذر البطيخ الأخضر ، ويسمونه ، زَعَقَمَا .

وما يزرع في ضواحي صيا ، البطيخ الأخضر ، وقد ذقته فكان لا بأس
بخلاته والخربز وقالوا لي أنه يكون شديد الخلوة .

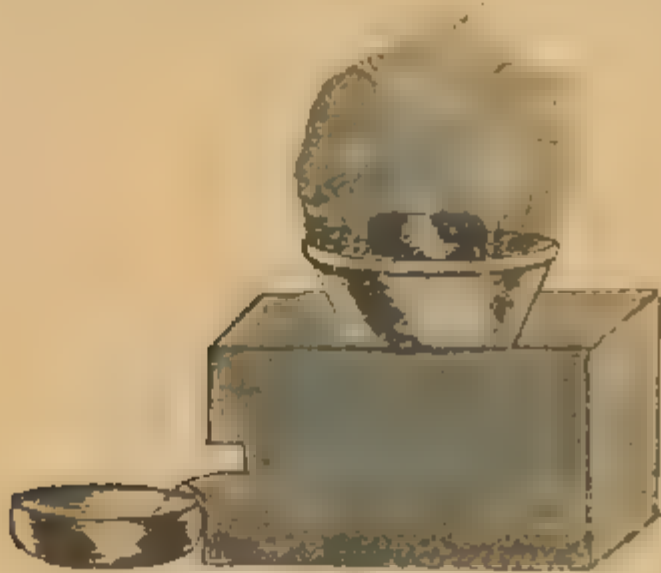
عملية استخلاص القطران النباتي

وما شهدته في طرف مدينة صيا طريقة استخلاص القطران النباتي ، وذلك
أنهم يأتون بحجرة من الفخار ضيقة الفوهة فيحشونها بأعواد العنم الطرية الدقيقة
أو ما شاكله من أنواع الشجر المستعد لافراز المادة المذكورة ثم يضعونها
مقلوبة على بناية خاصة مربعة ترتفع عن الأرض بقدر شبر داخلها مفروش
بحجر واحد خفيف يجعلون طرفه بارزا من جهة كالميزاب ثم يحكمون سد ما بين
الجرة والبناية المربعة مما أحاط بفوهة الجرة وبعد ذلك يحيطون القسم البارز
من الجرة بدائرة من الصفيح تعلو أطرافه ظهر الجرة المفروسة في البناء ، ثم
يضعون على الظهر الفحم أو القش أو أي مادة قابلة للاحتراق كبر الخمال
أو روث البقر ، ثم يوقدونه فتصهر الأعواد في داخل الجرة من أثر الحرارة
ويتقطر ما فيها من ماء ومادة سائلة من فوهة الجرة على الحجر ، ويسيل من
طرفه البارز إلى الخارج فيلتقونه بقدر أو أي ماعون ، ولا يزالون
يوقدون على أعلا الجرة إلا أن يكف السائل وتحترق الأعواد تماماً .

يخرج السائل على ثلاثة أنواع : ماء محمر أصهب ومادة دهنية وسائل

عبيط هو القطران المعروف . يتخلون المادة الدهنية ويسمون بها ، صفاء ،
ويزيحون الماء ويسمون به صفوه . .

أما القطران فعلم وجه استعماله . وأما الماء والدهن فانهم في هذه



صوره يدوية تمثل استخراج القطران

الجهات يستعملونه في غسل الرأس ودهنه لقتل ما يتولد فيه من القمل ، كما
سبق القول عند الكلام على رجال .

إمارة الأدرسة - نجم يتألق

ولما كانت مدينة صيدا قبل بضعة عشر من السنين عاصمة للإمارة
الأدرسية سلف الحكومة الحاضرة ، فاستعرض لك بياناً موجزاً مقتضباً
عما سمعته من بعض أهلها عن الإدارة وكيف نشأت إمارتهم وكيف تلاشت
ينتسب السيد محمد الأدرسي رأس الإمارة الأدرسية إلى السيد أحمد
الأدرسي المغربي الذي قدم من المغرب في أوائل العقد الثالث من القرن الثالث
عشر إلى الحجاز . ثم انتقل منه في سنة ١٢٤٤ إلى تهامة .

فهو السيد محمد ابن السيد علي ابن السيد محمد ابن السيد أحمد المشار إليه .
 وكان السبب في نشوء إمارة السيد محمد وميعة طموحه إلى تأسيس
 حكومة في هذه المنطقة . أنه بعد عودته بمدة وجيزة من رحلة إلى السودان
 ومصر قضى فيها بضع سنوات متقبلاً إلى الأزهر الشريف بمصر لطلب العلم
 توفي أبوه السيد علي وكان السيد محمد أكبر أولاده . تخلصه في طريقته الصوفية
 وأمسك له نفس الحرمة والمسكنة التي كانت لوالده . وكان سكان الأقليم
 إذ ذاك في حالة من الفوضى والجهالة لتقصير الحكومة العثمانية وإهمالها .
 وبقابل تلك الجهة في حالة جاهلية يعتدى بعضهم على بعض . وينهب بعضهم
 بعضاً . ولم تعد للضعيف حرمة أو حماية بينهم . وكان بين سكان صيبا و قبيلة
 الجعافرة بصفة خاصة ضغائن وإحسان رأى بعض عقلائهم من الطرفين أن
 يوسطوا السيد محمد في إزالتها وتصفية الخواطر مما عاقبها من الحقد صيانة
 لما بينهما من حقوق الجوار والمصالح المتبادلة ومنعاً لتعدى بعضهم على بعض
 فتوفق السيد إلى أن يصلح بينهما ورضى كل منهم بخفارتة وضمانه على صيانة
 الحقوق وعدم التعدى . ومضى زمن والامور مستقيمة والحقوق بينهما مصونة .
 غير أن بعض سفهاء صيبا من أهل مركز الشامي . إحدى محال صيبا . في أحد
 أيام السوق الذي يقام عادة في صيبا في كل أسبوع ويأتيه الجعافرة وغيرهم
 لتبادل العروض والمنافع اعتدوا على امرأة جعفرية ونهبوا ما معها مما كانت
 آتت به لتبيعه في سوق صيبا . فاستعدت المرأة عليهم السيد محمد وشكت إليه
 ما حصل عليها وبمقتضى خفارتة وضمانه بعث إلى المعتدين يطلب رد ما سلبوه
 من المرأة وتعويضها على ما تقتضيه القواعد والعرف المرعى بينهم فأبى القفلة
 وأنكروا ما حصل منهم مما أغضب السيد والجاه أن يستنفر أهل مركزه
 ويستنهضهم لحماية ضمانه ولو بقتال أهل مركز الشامي فاستجابوا لما يريد . فان
 حرمة حرمتهم واتهاكها انتهاك الحرمتهم .

ولما علم عقلاء مركز الشامي بالأمر وما اعتزمه السيد وأهل مركزه من قتالهم . خافوا أن تطور الأمور إلى ما لا تحمد عقباه لما للسيد من حرمة ومكانة دينية ، وبادروا بارغام الفعلة على الاعتراف ورد ما أخذوه من المرأة ، ولكن السيد لم يعد يرضيه ذلك بعد أن لمس صدق الجريمة من أهل مركزه في شد أزره واستجابتهم حتى للقتال معه . بل أصر على قتل من أخاف السبيل وانتهك حرمة السابلة وخفر الذمة والمهد .

وبعد مداولات وأخذ ورد تنازل السيد بأن يكتفي بجز نواصيهم على ملا من الناس في يوم السوق إذ لا لهم وتشير أتهم . وجز النواصي عند العرب أشد مرارة من القتل ولكنهم لم يجدوا بدا ولا مناصا من الاستجابة فجزت نواصي المعتدين يوم السوق وشهر بهم أعظم تشهير .

هذه الحادثة أسنفت على السيد فوق حرمة الدينية سطوة الحاكم وزادت من هيئته في النفوس . وكان السيد حصيفا فاستغل الحادث بأوسع معنى الإستغلال ووسع دائرة الحلف والنفاق على صيانة الحقوق وحرمتها مع غير الجرافة ممن له مصلحة في ارتياد سوق صيا الأسبوعى من القبائل الأخرى .

وأعان السيد على ذلك ما كانت عليه نفوس القبائل من السأم والملل من حالة الفوضى التي عم عليها وتعدي بعضهم على البعض مما أدى إلى ضياع مصالحهم . فقد كان الناس جميعا من أهل الأقليم في تعطش لحالة الاستقرار والأمن اللذين فقدوهما بسبب ضعف الحكومة التركية وإهمالها وسوء إدارتها .

فتوافد على السيد كثير من رؤساء القبائل المجاورة يطلبون منه الدخول فيما دخل فيه أمثالهم من حلف ، وذاع صيت السيد بينهم ، وانتشر ذكره بالثناء والتخذ . مما لفت نظر والى الجديدة إذ ذاك . فكتب إلى أصحاب الشأن

من رجال الحكومة العثمانية في استانبول ينهبهم ويلقت نظرهم إلى السيد وما يخفى منه .

لكن رجال الحكومة في استانبول حيث كانوا في شغل شاغل عن مثل هذه المناطق النائية عنهم بما هو جار بينهم من تناقض وتحفز بين كل من رجال حزب الاتحاد والترقي وحزب الائتلاف للوصول إلى كراسي الحكم والسلطة بعد ما أعلن ما أسماه الدستور فاكثفت بأن تبعث مندوبين من طرفها لاستطلاع حقائق الأمور وجلب رأي أمير السيد محمد ونوابه ، وكان السيد لبقا حكما مع من اتصلوا به من المندوبين مما جعلهم يطمنون إليه ويسندون إليه رتبة قائمقام لصيا وما جاورها .

اشتد ساعد السيد محمد وازداد نفوذه انتشاراً وأصبحت له صفة الحاكم الشرعي ومضى على ذلك سنتان والأمر مستقر والسيد موظف من موظفي الدولة فلم يرق هذا لبعض أشراف المخلاف ممن كان لهم سابق سلطان ونفوذ في البلاد وحدوده على ما وصل إليه ، وكان أبرزهم في إظهار ما يضر من الضيعة والمجاهرة بها الشريف أحمد الخواجي من الإشراف الخواجية آل مهنا ولم تعد تخفى على السيد محمد حاله ومناقضته إياه فترخص به واتمس عليه بعض الهبات وأرسل له رسلا يدعونه للحضور إليه فامتنع وحصلت بين رسل السيد وبعض خدم الشريف مشادة أدت إلى تراشق بالبنادق على عادة ما يجري بين أتباع رؤساء القبائل والعشائر .

فاتهن السيد محمد فرصة هذه الحادثة ، واتهم الشريف أنه ممن يريدون الفساد وإثارة الثنن والقلاقل وجد حتى تمكن من القبض عليه وسجنه ثم قطع يديه من المرفقين .

بعد أن حصل على الشريف ما حصل استطاع أن يهرب إلى الحديدية ومنها إلى استانبول شاكيا على رجال الحكومة ما حصل عليه من بغي .

ويستطاع ما أصبح عليه السيد من نفوذ وسلطان مما أوجب لديهم الريب والشك . في نواياه مرة أخرى .

فكتبوا إليه يطلبون منه الحضور إلى استانبول بصفته موظفاً من موظفي الحكومة للتحقيق معه في الحادث ومحاكمته ، فامتنع عن إجابتهم إلى ما طلبوا معتزاً بمن النفس حوله من القبائل وبما أصبح له من مكانة وحرمة فوق حرمة الدينية متمتلاً لسان حاله بما قاله أحد أمراء مكة في أواخر العهد العباسي في قصة مماثلة .

ولي كف طرغام أصول يبطشها
أأجعلها تحت الرحي ثم أبني خلاصاً لها أنى اذن لرقيع
وما أنا إلا المسك في أرض غيركم أضوع وأما عندكم فاضيع
كبر ذلك على الحكومة العثمانية فجبرت قوة من الجند تحت رئاسة المدعو محمد راغب وأرسلتها إلى جيزان وهو النثر الوحيد الذي لا يزال لهم فيه نفوذ بفضل من كان يسكن فيه من الحامية وأمرود باقضاء أمر السيد والقبض عليه والأتيان به إلى استانبول .

وصلت القوة جيزان وعلم السيد بأنها ليست من الكثرة والاستعداد إلى الحد الذي لا يمكنه معه مقاتلتهم .

وما أن وصل القائد المذكور جيزان حتى كاتب السيد محمد يرغبه في الاستجابة لأوامر الدولة . وجرى بينهما أخذ ورد وتبذلت بينهم الرسل ولكن السيد أصر على الامتناع فزحف محمد راغب بما أتى به من قوة وكان السيد محمد قد استعد لملاقاته وقتاله وفي مكان يقال له الخفائر يبعد عن جيزان بأربعة كيلو مترات ، التقت القوتان ونشب القتال بينهما وانتهى بتراجع القوة التركية إلى جيزان ومطاردة جنود السيد محمد لها بما أوجب عليها الهرب في المراكب الشراعية والاتجاه إلى الحديدة واسيلاء السيد على جيزان وانقطاع دابر الحكومة التركية من المخلاف جميعه

في تلك الأثناء كانت الحكومة الإيطالية قد اعتلت على طرابلس الغرب
من ممالك الحكومة العثمانية واحتلتها وأعلنت على العثمانيين الحرب .

ومن المعلوم أن للحكومة الإيطالية مستعمرة أرتريا الحبشية وثغر هامصوع
وهي واقعة على الساحل المقابل لسواحل تهامة عسير فانتهزت حصول الفتنة
والثورة من السيد محمد وأخذت تبذل له بعض المعاونات وتمده بالمال والسلاح
لأنها كانت تطمع يوماً ما في الاستيلاء على هذه الجهات والتسلط عليها
فما تجل على أتم وضوح في عهد موسوايني وكاد يقع لولا تصدى الانكليز
وممانعتهم استيلاء لانفرادهم بالنفوذ والسيطرة على الجزيرة وأمرائها .

ظلت المناوشات بين السيد وبين الخامينين التركيين المعكرتين في الحديدة
وأبها قائمة مستمرة . وكان من أهمها محاصرة السيد محمد لمدينة أبها حوالى تسعة
شهور وتصدى أمير مكة حبيذ الشريف الحسين بن علي مأموراً من طرف
الحكومة العثمانية لتفك حصار أبها كما أوضحت ذلك في صدر هذه الرسالة
وشرحت به شيء من التبسط في تاريخ عسير السراة الملحق بهذه الرحلة .

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى تنفس الزمن للسيد محمد وانصرفت
الحكومة العثمانية إلى ما هو أدهى وانتهت الحرب بهزيمتها وحليفاتها ألمانيا
وانتصار الانكليز وحلفائهم وكان من أثر ذلك انسحابهم من البلاد العربية
جميعها .

وفي أبان الحرب وأثناء قيامها تمكن الانكليز بواسطة حاكم عدن من
الاتصال بالسيد محمد وعقد تحالفه معه ضد الحكومة العثمانية . كان من جملة
بنودها استعمال كل الوسائل السياسية عند ختام الحرب في تأليف مطالب
السيد الإدريسي مع الامام يحيى أو أى خصم آخر .

وكان السيد يطمع في الاستيلاء على الحديدة وقد احتلها الانكليز في أثناء

الحرب فلما أعلنت الهدنة بين الحكومة والحلفاء طلب السيد الاستيلاء على الحديدية فاجلاها له الانكليز لأن حكومة اليمن لم تكن على وفاق معهم فأتت بذلك رقعة إمارة السيد وازداد سلطانه .

كما حاول بعد أن رحلت الحامية التركية من أبها عاصمة عسير السراة أن يستولي عليها وأن يضم العسيريين تحت لوائه ولكنه فشل في محاولته السياسية والحربية ولم يتحقق رغبته كما سيجي . بيان كيفية ذلك في تاريخ عسير السراة في غضون مائة وخمسين سنة الملحق بفصول هذه الرحلة

أقول واضمحلال

ظل السيد محمد الأديبي متمتعاً بما وصل إليه من انفراد بالسلطة والحكومة إلى أن توفي في يوم الثالث من شعبان سنة ١٣٤١ فاضطربت البلاد ووقع اختلاف فيمن يخلفه وأخيراً وبعد أن رفض أخوه السيد الحسن أن يقوم مقامه بوجع ابنه السيد علي وكان إذ ذاك قتي لم يتجاوز السابعة عشر ظلت الأمور مستقرة مدة عام لم تختلف في أثنائه عما كان عليه الحال في حياة والده ولكن بعد ذلك دبت دواعي الغيرة والتحاسد بين أعيان صيدا ورجالاتها فقد كان ممن حصل له نفوذ ورعاية لدى السيد علي من أهالي صبيبا يحي زكري والشريف حمود الحازمي فلم يرق ذلك في نظر غيرهم من أعيان المخلاف أمثال محمد يحي عوض باصهي والسيد محمد حيدر من سكان قرية الملح وساداتها فسمعوا بين السيد علي وبين عمه الحسن بالآفساد وإيفار الصدور فسامت العلاقة بينهما .

وكان ممن قدم صيدا في عهد السيد محمد السيد مصطفى الشري أحد أفراد العائلة الأديبية المقيمين بمصر من أبناء عم السيد محمد وظل بها إلى ما بعد وفاته فرأى السيد علي بعد توليه الإمارة وتوجهه أن المثار إليه ممن يوالون عمه السيد الحسن ويودون توليته الإمارة - أن يتألفه بما يبعده عن عمه السيد حسن ويحيط صيدا ، فاستند إليه ولاية الحديدية .

وما كاد يستقر بها ويتمكن حتى نقض عهد السيد على وتظاهر بإعلان بيعه السيد لحسن وموالاته . مع أن السيد الحسن نفسه لم يكن قد تظاهر بقبول الدعوة له . مما دل على أن هذه البيعة إنما كانت تليسا وعموما لمقاصد خفية له لا تبعد أن تكون ورائة السيد محمد فيما شاهده وإبعاد ابنه وأخيه معا وتولية الامارة .

أعلن التمرد على السيد على وأخذ يجمع الجموع للقتال وفعلا زحف بما تجمع لديه من الحديد بقصد الاستيلاء على صيا واستولى في طريقه على قريتي اللحيّة والزبدية من قرى الساحل فيما بين الحديد وصيا .

فانبرى له السيد على ودار بين الفريقين القتال وانتهى بتفوق قوة السيد مصطفى وتراجعها واندحارها ودخول السيد على الحديد ظافراً منتصراً وهروب السيد مصطفى والتجأته إلى قبيلة الزرانيق ثم عودته إلى مصر .

كان دخول السيد على الحديد في ابهة عظيمة من كثرة من التف حولها من القبائل فداخله شيء من الفروور والعجب فلما أن رجع صييا وكان قد بلغه في أثناء سيره الكثير مما حيك ضده من دسائس بقصد خلعه - جمع نحو أربعة عشر نفرا من أعيان صييا وجيزان وأمرهم بمغادرة البلاد ففادروها كل إلى حيث عن له

بعد ثلاثة أشهر بما سرده لك من الحوادث اتبرز إمام صنعاء فرصة هذا الشقاق والارتباك وزحف على الحديد فانزعجها ولم يكتف بذلك بل واصل جيشه الزحف إلى أن وصل إلى سامطة فانبرت له قبائل تلك الجهة من نفسها وقائلوه حتى أرجعوه إلى حررض وميدى .

لولا ذلك لاستمر في زحفه إلى جيزان وصييا ولا يستطع السيد على مقاومته فان الأمور كانت من جراء عدم تصرفه التصرف الحسن في غاية الارتباك والاضطراب لأنه اتخذ بعد أن أبعد من ذكرنا من الأعيان بطانة ليسوا أهلا لأن تقوم بهم إمارة أو تقاس حكومة .

كانت هذه الحوادث في أواخر عام ١٣٤٣ وفي أوائل عام ١٣٤٤ حل في الخلاف السيد الشريف أحمد السنوسي الطرابلسي المشهور لمسايقته وبين الإدارة من وشائج الصلات الروحية فتوسط بين السيد علي وابن عمه السيد الحسن لازالة سوء التفاهم فلم يتجمع لأن العناء كان قد بلغ الذروة بينهما .

وكان السيد أحمد السنوسي يميل إلى السيد الحسن ويرجح توليه الامارة فأخذ يناصر من يرى ذلك من أهل الخلاف إلى أن تمكنوا من تأليب القبائل على السيد علي وقتاله ومن معه في جيزان فانه كان قد ترك صيا وانفذ جيزان مقرآ له ابتعاداً عن عمه الحسن . وانتهى القتال بهروب السيد علي ودخول أنصار السيد الحسن جيزان . وأخيراً بخلع السيد علي وإعلان إمارة السيد الحسن . كان هروب السيد علي إلى جزيرة أمه القريبة من جيزان ثم انتقل منها إلى جزيرة فرسان وهي أيضاً لا تبعد عن جيزان بأكثر من أربع ساعات بالزوارق الشراعية .

لم يطل أزواء السيد علي في فرسان بل بعد شهر تقريباً رجع إلى صيا مستسلماً وظل في صيا نحو أربعة عشر يوماً طالباً أنثاءها من عمه السيد الحسن أن يأذن له بالسفر إلى مصر لطلب العلم فأذن له بذلك . ولم يكن صادقاً فيما أبداه من قصد طلب العلم بمصر بل سافر إلى مصر وعبدلاً من أن يتصد مصر كما قال ، قصد الحجاز ملتجئاً إلى الامام عبد العزيز آل سعود بمكة .

ظل السيد حسن متصرفاً في البلاد وفي نهاية عام ١٣٤٤ عاد من كان أبعدهم السيد علي من أعيان صيا وجيزان وحتى السيد مصطفى الزيني فانه عاد إلى صيا ولكنه عاد منتدباً من إحدى شركات البترول الانكليزية لمفاوضة السيد الحسن في استثمار ما يوجد من البترول في جزيرة فرسان .

وفعلًا تم الاتفاق بأن تدفع الشركة مقدماً ومقابل احتكارها استخراج البترول مبلغ مائتي ألف جنيه وأن يكون الخمس مما استخرجه من نصيب البلاد

الحياة السعودية

قبل مقدم السيد مصطفى لما ذكرناه كان السيد الحسن قد ضاق ذرعاً من تحمل أعباء الحكم وبيدوا في أنه كان متخوفاً من التجاء ابن أخيه للسعوديين وما قد يحدثه من متاعب فندب السيد محمد المرغني أحد أقرباء الإدارة إلى الامام عبد العزيز يطلب حمايته للبلاد . وبعد أخذ ورد وافق الامام عبد العزيز على طلب السيد وندب إليه أحد رجالاته وهو صالح عبد الواحد وأخذ في مد نفوذه ووسائل حمايته للبلاد .

وفي عام ١٣٤٨ كان المندوب من الحكومة السعودية حمد الشويعر ويبدو أنه لم يحسن العلاقة بالسيد الحسن فطلب من الامام عبد العزيز إبداله والتوسع في ندب مختصين في الأمور المالية بل وتولى حكم البلاد حكماً مباشراً فأجابته إلى طلبه وعين بدلاً من الشويعر فهد بن زعير وضم إليه بعض الحجازيين من موظفي المالية وغيرها .

على أن الصفاء بن هؤلاء والسيد الحسن لم يدم طويلاً فقد تعمكرت العلاقات بأكثر حدة وتوترت عما سبق .

والمتبين أن السيد الحسن ندم على ما أبداه من طلب العون وغاب فيما كان يأمله من ذلك . فثار يطلب التخلص مما ورط نفسه فيه . ولكنه باء بالفشل فقد نجح في البلاد من بشائع الأوضاع الجديدة ويؤازرها . وانتهى الأمر بهروب السيد الحسن للتجائه ومن صحبه من أفراد العائلة الإدارية إلى امام صنعاء واستيلاء السعوديين استيلاء تاماً على البلاد .

وبعد سنة تقريباً وقعت الحرب المعروفة بين الصنعانيين والسعوديين وكان من نتائجها تسليم الصنعانيين السيد الحسن ومن معه من الإدارة للسعوديين وهم الآن محجوزون بمكة ولهم مرتبات شهرية يتقاضونها ، يحوّلهم جلالة الملك عبد العزيز بعطفه ورعايته . وفيه في خلقه شؤون .

إلى « أبو عريش »

أقمت في صيبا خمسة أيام انتهت فيها ما أنا بسبيله من استطلاع حال الدراسة والمدرسة وفي جبهة لبسة الأربعاء الرابع من شهر ذي القعدة سنة ١٣٩١ شددنا رواحنا وسلكنا الطريق إلى أبو عريش وبعد مسير ساعتين وصلنا قرية « ظبيسه » وهي قرية في الطريق لا تختلف ما كتبنا عن أشكال مساكن صيبا وكانت غابة العرج التي وصفتها لك في ضاحية صيبا تلازمنا كما أن مزارع الذرة من الجانب الآخر لم تنقطع إلا فترات قصيرة .

مررنا بظبيسه ولم نمرج عليها وارتفع بنا الطريق إلى خبت ليس به شيء . من المعامل كما يقول أهل هذه الجهة غير قطع متائرة فيها بعض زرع الدخن . سرنا في الخبت المشار إليه بقدر نصف ساعة أو يزيد قليلا فوصلنا قرية « خضره » وهي قرية كسابقتها « ظبيه » قائمة على واد ينسب إليها تحوطها بعض المزارع من الذرة . قطعنا وسط الوادي وفي ظل شجرة من شجر الأثل وما أكثره في طريقنا هذا حططنا رحالنا وتناولنا فطورنا وكانت الشمس قد ارتفعت فتعجلنا الرحيل وسرنا نصف ساعة بين مزارع (خضره) ومعاملها ثم هبط بنا الطريق إلى غابة من الأراك يسمونها (الهيجة) وعلى حد تعبيرهم (أم هيجة) .

بين الغابة والمزارع - فتنة وجمال

سرنا في الهيجة ما يقارب الساعة وأشجار الأراك الناضرة ممتدة عن شمالنا ويمينا وعلى مد البصر من أمامنا .

ولم يترك أهل تلك الناحية ما بين شجر الأراك من فراغ هلا بل تشروه دخنا نبت واستوى على سوقه ومالت سابل حبه بذرى أعواده فتوعدت مناظر الغابة وغدت مباءة لثقت أنواع الطير على مختلف ألوانه ، عاكف على

التقاط حب الدخن من منابله ، كان ينفر كقزعا كلما سمع خشخشة أرجل رواحنا ويأوى إلى غابته فيما تشابك من شجر الأراك مرسلا ، من الصدح والتغريد ما خلناه في ذلك المحيط كأصوات المثنى والمثالث .

وقد كان الجو ندياً طرياً لم تؤثر فيه أشعة الشمس وحرارتها رغم أنها شارفت الإستواء والهواء ليناً رخياً تمر نسيماته على وجوهنا مرور الآسى العطوف . لحظات ودقات مضت ونحن نسير في تعاريج الطريق بين أشجار الغابة لا يستأفها من السرور والاستئناس ما ودنا معه لو أن الطريق على حاله هذا يمتد بنا شهوراً وأياماً .

انتهت الغابة وباليها لم تنته وأشرفنا على وادٍ عظيم يعرف بوادى جيزان تقوم على ضفافه الجنوبية قرية ، القعدة ، مساكنها كأماثلها السابقة إلا أنها قرية صغيرة أجزانها ومزارعها ومال بنا الطريق إلى خبت آخر قطعناه في مسافة تقل عن المسافة التي قطعنا بها الخبت السابق ومن نهاية هذا الخبت بدت لنا أبو عريش .

مدينة أبو عريش

تقوم هذه المدينة على نهد من الأرض (١) مستطيلة الشكل من الشرق إلى الغرب معظم مساكنها من العشاش كصيا إلا أن البيوت من الحجر تكثر فيها ولسكنها من طابق واحد فقط ذات مقوف عالية فارعة .

(١) يقول المستر فلي في كتابه *Arabian Highlands* أن ارتفاع أبو عريش عن سطح البحر تقريباً ٣٥٠ قدماً صفحة ٥٧٢ وأن طولها من أقصى الشمال الغربي إلى أقصى الجنوب الشرقى أقل من ميل تقريباً وفي عرض مشطه بحيث تمثل البُطَيَّيرَة الودق التي يلعب بها الأولاد .

ولعلها كانت تعرف قديماً بالعُرْش ، فقد جاء في كتاب البلدان لليعقوبى المتوفى عام ٢٧٨ عند ذكره المراحل بين مكة ومغنا قوله (ثم يبا ثم المعفر ثم ضنكان ثم زق ثم ريم ثم يش ثم العرش من جازان) وأبو عريش اليوم قائمة على وادى جيزان .

وأبو عريش أعلى عن سطح البحر من صيبا والجبال لا تبعد عنها كثيراً .
فدرجة الحرارة فيها ظهراً لم ترتفع عن إثنين وثلاثين درجة ونهبط ليلاً إلى
الواحد والعشرين ومناخها أجف من مناخ صيبا وأرضها أخشن تراباً .
وأهلها مضيافون يتوددون إلى الغريب وبالفونه وهم أنشط حركة وأخف
روحاً من غيرهم من سكان هذه الجهات .

وبيوتها لا تزيد عن ألفي بيت وتنقسم إلى أربع محال ويسمون المحلة
مركزاً ويعرفونه بالجهة كأهل صيبا وأحياناً يقولون (حَشَوَة) ولكنهم
أكثر ما يطلقون الحشوة على منازل الأسرة وأبناء العمومة المتقاربة في المحلة
وعادات أهلها وملابسهم لا تختلف عما وصفته لك في صيبا إلا أن
النساء يزدن في غرجهن إلى جاراتهن بلبس ثوب أبيض واسع الأردان يمثل
الملاحة ومعظمهن محجبات ككثيرات الاحتشام .

والطمطمانية في لحنهم أكثر نقسباً من أهالي صيبا .

ولأبو عريش ماض مجيد فقد كانت عاصمة الأمراء آل خيرات حكام
الأقليم جميعه في العهد الأسبق . ومنهم الشريف حمود المعروف بأبو مسبار
عاصر العهد السعودي الأول وقد رأيت عند بعض أفاضل أهل رجال رسالة
في سيرته سماها مؤلفها نفح العود في سيرة الشريف حمود .

ومن آثاره في أبو عريش مسجد جامع سقفه من ثمانية عشر قبة له
حريم مكشوف بقدر سبعة وهو الآن خراب . وقيل لي أنه في عهد صلاحه
كان يتوسط البلدة لما كانت عليه من السعة والعمران ، أما موقعه الآن ففي
طرف حشوة الرفاعية بعض سكان أبو عريش .

وفيها حوالي أربعين مسجداً غيره . أقدمها عهداً مسجد ينسب لأحد
أئمة اليمن الصنعائين ذو ثلاث قباب منها واحدة متهدمة رأيت على واجهة
محرابه هذين البيتين ولم أفقه لهما معنى .

أيها الناظر هذا من شريف ولى العزم وقاده
كان ما كان من المجد الذى أعمر البيت أعاده
وسكان مدينة أبو عريش على أكثر تقدير لا يتجاوزون أربعة آلاف
نسمة (١).

ومن طريف ما شهدته فى مساكنها من الداخل - أطباق صغيرة من الصفيح
أو هى منافض السجائر المستعملة فى الحواضر مخرقة ومعلقة بخيوط صفوفاً
فوق بعضها البعض يتخذونها زينة وتحلية للجدار فإذا هجمت الريح من باب
الحجرة أو العشة داعبتها فتصافقت وأحدثت ريناً وشنشة .

الموز ينبت من قرون البقر

كنا مدعوين للشاي والقهوة عند بعض أهل القرية وجرى الحديث فى
الفواكه والثمار ما ينبت منها لديهم وما يحلب فقال بعض من شاركنا المجلس
من أهالى أبو عريش أن الموز ينبت من قرون البقر وأنه شهد فى القرية
الفلانية نموه ونبتة منها (٢) .

فقلت له ربما أن بعض الزراع أراد تسميد شجر الموز لديه فدفن تحته
فضلات ذبيحته من البقر ومنها القرون فالتفت عليه العروق فظاننت أنه نبت منها
(١) يقول المسر فلي فى كتابه *Arabian Hillslands* أن سكان أبو عريش
حسب الإحصاء الرسمى ٣٠٠٠ نسمة من الكبار ويقدر مجموع سكانه بـ ١٢٠٠٠
وأشك فى هذا التقدير .

(٢) أدخل هذا الوهم على محدثى لسفاجته مشابهة ثمر الموز بقرون البقر وإن الموز
من الأشجار التى ضعف فيها تكون البذور لتوالدها بطريقة خضرية من طريق
الجرثومة والفسيلة وشجرة الموز لا تأتى بالثمرة غير مرة واحدة ثم تعقبها شجرة
أخرى من الجرثومة وهكذا والموز من الثمار التى لا يتم نضجها إلا خارج الشجرة
ويتلف لو بقى فيها . وفى منابت الموز الأصلية بشرق آسيا وأفريقيا يوجد منه نوع
طويل حبة الثمرة ، بقدر نصف المتر أو يزيد ، ويوجد بداخلها حبوب سوداء
كحببات السبع الصفار ، وهذا الصنف يستعمله أهل تلك الجهات طبخاً وقلياً
فى السمن كالبيضاطاء وقد شهدت هذا النوع من الموز يزرع فى شبه جزيرة ملقا بالملايا .

فأبى ذلك منى وقال أن أمير جيزان ذكر له هذا فأنكره وجاوزه بقرون
رمى بالشروش وانبعثت من طرفه نامية شجرة الموز وأصر على صحة ما يقول
• وسبحان من فآوت بين خلقه في المدارك والعقول •

السوق في أبو عريش

ولأبو عريش سوق عامر تصغر عن سوق صيا في الوقت الحاضر
شهدت في طرفها سلسلة من الحوانيت المبنية بالحجر فتحاتها حنايا وسقوفها
على شكل بناء القباب بالحجر أيضا ، اغماس ، تبلغ حوالى عشرين حانوتا
مهجورة طمى عليها الرمل ، قيل لى أنها في عهد ازدهار أبو عريش كانت زاخرة
بشتى المعروضات ، وكان الذين يدبرونها جماعة من البانيان الهندوكيين ، قدموا
من عدن ، ثم لما اضطرب الأمن في هذه الجهات وكثرت الأفاعلة على المدن
هجروها وانقطع عنهم . وجميع التجارة الداخلية كالذخن والذرة والسمن
والدجاج والبيض واللحوم وغير ذلك رخيصة للغاية ، ولذلك فالحياة في هذه
الجهات من هذه الناحية سهلة رخيصة . وهى كثيرة الآبار وماء الشرب فيها عذب المذاق
ظللنا في أبو عريش أربعة أيام كنا أثناءها نبحث عن حير نحملنا إلى
جيزان فإن ذلك على أمثالنا غير يسير . وشهدنا لأحد أهل القرية حاراً فأرها
نشطا فساومناه على تأجيرها لنا فأبى ولكننا اطمعناه بالمزيد من الأجرة
وكاد أن يوافقنا ويرضى لولا امرأة طلعت من داخل الحظير لمسكه تصيح
• ما تأجر ما تأجر أم سودية ظله تشام يقتلوا أم حول • ففعل عن الموافقة
ولم نر بداً من الرجوع إلى الأمير ليحصل لنا على حواين بأى طريقة كانت
ولإلا طال مكثنا دون ما لازم .

استأجرنا الأمير حمارين كيفما اتفق وبألفهما من حارين فقد كانت أرجلنا
ونحن عليها من فوق الألففة تكاد تلامس الأرض من قصرهما .
وكانت البرادع لا بطائن لها تحزمها على ظهري الحمار وليس إلا الظفر
المشبوك في ذنبه فكنا وما عليها تتمايل حين المشى ذات اليمين وذات الشمال
تمايلا يكاد يجمع الواحد منا بالأرض .

والمسافة بين أبو عريش وجيزان كالمسافة بينه وبين صيدا لا تزيد عن
ست ساعات وهم يشكلون في وضعهم الجغرافي مثلثا متساوي الأضلاع^(١) .
على أننا وقد كانت مراكبنا ما وصفته لك لم نستطع أن نصل جيزان إلا
في ظهر اليوم الثاني لسفرنا من أبو عريش . فظلنا حرنت الحخير وأبت السير
ونحن عليها فنضطر للزول عنها وسوقها أمامنا ونحن مشاة على الأقدام .

إلى جيزان

بارحنا أبو عريش الساعة الثامنة بعد الظهر فررنا بقرية « القويصة »
ثم « السلامة » ثم « الخشاية » ثم « الواصلي » فرجعنا أن نبيت بها إلى الصباح
فإننا لم نصلها سوى الساعة الثالثة بعد العشاء .

والطريق من أبو عريش إلى الواصلي قليل المزارع بل معدومة الأمن كثير
من الدخن هنا وهناك عدا الواصلي فإن بها بعض المعامل وزرع النرة .

بنّا في الواصلي ثم بارحناها قبل شروق الشمس فررنا بالخرادلة ثم
« الخصاصوة » ثم « عمير » وجميعها عبارة عن بضع عشاش على حفر للماء ليس
للزرع فيها أثر وفي الساعة الخامسة بعد أن بلغت الروح منا الحلقوم من سير
الحخير البطيء - وصلنا جيزان .

في جيزان

نحوط جيزان من البر سبخة يغمرها البحر بمائه أحيانا فتسمى زلقة
لا تستقيم على المشي فيها أرجل دابة ولا إنسان .

(١) جاء في تقرير الخبير الزراعي السيد عبد الله الدباغ أن المسافة ما بين
أبو عريش وجيزان ٣٥ كيلو متراً تقريباً

ومن المصادفات أن البحر غمرها بمائه عندما قاربناها ولولا أن صاح بنا شخص ما يرنا الطريق من الواصل ، أن تماسك على ظهور الدواب وأن نمشي بحذر ، وسرنا على ما نجعله من حالها . لما دخلنا جيزان الأمطيين بحماتها .

قطعنا البيخة في عشر دقائق أو تزيد قليلا . كنا في أناتنا ونجف خوفا من أن نزلق أرجل الخمر فنسقط من عليها . ولكن الله سلم . وانتقل بنا الطريق إلى كشان من الرمل تصل بربوة المطلع قطعناها وجهتا المدرسة وكلما سألنا عنها شخصا ممن تصادف قال لنا ، هناك على البحر عند الجبل .

واصلنا السير في أزقة جيزان على غير هدى نسير أحيانا في طريق كثير الالتواء وأزقة بين بيوت من العناش وأحيانا بين بيوت من الحجر من طابق واحد أو طابقين . ومن طرف سوق جيزان الدائم وعلى جنوبه ترامت لنا المدرسة . هناك على البحر عند الجبل .

لم نصل المدرسة إلا بعد أن صقرتنا الشمس بحرها وأصبحت المراتب تنذب في أعيننا من شدة وهجها ونحسب أن أرجلنا قد نأخذت من مفاصلها لكثرة ما كنا نهز بها الخمر نمشي وهيبات فقد كانت حميراً بمعنى الكلمة وأحط مدلولها .

قلنا لمن تلقانا من أساتذة المدرسة أغشنا أولاً وقبل كل شيء . بمكان نأوي إليه ولم يعد قينا مزع للكلام . فلم يقصر بل لوى بنا ونحن لا نزال على ظهور الخمر إلى حيث جثنا وبعد دقائق وقف بنا على حظير من الوشيع ودخله ليخلي لنا مكانا فيه .

كان ذلك مسكنه وكان عبارة عن عشة وعريش صغير في الطرف الآخر من الجانب المواجه للعشة . وكان الطيب الحليم حديث عهد بعروسة لم يمض على بنائه بها غير يومين . علمنا ذلك من زميل له لحق بنا إلى البيت فقلنا

أنفسنا ستكون بعد ما سمعنا قول زميله أثقل عليه من رضوى ومهلان لو طال بنا الحديث والمقام . لما عليه البيت من ضيق .

بأدب المتفضل الكريم وأحضر لنا أقصى ما يمكن المتجمل أن يحضره من طعام فجل وتجميل كما يقول أهل هذه الجهة . فقد كنا في مسغبة ومحنة بل وسعار من الجوع ، فهدنا بما يسمى طعاماً من أبو عريش .

أكلنا وارتحنا ولا استرسل فيما لا طائل نحته من قول فقد وفقنا بواسطة أمير جيزان الأمير خالد السديري أن ننقل في تلك الليلة إلى مسكن بعد من أحسن مساكن جيزان مشرف على البحر علمت فيما بعد أن البعثة الأمريكية التي قدمت قبلنا بأيام للبحث والتنقيب في هذه الجهات كانت تسكنه ، وأنه على الدوام تحت إجارة البلدية تعده لمن يرد جيزان من ضيوف الحكومة .

كان المسكن عالياً مشرفاً على البحر كما قلت فهو طابق ثانٍ لمخازن تحته مكون من غرفة داخل غرفة ، أو مجلس بصفه . على حد تصبير الحجازيين وغرفة أخرى مكشوفة : (خارجة) جهزته لنا البلدية بسريرين من الشريط وجرة ماء وفانوس للإضاءة . ولم تكن في حاجة لضرب ذلك فنعنا من الفرش والأواني ما فيه الكفاية . ولم يكن يزججنا في هذا المكان إلا خروج السجناء في الصباح الباكر . فقد كان السجن في جواره تماماً . إلى ضحل الماء الذي أمامنا من سيف البحر للتطهير والوضوء . وما يسبقه من كشف العورة لقضاء الضرورة مما حرمنا منه الاستمتاع في الصباح الباكر بمنظر البحر وتلقى هوائه .

مدينة جيزان

وجيزان أو جازان كما كانت تسمى قديماً (١) أكبر فريضة الآن في هذه الجهة ومنها وإليها الصادر والوارد وقد تزايدت حركتها التجارية عن ذي قبل

(١) فقد سماها هكذا اليعقوبي المتوفى عام ٢٧٨ في كتابه البلدان الآتق الذكر

وكثر سكانها وأمموا خليطاً من أهالي المملكة العربية السعودية فإن فيها من غير أهلها عدداً من النجديين والحجازيين بل فيها يمانيون أيضاً ، وأصبح لباس أهلها خليطاً مختلف الزى كل بما اعتاد على أن معظم أهلها من سكان الأقليم وزبهم هو زبهم الذي وصفت لك غدير مرة .

وذكر لي بعض أهلها أنه جرى إحصاء قبل مدة وجيزة لسكان جيزان فقاربوا التسعة آلاف نسمة ولا يبعد أنهم الآن عشرة آلاف نسمة . وبيوتها خليط من العشاش والحجر . وتكثر فيها العشاش المستطيلة الهرمية السقوف ويسمونها عريش . وأزقتها ضيقة كثيرة التعاريج .

سوق جيزان

وسوقها عظيمة بالنسبة لغيره من أسواق مدن هذه الجهة ، كثير التفاريع ، عامر بمختلف أنواع السلع وإليه وفيه تنصب معظم غلال الأقليم ، وناهيك بها من غلال وافرة . فقد قال لي بعض من عرفت أن زكاة الذرة وحدها بلغت في إحدى السنين السابقة ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ صاعاً جيزانياً والصاع الجيزاني أربعة أمداد والمد على ما أذكر حوالي كيلة ونصف مكية . ومن صادرات جيزان المهمة ثمرة شجرة الدوم الموجود في المنطقة بكثرة يصدرونه إلى مصوع وعدن وغيرهما .

وتشرف على جيزان سلسلة جبال واطئة الذرى أخال أنها في سحيق القدم كانت مغمورة بالمياه . وتآلف جيزان الآن من خمسة مراكز ، محلات : (الحافه) و (الجبل) و (المسطح) و (الساحل) و (المطلاع) وعلى الجبال والمرتفعات التي حولها خمسة حصون (حصن البرقية) لأن فيه الأخذة اللاسلكية و (حصن الشريف) و (قلعة البرج) ، و (قلعة الوسط) (قلعة المطلاع) وتوجد قلعة سادسة على طريق قرية المضاي .

وفي جيزان حامية من الجند النظامي وإدارة للشرطة ودائرة للبلدية ودائرة للصحة من طبيب واحد ومحكمة شرعية وبها مديرية للمال ترتبط

برأسة أموال عمير في أبها، وبها مدرسة أولية ابتدائية طلبتها نحو مائة وخمسين طالبا.

ولأمير جيزان الهيعة على سائر إقليم تهامة المعروف قديما بالمخلاف السليماني بل ما كان منه تحت حكم الإدارة في آخر عهدهم وهو على ما أعلم يبدأ من القحمة شمالا إلى الموسم جنوبا ومن البحر غربا إلى صدور وادي ببش ودرب بني شعبة شرقا، وفي كل قرية وقيلة شيخ أو أمير يرجع إلى أمير جيزان ومنه يستمدون سلطتهم.

ماء الشرب في جيزان

وماء الشرب في جيزان شحيح فهو يجلب إليها على الجمال والخير من مسافة ساعات من حفاثر يحفرونها ويمتحنونها منها الماء فإذا تطرقت إلى ماء الحفير الملوحة من كثرة المتع طموه وحفروا غيره في جهة أخرى وهكذا ربا ويل أهلها إذا أمطرتهم السماء فإن السبخة التي وصفت لك عند دخوانا جيزان تذلق فيتعذر جلب الماء وأول ما يصنعه أهل جيزان عندئذ المبادرة إلى جرار الماء ومواعينه وختمها ولا يخرجون منها الماء إلا مقداراً بمقدار والترشف والشرب فقط فقد يتعذر سير الجمال والخير في السبخة أياماً (١).

معدن الملح في جيزان

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من مدينة جيزان منجم عظيم للملاح الحجري

(١) علمت قبل أن أتمكن من طبع هذه الرحلة أن الحكومة بعد أن جرت إلى جدة بعض مياه عيون وادي فاطمة من أعمال مكة وتوفر فيها الماء نقلت آلة التقطير كندانية، التي كانت بجدة إلى جيزان وبذلك ألحمت مشكلة الماء في جيزان بعض الشيء.

شهدت استخراجها كما تستخرج الأحجار من مناجتها يعرفونه بالمضرب^(١) .
وفي جيزان من التعدين عدى الملح الجبس والنورة فإن معدنها
متوفرة بها .

مصطلحات وعادات وتقاليد

ومن لطيف المصطلح عليه بين أهالي جيزان وحتى أهالي صيدا وأبو عريش
أنهم يلقبون من كان اسمه محمد بـ «عزى» وعلى بـ «جمالى» ، ويحيى بـ «المهاد» ،
وأحمد بـ «الصنى» ، وعبد الله بـ «الفخرى» ، وحسن بـ «الضياء» .

البرتقال الجيزانى

ومن المفارقات الطريفة في جيزان والتي يقع الغريب معها في مفاجأة
مضحكة أطلقهم كلمة «البرتقال» ، على الشقوق الذى يتخذ من مسحوق أعواد

(١) جاء في كتاب *Arabian Highlands* للسفر فلي أن الذى اكتشف
منجم الملح هذا في عهد الإدارة مهندسوا شركة شل في أثناء بحشهم عن البترول وأن
التل الذى فيه المنجم لا يرتفع عن سطح البحر بأكثر من مائة قدم وأنه يشمل
مساحة ميلين أو ثلاثة في مثلها صفحة ٤٧١ .

وجاء في تقرير البعثة الأمريكية التى جابت المنطقة للدرس والاختبار ص ١٥
قولها ، يجرى في جيزان تعدين الملح الصخرى ومن المحتمل أن يبرهن عدد صغير
من حفر التجارب التى نعمل هناك على وجود أطنان كبيرة إضافية فإذا وجدت
الأسواق التى يمكن تصدير الملح إليها وازداد التصريف في داخل البلاد فإن من
المحتمل أن يزداد الذى يجنى منها زيادة لا يستهان بها . وقالت في مكان آخر من
التقرير ما معناه ، أنه إذا وجدت الأسواق التى يتم فيها تصريف ناتج الملح لا سيما
إذا استعملت الآلات الحديثة - وسمت أنواعها - أمكن استودار أرباح طائلة
من هذا المنجم وضربت مثلاً بما وفق إليه الأتراك في معدن الصريف بنامة العين
قبل حرب عام ١٩١٤ وقالت أيضاً ، ومن الممكن أن يكون الهند سوقاً رابحة وملائمة
لتصريف الملح .

التمباك وتستعمله بعض طبقات العمال تخزيناً في الفم . فقد ذكر لي صديق جاء
جيزان وسمع عرضاً كلمة البرتقال فيادر وبعث من يشتري له منه مقدارا
ليطفي بمصه أوار ما هو فيه من حر وإذا بالرسول يأتيه بالشوق ويقول له
(جيتك يرتقال ناھي) يعني جيد

وذكرتني هذه المفارقة في الاصطلاح مفارقة كنت منها في دهشة أول
ما قدمت دمشق فقد كنت أشهد على بعض المحال كلمة بوظة فاجفل من
ارتياحها لأنني لا أعرف البوظة إلا الخمر الذرة أو كسر الخبز الجاف المسكر .
وكم كانت دهشتي عند ما علمت أنها الدندمة (آيس كريم) يسميها أهل
دمشق بوظة .

وما يعتاده أهالي تهامة عموماً رجالاً ونساء خضب أكف الأيدي
والأرجل بالحناء ويقولون أن ذلك يخفف عليهم أثر الحر .

مجلس القات

ومن المؤلف في جيزان وصيا وأبو عربش مضغ القات ، كاهل
البن عموماً . والقات نبات شجر قائم الخضرة يستخلصون منه أعواده الطرية
ويتناولون منها النواهي الرأسية التي تشبه نواهي أوراق اللبغون .

يتخذون لذلك جلسات خاصة غالب ما تكون بعد الظهر فيجتمع
الأصدقاء في بيت أحدهم كل على كرمي مخصوص من الكرامى التي سبق
وصفها وفي جواره حزمة القات ملفوفة في قطعة من القماش لتحفظ بطراوتها
وفي الوسط قلال الماء المبرد وكثيراً ما يدخلون معه أثناء الجلسة الشبشة
ويسمرنها ، مداعة .

يبتدىء الواحد فيناول بعض النواهي من القات ويمضغه ويمتص ما
تحلب منه وتظل المضغ مخزونة في غم يستحلبها شيئاً فشيئاً فإذا تفتت وانتهى
ما فيها من عصارة أخرجها واختزن غيرها ، وقد تطول الجلسة إلى الليل .

وقد ذقت القات لأختبر طعمه فوجدته على شيء من الحلاوة الخفيفة المعروجة ينير المرارة والعفوصه وهو لذلك يلذ استعمال الماء البارد عليه . وهم يزعمون أنه يورثهم شيئا من النشوة والنشاط ولم أقف على تحليله الكيماوى . وذكر لى بعض الإنجليز ممن تعرفت بهم في مصر أن في حدائق الحيوان بمصر بعضا من شجر القات وهو لا يزرع بشهامة عسير وإنما يجلب إليها من البلاد الأجنبية المصاغة لها والقريبة منها ^(١) وقد يزرع أيضا بكية قليلة في جبال فيفا الواقعة في الجهة الشرقية من جيزان .

جزيرة فرسان

يقابل مدينة جيزان وعلى بعد أربع ساعات منها بالمراكب الشراعية جزيرة فرسان ^(٢) أو جزر فرسان فأنها عدة جزر بفضل البحر بينها فصلا تاما (١) جاء في كتاب ملوك العرب للريحاني أن قات في علم النبات يسمى *atha fidula* ويقول أنه لا يشك في أنه مضر بالصحة والنسل فهو يفقد المزج شبيه الأكل ويعد أسباب الحضم ويحدث مثل الآليون شللا في مجارى البول ولا تقوى البهائم بل يضعفه ص ٩٢ .

(٢) جاء في معجم ياقوت ص ٣٥٩ ح ٩ : فرسان بالفتح والتحريك وآخره نون من نواحي فرسان ويقال سواحل فرسان قال ابن السكيت مال عنق من البحر إلى حضرموت وناحية أبين وعدن وذللك فاستقار ذلك العنق وطعن في نهايته اليمن في بلاد فرسان والحكم بن سعد العشيرة وكل ذلك يقال له سواحل فرسان قال ابن السكيت فرسان منهم من ينسب إلى كنانة ومنهم من ينسب إلى تغلب وقال ابن الخالك : من جزائر اليمن فرسان وفرسان قبيلة من تغلب كانوا قديما نصارى وطعم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم بأس وقد تحاربهم بنو حميد ويحملون التجار إلى بند الحبش وطعم في السنة سفرة وينضم إليهم كثير من الناس ونساب حمير يقولون أنهم من حمير .

هذا ما قاله ياقوت أما ما يعرف بفرسان اليوم فليس إلا جزيرتين كبيرتين أحدهما أصغر من الأخرى وحولهما بعض الجزر الصغيرة وهي واقعة بين سواحل تهامة وبين سواحل أدنريا من بلاد الأحباش أى مصوع وما يليها ولكنها إلى سواحل تهامة أقرب ، ولم يتيسر لى الوصول إليها ولا معرفة شيء عن أصول سكانها وفيمن يرجعون .

اثنتان منها كبيرتان تكاد أن تكونا ملتصقتين وحولها بعض الجزر الصغيرة ولم يقدر لي الوصول إليها رغم طول مكثي بجيزان وإنما تعرفت في جيزان بأحد الفرسانيين من سكانها ولحمت فيه شيئا من الفهم والدراية والادراك ، فاستوصفته الجزيرة وما فيها فشرح لي الكثير من حالها ومناخها . فعلمت أنها أطيب مناخا من جيزان وأنها ذات جبال واطئة الغرى . وفيها مقدار من النخيل وأشجار الثمار الممكن صلاحها في المناطق الحارة . تسقى من أبار وينابيع عذبة الماء . وأن بها من الحيوان الغزال والأرانب وبما قاله لي أن في بعض مجاهلها وخلائها توجد حمير توحشت وتوالدت فتكاثرت بنصيبها أهالي فرسان ثم يروا ضوئها ويبيعونها في جيزان وصبيا .

وأن بأعماق البحر من سيفها ينابيع عذبة الماء ولذلك فإن بها مفاصات للؤلؤ يقوم أهل الجزيرة على استخراجها وهو من جملة موارد كسبهم (١)

(١) لما كانت كيفية نشر اللؤلؤ في أصدافه قد لا يعلمها الكثير فأنني أذكر هنا ما كنت قرأته في التحفة النهائية في تاريخ جزيرة البحرين لأستاذنا العلامة الشيخ محمد خليفة النهائي وما فهمته من ذلك من محقق الفرساني .

أغلب ما يتكون اللؤلؤ وينشأ في البحار ذات الينابيع الحلوة في أعماقها وكلما كانت الينابيع أكثر وأغزر كلما كان اللؤلؤ المتولد حيا لها أكثر ضياء . ولعلنا والصدف نوعان كبير وهو المسمى بالصدف وصغير ويطلق عليه البلبيل . تلقى الصدفة من النوعين بزرها على شكل بزر الخشخاش أصفر اللون لا يزال هذا البذر يتدحرج ويتطاوح مع تيارات الماء ناميا إلى أن يكون في حجم حبة الذرة أو العدس ولا يزال في تدحرجه إلى أن يصطدم بصخر أو شجر بما في قاع البحر فيرسب عندها ويرى بشروش تشبه العروق رقيقة كالخيط خضراء اللون شديدة قوة فتلتصق بالأرض الصلبة أو الصخرة أو الشجر وتظل كذلك نامية ، وهذا الدور أيام ذكرها لي الفرساني ونسبتها أظنه قال خمسة أو ستة شهور . تكون الصدفة في أثناءها قد كبرت وبدأت تفتح فاهها وتخرج من جوفها الحمار ملتقطة طعامه بما حوله من الأعشاب والديدان البحرية ويتكون اللؤلؤ داخل الصدفة نتيجة لإفراز يحصل من مرض أو انحراف

وبها ما ذكرت عند الكلام على إمارة الأدارسة من ينابيع البترول إلا أن استخراجه معطل ولم تباشر الشركة التي تصدت لاستخراجه العمل حتى الآن لعدم أقرار الحكومة الحاضرة ما جرى من تعاقد بينها وبين السيد الحسن آخر الأمراء الأدارسة. لما رأته من غبن في التعاقد واجحاف بحقوق البلاد . وقد اتخذت الحكومة السعودية الجزيرة منى استصلاحاً لأول الجرائم ومرتكبي الموبقات في الحجاز .

ومن طريف ما رواه لي الفرسانى عند التحدث معه عن مناج جيزان وحالها العمرانى ما قاله . من أن أحد مواطنيه من تجار اللؤلؤ سافر إلى بمباى أحد ثغور الهند العظيمة لبيع ماله من لؤلؤ ثم أب إلى جيزان في طريقه إلى بلده . وفي مسامرة مع بعض أهل جيزان أخذ يصف لهم ما شاهده في بمباى من عمران وحضارة فكان أحد الحاضرين من أهل جيزان عن

يعتري الصدفة بدخول جسم غريب في جوفها كذرة رمل أو حيوان أى شئ آخر يضايقها وجوده . وما يتكون من اللؤلؤ داخل جسم الصدفة اللحمى الذى هو المحار يكون أكثر صفاء ونكوراً أما إذا تكون على جدار الصدفة الصلب أو لاسه فانه يكون أقل صفاء ولمعانا ويفقد صفة التكور لصلابة الصدفة ومقاومتها نموه من جهتها وأتذكر أن الأستاذ محمد خليفه ذكر في كتابه المشار إليه أن قوة التصاق الصدفة في الأرض توازى ثقل ستة أرباط انكليزية عند ما يريد الانسان حملها ورفعها من الأرض . وما قاله لي الفرسانى أنهم في فرسان يحتالون على جذب بندر الصدوف بطرح بعض جزوع النخيل وأعواد الشجر في الأعماق القريبة من سيف البحر فيجتمع حولها البند ويتصق بها فيتركونه المدة التى ذكرت ثم يقتلمونه وبالحظ والنصيب فكثيراً ما تكون الصدفة خالية من اللؤلؤ وأحياناً يجدون الكثير منه والثروة إن وجدوا حبة فاخرة تامة التدوير قوية اللعان والبريق فإنها تساوى مبلغاً من المال يفدر بالآلاف . ومن أراد المزيد من البيان فليرجع إلى تاريخ .

استاذنا الشهبانى

لم يخرجوا منها قط كلما تكلم عن ناحية من نواحي بمبای وحضارتها عارضه
بمثالا ذلك ببعض ما يتفق وما ذكره في الاسم بما في جيزان ، بما ضاق معه الفرساني
ذرعاً قالت إلى قاتلا :

(جيزان إيش جيزان إن كان للدنيا طير فطيرها جيزان)

مناخ جيزان

وللفرساني بعض الحق فيما شبه فإن جيزان كثية المنظر رطبة المناخ
شديدة الحرارة ليس فيها بثة خضراء وماء الشرب فيها شحيح دنج تخالطه
الملوحة وقد يندم أباماً كما سبق القول ، وحسي أن أدل لك على شدة حرها
بأننا دخلنا المسجد لصلاة الجمعة فإذا عبدان على رأس الأمير في مصلاه قائمان
يبد كل منهما مروحة لتخفيف وطأة الحر عنه ربثما يقوم الصلاة .

هذا ونحن في الشتاء فكيف حالها في الصيف وقد كنا طول مقامنا بها
ننام أغلب الليالي والنوافذ مفتحة دون غطاء .

ويقول الريحاني في كتابه ملوك العرب عند وصفه حر جيزان وخبرت
الحر في أماكن كثيرة من المكيبك إلى عدن إلى العراق فما وجدت حرأ
حامعا محاسن الحر كلها وفي أعلى درجة منها مثل حر جيزان ، أن الشمس
هاهنا قريبة جدا منك كأنها على الأرض تشتعل فتُرسل أشعتها عكساً إلى
كبد السماء . .

كان من جملة ما فعدني عن الوصول إلى فرسان ومشاهدتها ما ألم بي في
أخريات أيامي في جيزان من توقعك في الصحة من أثر نزلة حادة أصبت بها
من شدة رطوبة الجو نشأ معها حتى لم يفدني فيها علاج طبيب جيزان إفادة
تامة بما تضايقت معه من البقاء في جيزان وما أن علمت أن مدير مدرستها قد
وصل إليها في طريقه إلى جيزان وكانت مديرية المعارف قد طلبت بقائي إلى
حضوره — حتى أبرقت لها مستأذناً في مبارحة جيزان فأذنت ومن فوري .
تأجرت لي ولرفيق حمارين رأساً إلى الدرب .

في العودة إلى رجال

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٣٦١ سافرنا من جيزان متوجهين إلى صيدا فوصلناها بعد الظهر وبتنا فيها ليلتنا ثم سافرنا منها إلى أم الخشب فوصلناها ظهراً .

أقنا في أم الخشب إلى بحر يوم الاثنين ثم بارحناها من نفس الطريق الذي قدمنا منه إليها أول مرة . وفي سيرنا في خبت البقر شهدت منظرًا رائعاً من مناظر تنازع البقاء وتسلط القوى على الضعيف من مخلوقات هذا العالم . فقد رأيت غزالة ترعى بعض أغصان شجر السم الطرية عالقة بفمها لاهية تقضم منه وعلى بعد أمتار منها وبين خبايا بعض الأشجار ذئب فارده لحها فأخذ يتهماً جامعاً نفسه لينقض عليها ويقتربها ولم يمر الذئب صليصة دوابنا التفاتاً وأخاله كان متجهاً بكل حواسه للفريسة .

ودر فبق أن ينفر الغزال فتعته خشية أن تقع مع الذئب في مشكلة فقد كنا عزلاً إلا من عصى دقيقة تسوق بها الخير لا تقنى فتيلاً لوهاجنا .

تركنا الغزال والذئب لمسا قدر لها ومرونا وقبل العصر وصلنا درب بني شعبة وسألنا الخير لشيخه كما قال لنا أصحابها .

بننا في الدرب وأصبحنا نبحث عن حمير ورفيق لنسافر إلى رجال ولم يطل بنا البحث والانتظار فقد وفقنا إلى حارين لبعض أهل رجال وعلمنا أن شخصاً من أهل البتيلة سيسافر إليها فاتصلنا به وانفقنا وإياه أن نبارح الدرب في سحر ليلة الأربعاء وكان ذلك

بارحنا الدرب جادين في المسير نأمل أن نصل رجال قبيل العصر ولكننا وصلنا الرهوة أول حدود قبائل المع وكان الصواب بعد أن نهبط من أكامها أن نظل في سيرنا متجهين جنوباً ثم نلوى شرقاً في وادي كان غير أن رفيقنا البتيلي - وكان المفروض أن يكون أبصر بمعال الطريق منا بعدد أن تركنا الرهوة مال بنا حالاً إلى الشرق .

ضللنا الطريق

فبعد أن سرنا نحو نصف ساعة لاحظت أنا ورفيقي أن الطريق مختلف عما سلكناه في بحثنا فقلنا لدليلنا لعنا أخطأنا الطريق فقال لا وسرنا وإذا بنا نعلو آكاماً يكثر فيها شجر السلم تحققتنا منها أننا في طريق غير ما قصد فأبيت المسير خشية أن ينتهي النهار ونحن ممنون في الضلال وقلت للبتيلى تعرف الطريق وأشرف من هذه الذروة لعك تهتدى أو نجد بعض الرعاة فيدلنا على الصواب ففعل وأخذ يصيح بعارة تقليدية معروفة بينهم ينادى بها من يطلب الهداية ويستعلم وإذا بصية تبدو علينا معها بعض الأغنام نزعها ولكنها ما أن رأتنا وأنكرت ربنا حتى أمعنت في الحرب تطرد أغنامها أمامها إلى أن اختفت ، وقفنا حيارى وقلت للبتيلى زد فصيح عليه بأتينا غيرها فأخذ ينادى وإذا بشيخ ليس عليه سوى طمرة تترعورته فقط منحني الظهر يبدو علينا من بين الشجر فأخذ البتيلى يستوضحه الطريق ويدلا من أن يهدبنا لما نريد أخذ يفتح لنا محضر تحقيق واستعلام عن نحن وما أتى بنا وكما أردناه أن يسرع فيفيدنا حاد وتلكح فرأيت أن أقطع عليه ملاحظته لنا في الارشاد وقلت له هاك خمسة قروش وسر معنا إلى أول وادى كسان فقال هات فنأولته الحنة القروش وصرها في طرف أزاره ومشى بنا وعلنا منه ونحن نسيره أننا في أول وادى ريم من منازل الصواعة (بطن من شحب إحدى قبائل المع) وقد كانوا إلى أيام متمردين على الحكومة .

سرنا معه حوالى عشر دقائق أشرفنا بعدها على شعب متكسر وقف بنا عنده وقال بدلا من أن تعودوا من حيث جئتم ثم تعودوا على الطريق أهبطوا من هنا وفي نهاية الشعب وأسفله تيلون شرقاً وبعد مسير بضع دقائق تكونون في أول وادى كسان ، ثم أعطانا ظهره .

أراد صاحبنا البتيلى لجهله بالطريق ألا تتبع ما أشار به الشحي ولكن تبينت منه الصدق فمرنا على مارسمه لنا وبعد أن انتهينا من الشعب كاد البتيلى

لغباته وجهله أن يضانا مرة أخرى فقد وجدنا طريقين أراد أن يسلك بنا أولهما وكنت فظناً لما رسمه الشيخ فأيبت عليه وسرنا في الثاني وكان الصواب فيما فعلت فلو ذهبنا حيث أراد لرجعنا مرة أخرى إلى حيث كنا فقد بدت علينا بعد دقائق مزارع وادى كسان وعرفناها وعرفها صاحبنا البتلي فنجعل ما حصل . سرنا جادين إلى أن وصلنا البتلة ففارقناه وسلكنا وحدنا الطريق إلى رجال فقد كنا على علم به .

روحة على ضفاف جدول

في وسط الطريق بين البتلة ورجال مضيق بين جبين يعكس اتجاه الطريق فيجعله من الجنوب للشمال بدلاً من الغرب إلى الشرق وكانت السماء بعد أن فارقنا رجال قد جادت على المنطقة بمطر وابل غزير سالت منه الأودية . وازدانت الجبال اخضراراً .

وصلنا المضيق فإذا به جذة يانعه وحديقة مزدهرة وإذا جدول من الماء يتدفق من طرفه في غير ماريت ولا عجل يصفعه الريح فيشكل على صفحته تجاعيد كالخلق المفرغ بعضها في بعض وقد امتد على حفاف الجدول طراز من العشب الاخضر الناضر . ونمت على طول امتداده في ما أنخفض من الأرض . صكتل من النباتات ذات الزهر بمختلف الألوان وكان الوقت في أخريات الأصيل والهواء رطب عليل . وزمرة من الطير المعروف بصيدة تنقل من شجرة إلى شجرة مرسله من التغريد والتصويت أنجي الألحان وبعض القهارى جا آوى إلى الشجر للمبيت يسجع ويغنى .

فقلت لصاحبي أو نبرح هذا المكان دون أن نقضى به ساعة نشرب فيها لانشأى على ضفاف هذا الجدول ؟

فقال أننا في أخريات الشهر ونخشى أن يلبسنا الليل سواده فتعثر في الأجراف والأخاديد التي دون رجال أو تلاقى في ظلمته ما نكره فقلت ولو

كان ذلك ولم يسعه إلا الموافقة وأنزل ما على السواب من قرش بسطناه على طرف الجدول وأوقدنا السموار وقضيناها ساعة تعدل دهرأ ما كان أطيبها وأهنأها .

لا أكون مغالياً إذا قلت لك أن بلاد عسير تمثل بحق زمردة خضراء في طرف سلسلة جبال الحجاز الجنوبية . ولكنها وبالأأسف لازالت ولازال أهلها على حالة بدائية مشينة . فانها حتى الساعة تكاد تكون على الوضع الذي وجدت عليه في اليوم السادس من خلق السموات والأرض ومعظم أهلها على حالة من الجهالة والسذاجة جعلتهم مع خصب البلاد ورائتها في فقر مدقع وشظف من العيش .

ومن حالة هذا التأخر الواقع في هذه البلاد رغم استعدادها الطبيعي يلبس بحلاء قصور الحكومات التي تصرف فيها وحكمتها من قبل .

وليس هذا الشأن في عسير وحدها فالجزيرة العربية جميعها بعد عهد الخلفاء الراشدين لم تلق من الحكومات الإسلامية منذ فجر تاريخها . لافرق بين عربيها وأعجمها . ما نستحق من العناية مما جعلها في هذا التأخير المشين وأبعد الشوط بينها وبين بقية ممالك العالم الأخرى فيما وصلت إليه في هذا العصر من حضارة ومدنية ورفق .

ولا يقوم لها عذر بأن معظم أنحاء الجزيرة صحار وحزون تستعصى على الإصلاح والأزدهار فإن فيها من الأقاليم والواحات ما لو أعير ما يستحق من عناية لأصبح لا يقل عما عليه أشباهه الآن من بلاد العالم في غير الجزيرة وحسبك باليمن وما كان عليه في سالف الزمن من حضارة وأزدهار لا يزال صدى أخبارها يتجاوب ويرتفع عالياً من أعماق التاريخ .

ولكن القوم بعد عصر الخلفاء الراشدين أنصرفوا أنظارهم عن الجزيرة ونقلوا مركز سلطانهم إلى ما استظابوا من الأقاليم المجاورة لها وشغل أولياء

الأمور باتساع الفتوحات فقصروا فيما كان واجبا عليهم نحوها وبقيت على حالة الفطرة وبتوالى الزمن وكثرة الهجرة من أهلها إلى ما اتسع إليه الفتح (١) وانحلال الخلافة العربية وضعفها عاد إليها الكثير من التقاليد التي كانت عليها في جاهليتها وأمسّت فرقا وقبائل اشتاتا يحارب بعضهم البعض وينهب بعضهم البعض كأنها لم تكن منشأ تلك الموجات التي تدفقت على العالم فأوجدت فيه من الأحداث ما هبأ للحكومات العربية والإسلامية من المجد والعزة ما امتلأت به بطون التواريخ وهذا ما عُد من معائب الحكومات العربية بعد العهد الرشيد فمن يشهد أهلها اليوم ويخبر حالهم فيها يكاد لا يصدق أنهم أخلاف أولئك الذين أنساحوا على العالم وأسسوا فيه من عظيم الملك وجليل العمران ما سطع سطوع الشمس في رابعة النهار .

ولعل الأقدار التي هيأت اليوم لمعظم أنحاء الجزيرة بفضل أسدها الزنباك جلالة الملك عبد العزيز بن سعود من الوحدة والائتام ما هيأت أن تقدر لها إطراد ذلك حتى يعم جميعها وأن يهيئ لها من الأسباب ما تصل به إلى ما يجب أن تكون عليه من عز ومنعة ورفق وازدهار .

بارحنا المكان الذي وصفت وحوالي الساعة الواحدة بعد الغروب وصلنا رجال وألقت عصاها واستقر بها النوى غير أن صحتي لم تزل معتلة بما بها .

(١) جاء في كتاب امرأ البيان لمحمد كرد علي أن في أواسط الدولة الأموية كثرت هجرة العرب إلى البلاد التي أظلتها الراية الأموية كفارس والعراق والشام ومصر وأفرنجية والأندلس وإن الدولة عاوتهم وشجعتهم على ذلك باقتطاعهم الأرض الشاغرة وجعلت في بعض الأقطار جزية أهل الذمة طعمة للهاجرين ترغيبا لمن وراءهم للاتحاق بهم فبدأ النقص في سكان جزيرة العرب .

هذا ولا ريب من جملة ما أدى إلى نخود الحيوية في من بقي من سكان الجزيرة وزاده إهمال الخلفاء لها وانصرافهم عن أي إصلاح فيها أو رعاية حقبة لمن تبقي من سكانها بما فاوت ولانك بينها وبين بقية أجزاء المملكة حتى في ذلك العصر وأدى بها وبهم إلى أسوء مصير .

من انحراف في جيزان وأخذ يصيدني أسهال يعقبه دوار يشبه القيوبة ما كنت أحسن معه الموت في بعض الأحيان . لم يفدني فيه كل ما كان معي من وسائل الإسعاف والعلاج ولم يكن بد من طلوعي إلى أبها لاستشارة طبيبها .

طلعت أبها وظللت بها أسبوعاً لم أنتفع فيه بكل ما أعطانيه الطبيب من دواء بل جدمعني شيء آخر وهي بشور تنتشر في صدى ومعضى مصحوبة بحكة تحقن ثم تعود فأشار على الطبيب أن أذهب إلى مكة للمعالجة .

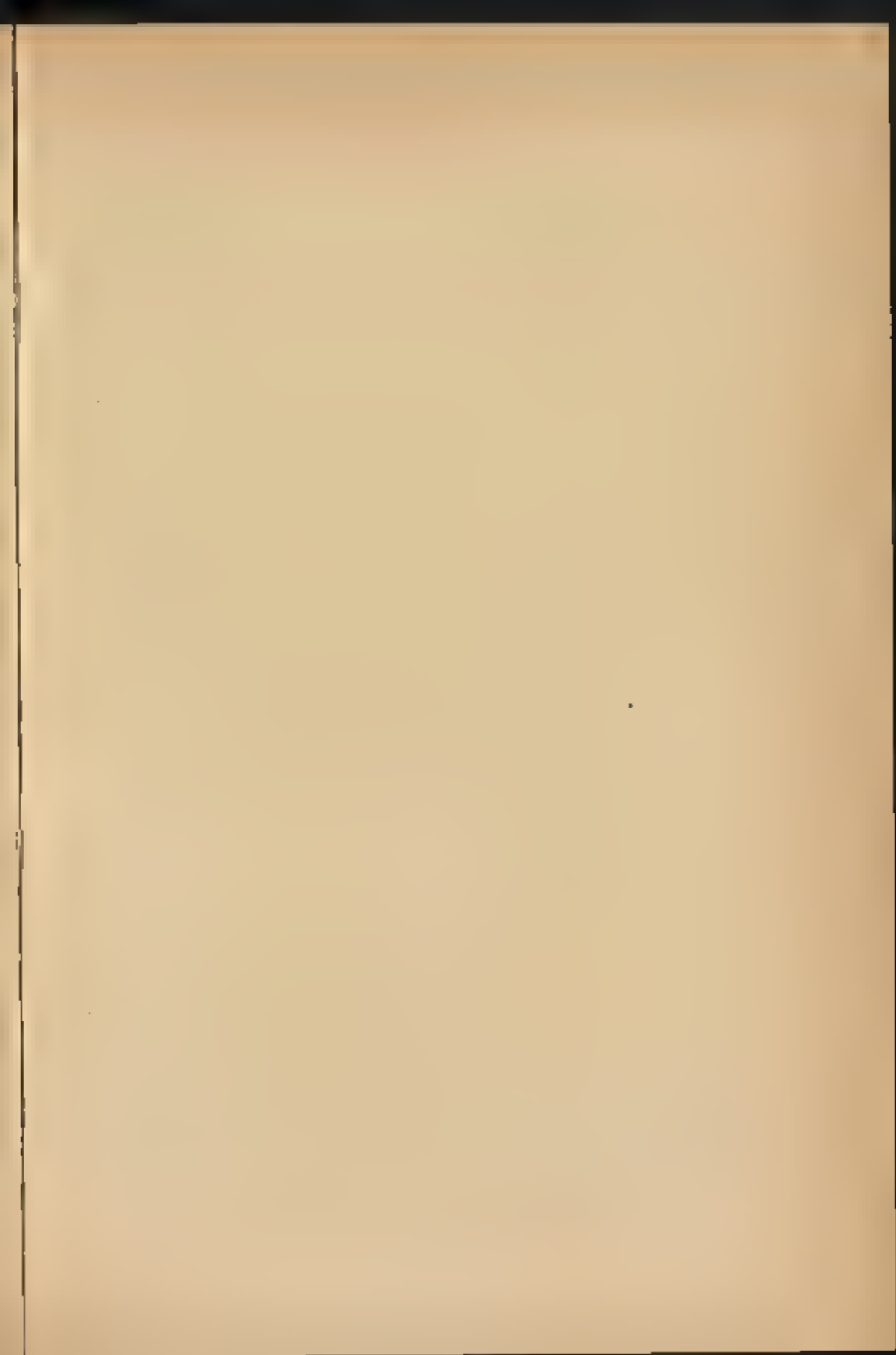
كتبت لزميلي الأستاذ عيسى بالواقع وأنا آسف لما نتجتم على من مفارقة هذه الجهات فقد كانت النفس لازالت عالقة بالتجول فيها ومعرفة ما لم أكن قد عرفت واستطلعت من أحوال بقية قراها وقبائلها وكان في العزم أن أجعل عودتي لو كنت سليماً عن طريق السراة وسلسلة جبال الحجاز حتى الطائف لأتعرف أحوال سكانها وعاداتهم بالمشاهدة فإن السلسلة معمورة بالقرى والمنازل وكثير من مناطقها وصفاح جبالها الغريبة إلى ما يقارب الطائف لا يقل خصوبة عن جبل عسير على ما أسمعه من بعض أهلها ممن يرتادون مكة في أثناء موسم الحج للعمل والتكسب .

فلم بعد من عذر أن نجعل بلادنا بعد أن شملها الأمن من أقصاها لأقصاها بفضل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وحزمه في إدارتها ومن العار أن يعرف الفرنجة الغرباء عنها من أحوالها وأخبارها وخفاياها ما لا نعرف بعضه . ولقد بذل الأسلاف - كما يقول الدكتور عبد الوهاب عزام في مقدمة كتابه مهد العرب - عناية مشكورة فكتبوا في أوصافها وأخبارها وبقيةنا عالة عليهم ولم نقف آثارهم فرجعنا إلى الكتب القديمة التي تركوها لنا أو أخذنا عن الأوروبيين ما كتبوه عنها ونحن أولى بمعرفة أرضنا وأقدر على التجوال فيها ومخالطة أهلها وأعرف بلغتها وتاريخها وعاداتها .

ولعل الأقدار تسعف ونحقق ما تمناه حضرته من قيام بحث فيه من المؤرخين والأدباء والجغرافيين والمهندسين ليضعوا مصورات للجزيرة

ويبينوا لنا المواضع التي ذكرت في التاريخ والأدب ويحققوا الوقائع التاريخية
ومنازل القبائل القديمة فيربطوا بذلك حديثها بقديمها ويبرزوها لنا جلية
واضحة ، فإن ذلك أوفى من عمل الفرد وأجزل تحقيقاً وأعم فائدة .

كتبت لزميلي كما ذكرت لينوب عني في إدارة أعمال المدرسة وفارقت
عسير وكان ذلك آخر عهدي بها .



الْقِسْمُ الثَّانِي

تَلْخِصُ عَشْرِ السَّيِّئَاتِ

فِي عِصْيَانِ مَائَةِ وَخَمْسِينَ سَنَةً



عسير في التاريخ

لم يكن من المعروف في العهد الجاهلي وحتى عهد صدر الإسلام في تقاسيم بلاد العرب إقليم باسم عسير ، وكل ما جاء في أقوال الأقدمين هو ما ذكره أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب صفة جزيرة العرب المتوفى سنة ٥٣٤ هـ . قوله : « ثم يواطن حزيمة من شامها عسير قبائل من عَنَز وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عَنَز ، فأوطان عسير إلى رأس نَيْه وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي أبها وفيها قبر ذى القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس الثلاثمائة من تاريخ الهجرة . والدَّارَةُ ، والفَتَيْتِجَاءُ ، واللَّصْبَةُ ، والمَلْحَةِ ، وَحَبَبٌ ، وَأَتَانَةٌ . وَعِجْلٌ ، والمِغْنُوتُ ، وَجُرْمَةُ ، والحَدِيدَةُ ، هذه أودية عسير كلها . »

والذي يبدو لي أن هذه القرى والمنازل التي سماها الهمداني ولا يزال معظمها يعرف بهذه الأسماء حتى الآن كانت في عهد صدر الإسلام وإبان سطوة الخلافة وما قبل ذلك من الأعصر تعتبر قسما من جبال الحجاز وتُعرف بالسراة كما كانت جبال السراة تُعرف بأسماء أشهر القبائل من ساكنيها وتحدد منازلهم منها ، (١) .

فلما تفككت الجامعة الإسلامية بضعف خلفاء الدولة العباسية وأصبح في كل إقليم من أقاليم الدولة حكومة لها أمير مخصوص مستقل أطلق على مجموعهم اسم ملوك الطوائف وانتهى الأمر بأن اجتاحت التارالعراق فانقرضت الخلافة العباسية منه تماما ، أصبح إقليم الحجاز واليمن يبيع في أغلب الأحيان

(١) جعل ياقوت في تحديده جبال الحجاز من الجمة الجنوبية بلاد مذحج ووادي ثلثيت هي الحد الفاصل ذا بعدها . يقال عنه يمنا (ج ٣ ص ٢١٩) وقال الأحمسي فيما حكاه عنه ياقوت أيضاً ، الطود جبل مشرف على عرقه ينقاد إلى صنعاء . يقال له السراة وإنما يسعى بذلك لعلو وسراة كل شيء ظهره . يقال سراة ثيف . ثم سراة فهم وعدوان . ثم سراة الأزد .

الحكومة القائمة بمصر. ولما استولى السلطان سليم العثماني المعروف بياوز سليم على مصر عام ٩٢٢ وانقرضت على يده حكومة المماليك الجراكسة وتلاشت الخلافة العباسية التي كانت قائمة بمصر تمثل تلك المهزلة التي بدأت من عصر الظاهر بيبرس في تنصيب خليفة ليس له من الحول والطول شيء، يادر أمير مكة في ذلك العهد وهو الشريف بركات وتقدم بالطاعة والاذعان إلى السلطان سليم فأقره على ما بيده من إمارة مكة وما والاها.

ونظراً لما للجزيرة العربية وخصوصاً الحجاز من القيمة المعنوية والصفة الدينية فقد اكتفى السلطان سليم بهذا الارتباط وتتابع هذا الاكتفاء عن خلفه، ولم يظهر للدولة العثمانية في كثير من نواحي الجزيرة أثر قوى للسلطة والتصرف بالحكم، وظل بعضها يحكم بأمراء محليين وبعضها برؤساء ومشايخ دستورهم عوائدهم القبلية على ما كانت عليه حالتهم في سابق العصور مما أوجد نكسة بالغة الأثر بالعودة إلى ما كان الإسلام قد قضى عليه وأزاله من سيرة العادات والعصبيات القبلية.

دامت هذه الحالة قائمة مستمرة نحو قرنين من الزمان كانت الحكومة العثمانية تعد فيها من أعظم دول العالم وأقواها، غير أنه بعد ذلك أخذت مكانتها في الانحطاط والتلاشي وقامت الثورات والفتن في كثير من ولايتها وما يرتبط بها من ممالك.

وقد كان من أعظم الثورات وأبعدها أثراً وأشدّها خطراً في شبه جزيرة العرب إندفاع السعوديين أمراء بعض قسم العارض من نجد واستيلائهم على معظم ما كان مرتبطاً بالحكومة العثمانية من الممالك والأمارات فيها.

ففي عام ١١٣٧ هـ لم يكن حفيد مقرن بن مرخان الذي تنسب إليه العائلة السعودية المجيدة وهو الأمير محمد بن سعود سوى أمير للدرعية وما حورها فقط.

فلما ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بمبادئه الدينية الإصلاحية المعروفة والدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح ، واتخذ الدرعية له مقاماً تصدى الأمير المشار إليه لحماية الدعوة والدعوة عنها بعد الحسام ، وما أن بدت طلائع القرن الثالث عشر الهجري حتى كانت الدعوة قد انتشرت في معظم أنحاء الجزيرة يماشيا نفوذ آل سعود وسلطانهم جنباً إلى جنب .

آل سعود في عسير

في هذه الأثناء كانت بلاد قبائل عسير كأمثالها من بقية بلاد شبه الجزيرة تحكم برؤساء ومشايخ محليين لا تربطهم رابطة ولا تجمعهم غاية .

فلما أن شارفت مغازي آل سعود ما جاور عسير من البلاد الشرقية وتراعى إلى بعض أهلها ورؤساء العشائر فيها أختار دعوتهم الدينية هاجر إلى الدرعية من آل المتحمي من قبيلة ربيعة رفيده (إحدى قبائل عسير) محمد بن عامر المعروف بأبو نقطة وأخوه عبد الوهاب رغبة منهما في الأخذ بهذه المبادئ الجديدة وبالتالي استمداداً لما يجعل لها السلطة والسيادة على قبائلهما في عسير .

فاتهنز الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود هذه الفرصة وجهاز سرية لغزو عسير تحت إمرة رُبَيْسُ بن زَيْد ، أمير وادي الدواسر^(١) وأرفق به محمد بن عامر أبو نقطة وأخاه عبد الوهاب ، وما انتصف عام ١٢١٥ هـ حتى دخل سائر أهل عسير السراة في طاعة السعوديين وموالاتهم^(٢) .

(١) وادي الدواسر من أودية نجد الجنوبية .

(٢) يقول أحد علماء الحفاظية المعاصرين (والذي اقتبست معظم حوادث عسير في ذلك العهد من مذكراته (ولم يذكر اسمه فيها) أن الجيش الذي غزا عسيرا من النواसर ألزم من دخل في الطاعة خلق رأسه اظهارا لقبول الدعوة والتخلي عما كانوا عليه من عوائد الجاهلية وان ذلك العام تسمى في عسير ، بعام الدُرْمَاح .

بعد ذلك أخذت السرايا من الجيش النجدي ومن والاه من قبائل عسير
تتابع الغزو شمالاً على بني شهر^(١) وغيرهم وغرباً على تهامة والمخلاف السلطاني^(٢)
فانه إذ ذاك كان تحت إمارة الأشراف الحسنية من آل خيرات المرتبطين
اسمياً بحكومة صنعاء وامام اليمن .

الدبلوماسية السعودية أو سيااسة الحماية

امارة محمد أبو نقطة - خلاف ونسوية

ولما لم يكن من المستطاع أن يحكم السعوديون هذه الجهات حكماً مباشراً
لبعدها عن مقر أمارتهم . وبعد أن أتم الجيش الفاتح عملياته ، أقام الأمير
عبد العزيز بن - عود - محمد بن عامر أبو نقطة أميراً على عسير السراة وما إليها
وكان ذلك مبدأ اشتهار عسير كقسم من بلاد العرب ذا كيان سياسى خاص
كان أول عمل لأبو نقطة أن نزل إلى قرية رجال حاضرة قبائل ألمع ،
ودعاهم إلى الطاعة فأجابوه^(٣) وتالياً لهم لم يجمع منهم الحلقة وأعفاهم من الخلق
فلم يرق ذلك لبعض من بالدرعية عندما علوا به ، فقد جاء في أوائل عام
١٢١٧ هـ المدعو زاهر بكتاب للأمير أبو نقطة من الامام عبد العزيز بن محمد
يأمره فيه بجمع حلقة قبائل ألمع وتنكيلهم ، فلم ير الأمير محمد أبو نقطة

(١) بنو شهر قبيلة يسكن معظمها جبال الحجاز وهى قبيلة واقرة العدد انظر
الرحلة ص ١١٢ .

(٢) المخلاف السلطاني يقال أنه في عهد الخريين كان المخلاف السابع من مخاليف
حكومتهم وهو القسم الذى على سرقة عسير من تهامة انظر الرحلة ص ٥٥ .

(٣) يقول أحد علماء الحفاظية المعاصرين من سكان قرية رجال ، ومن ذلك
الشهر قبل دخول الدولة هدمنا القباب (يعنى قبايا كانت على أضرحة بعض أسلافهم) .
وتوليت ذلك بيدي طاعة واحتساباً ،

ومن العلماء الحفاظية من ناصر الدعوة وسعى جاهداً فى تأييدها وألف فى
ذلك الكتب وأنشأ القصائد المطولات .

ذلك من المصلحة . فسافر إلى الدرعة مصطحباً معه جماعة من أعيان أهل السراة وقبائل ألمع . وبعد تسوية الأمور وما نشأ من اشتباه لعدم جمع الحلقة من قبائل ألمع عاد مؤيداً في أمارته ولكنه في أثناء رجوعه أصيب بالجدرى ووافته منيته . فات في طريقه قبل أن يصل إلى عسير .

كانت مدة أماره محمد بن عامر أبو نقطة نحو سنتين منها عشرة أشهر أماره عامة ، هي الأولى من نوعها في عسير السراة كما سبق القول .

أماره عبد الوهاب بن عامر

غزو ونوسع

وصل خبر وفاة الأمير محمد بن عامر أبو نقطة إلى عسير فأجمع أولو الشأن فيها على مبايعة أخيه عبد الوهاب أميراً عاماً عليهم وأقره الإمام عبد العزيز على ذلك بعد أن اشترط عليه محاربة الشريف حمود صاحب أبو عريش ، (١) .

ظل عبد الوهاب بن عامر المنحى أميراً عاماً من قبل السعوديين من عام ١٢١٧ هـ إلى عام ١٢٢٤ هـ نحو سبع سنوات قام في أثناءها بحملة من المغازي ، وكان أهم ما قام به هجومه على أبو عريش واستيلاؤه عليها وحرقها وإدخال الشريف حمود في طاعة السعوديين وموالاتهم واشترأ كه في محاربة السعوديين لأمير مكة الشريف غالب بن مساعد فان السعوديين حينما فتحوا مكة في أول عام ١٢١٨ هـ كان من الحامية التي ركوها فيها نحو أربعائة من رجالات عسير أعاد عليهم الشريف غالب الكرة وأخرجهم منها .

فتوجه الأمير عبد الوهاب إلى الحجاز في جمع عظيم من قبائل عسير

(١) أبو عريش مدينة من مدن تهامة . الخلاف السلطاني . أنظر الرحلة ص ١٥٠

وأقام مرابطاً بالقرب من جبل يَلْمُ^(١) سبعين ليلة غزا فيها الشريف غالب ثلاث عشرة غزوة كان له فيها جميعاً التفوق والغلبة .

ولم تقتصر إمارة عبد الوهاب على عسير السراء وما صافها . بل مد السعوديون في سلطته إلى المخلاف السليماني عندما أدخل أمراءه في موالاتهم وطاعتهم .

غير أن ذلك لم يطل فقد توصل الشريف حمود أمير أبو عريش وابن عمه منصور بن ناصر المنتصب على مدينة صبيا لرفع يده عنهما والارتباط مباشرة بالدرعية في أول عهد الإمام سعود الكبير^(٢) .

واتتهت إمارة عبد الوهاب بموته قبلاً في الموقعة التي جرت بينه وبين الشريف حمود في وادي ييش^(٣) عندما نقض الشريف عهد السعوديين وانحرف عن موالاتهم كما سيأتي تفصيل ذلك بعد .

أماره طامى بن شعيب

فلما وصل خبر مقتل عبد الوهاب إلى الدرعية أقام الإمام سعود طامى بن شعيب المتحى أميراً على عسير بدلا عن الأمير عبد الوهاب واستمرت إمارة طامى من عام ١٢٢٥ هـ إلى عام ١٢٣٠ هـ أى نحو ست سنوات قام خلالها بعدة غزوات^(٤) منها غزوته بالاشتراك مع عثمان

(١) جبل يلم في الجنوب من مكة وعلى بعد ليلتين منها وهو الميقات الشرعى للأحرام بالحج والعمرة لتقادم من اليمن .

(٢) نقلت ذلك عن نفع العمود في سيرة الشريف حمود وسيأتي بعد هذا عند الكلام على سيرة الشريف حمود كيف جرى ذلك .

(٣) وادي ييش واد عظيم من قراه أم الخشب وبطلق عليها اسم الوادي من باب إطلاق الكل على البعض .

(٤) ومن غزوات طامى المهمة ما ذكره ابن يشر في تاريخ نجد في حوادث عام ١٢٢٩ وخلاصته أن محمد علي والى مصر أبان مقامه بمكة في شهر جمادى الآخرة =

المضايقي أمير الحجاز من طرف السعوديين لما لك الشريف حمود واصطدامه بجيشه في وادي وحله في مكان يسمى برّ برّ ووقوع قتال عنيف بينهما كانت الدائرة فيه على جيش الشريف حمود إلا أن جيش طامي لم يسلم من الخسائر العظيمة في الرجال فقد قتل كثير من سراوات جيشه منهم سعيد أخو عثمان المضايقي لذلك لم يستطع الأمير طامي ملاحقة الشريف إلى أبو عريش بل عاد راجعاً إلى السراة ، وإذا ذاك كان نجم آل سعود قد بدأ في الأفول .

== وجه إلى الجهات الشمالية جيشاً كبيراً يمهّد عن طريق البحر ونهر القنفذة ويعتصم عن طريق البر وكانت بالقنفذة حامية من عسير نحو خمسمائة مقاتل باعقتهم جنود محمد علي فاضطروا للتسليم صلحاً وكان الأمير طامي آن إذ قد جمع عدداً وفيراً من قبائله وقصد بهم مكة لمحاربة محمد علي فلما علم بالحادث انحرف عن طريقه إلى مكة وقصد نهر القنفذة وقدر ابن بشر ما كان مع طامي من المقاتلة بأكثر من ثمانية آلاف مقاتل نازل بهم جيش محمد علي في القنفذة ونصر الله طامي وممكنه من الاستيلاء على جميع ما كان مع الجيش من عتاد وسلاح بما يضيق عنه المحصر والتعداد وكانت الخيل التي استولى عليها من الجيش المذكور نحو خمسمائة رأس واضطر جيش محمد علي أن يهرب إلى ما كان معه من سفن وقبض جيش طامي في هذه الموقعة على رئيس الجند فقد حصروه في عظيمه قبل أن يتمكن من الهرب إلى المراكب وقتلوه وذكر ابن بشر أيضاً واقعة أخرى جرت في شهر شوال من العام المذكور وخلاصتها أن طامي سار بجيش قدره بنحو عشرة آلاف مقاتل نازل به جيشاً لمحمد علي قدره بنحو عشرين ألفاً من الأتراك والمناربة كانوا يمكرون في أودية قبيلة زهران بالسراة وانتهت الموقعة بينهما بتبديد جيش محمد علي وهزيمته واستيلاء طامي ومن معه على جميع ما كان في المعسكر من خيام وعتاد وما إلى ذلك ولم ينج من الجيش المذكور إلا من استطاع الهرب على فرسه ص ١٧٧ و ١٧٨

مصر في عسير

بعد انكسار طوسون بن محمد على باشا إلى مصر في واقعة وادي الصفراء^(١) التي جرت بينه وبين السعوديين في عام ١٢٢٦ هـ رأى محمد على أن يذهب إلى الحجاز وأن يتولى بنفسه مقاتلة السعوديين ورفع يدهم عنه ، وتيسر لطوسون بعد أن وصلته إمدادات جديدة من مصر احتلال مكة ، وتمكن محمد على من وصوله إلى الحجاز والأشراف بنفسه على سير القتال ، وجهاز حملة كان هو بذاته على رأسها . اتجهت نحو عسير عن طريق ترّبه^(٢) ويشه^(٣) لما بلغه أن السعوديين وحلفاءهم من عسير قد جمعوا في تلك الجهات جيشاً قدره له بأربعين ألفاً يقصدون به مكة .

وفي وادي بَسَل ، بين الطائف وترّبه ، في مستهل عام ١٢٣٠ هـ التقى محمد على بهذا الجيش وكان يقوده فيصل بن سعود وطامي بن شعيب أمير عسير ، وبعد قتال عنيف بين الفريقين انهزم الجيش السعودي وفر طامي إلى عسير وجمع الجوع من قبائله خاصة على يرد محمد على عن زحفه ، فلم يوفق ، واستطاع جيش محمد على أن يصل قرية طَبَّس^(٤) مقر آل المتحمي وأن يهدم حصونها

- (١) وادي الصفراء في الطريق بين مكة والمدينة عابلي ينبع به تخيل رعيون جارية
- (٢) ترّبه قرية بينها وبين الطائف ثلاث مراحل أنظر الرحلة ص ٨ .
- (٣) يشه واد عليه عدة قرى أنظر الرحلة ص ١٧ .

(٤) طَبَّس قرية على وادي يسمى بها وهي من قرى عسير من منازل بريمة وفيدة تقع في الشمال الغربي من أبها وتبعد عنها بأربع ساعات : وجاء في كتاب (عصر محمد على) أنه بعد أن تمت مراسم الحج تجدد الحرب وانفذ محمد على جنوده إلى الطائف تمهيداً للزحف وكان الوهايون قد جمعوا من المقاتلة نحو عشرين ألفاً حشدوهم بقيادة فيصل بن سعود بين بَسَل وترّبه وكان لهم عدداً ذلك احتياطي من نحو عشرة آلاف مقاتل ، وان محمد على زحف في نحو أربعة آلاف مقاتل على بَسَل في يناير سنة ١٨١٥ م . وأن الجيش لما والى زحفه إلى ترّبه ورنيه ويشه لقي متاعب هائلة ولم يكن غذاؤه في الغالب سوى التمر . وكان محمد على يقاسمهم شظف العيش ليشجعهم على احتيازه ص ١١٢ .

. وفرطامي منفرداً على فرسه إلى تهامة إلى قرية تسمى «مُسْلِيَّة»^(١) كان قد أنشأها إبان إمارته وأحدث حولها مزارع أقام فيها بعض عبيده .

آوى طامي إلى مسليه ولكن الخوف والخلع كانا قد ملكا عليه نفسه، فلم يقر له قرار فيها فاعتزم التحول عنها والالتجاء إلى الشريف حمود أمير «أبو عريش» والاحتماء بكنفه فانتقل إلى قرية الدهناء^(٢) ونزل فيها ضيفاً على الشريف يحيى بن محسن وكاشفه بعزمه على اللجوء إلى الشريف حمود فخطأ في هذا الرأي لما بينه وبين الشريف حمود من الأحن والضغائن . ولما كان يأتيه من غزوة باسم السعوديين وسلب رعاباه ونهبهم ، وأشار عليه أن يختفي في بعض جبال تهامة الشرقية ، فأبى ذلك وأصر على عزمه

في أثناء ذلك ، كانت قد ترامت أخبار هذه الحوادث وما أصاب السعوديين وحلفاءهم العسيرين من كوارث إلى أبو عريش . ولم يكن الشريف حمود إذ ذاك بها بل كان القائم بالأمر عنه فيها وزيره السيد الحسن بن خالد الحازمي . فبادر بالهجوم على صيبا^(٣) التي كان طامي قد انتزعها منهم باسم السعوديين وأمتلك قلعتها واستولى على صيبا وطردها حامية العسيرة التي كانت تقيم فيها ثم أرسل رعيلاً من الخيل للقبض على طامي . التقت السرية بطامي في طريقه مع الشريف يحيى بن محسن فقبضت عليه وأتت به إلى صيبا مشدود الوثاق .

رب من ترجوه دفع الأذى عنك يأتيك الأذى من قبله .
كان جيش محمد علي بعد أن احتل طيب كما سبق القول وعظم بهروب طامي أرسل خلفه طليعة من الخيل تتعقبه لتقبض عليه ، وصادف أن السرية وصلت إلى أطراف صيبا في الوقت الذي تم فيه للسيد الحسن القبض على

(١) مسلية قرية لا زالت قائمة إلى الآن شرق وادي بيش .

(٢) الدهناء من قرى وادي ضمد من أودية تهامة .

(٣) مدينة من مدن التحالف السليمانى تبعد عن جيزان بست ساعات أنظر الرحلة

طامى وسجنه فظالبوه به وتنادياً للاضطدام بهم ودفعاً لما يحجره الامتناع من
مشا كل سلمه اليهم .

وإذا خشيت من الأمور مقدرأ وفررت منه فنجوه تتوجه

نهاية سيرة

انتهت بذلك إمارة طامى بن شعيب وكانت خاتمة حياته مؤلمة محزنة فانه
سيق إلى مصر وظل بها سجيناً مدة من الزمن أرسل بعدها إلى استانبول
فطيف به في شوارعها ثم ضربت عنقه رحمه الله .

اكتفى جيش محمد على بما تم وبالقبط على طامى وترك حاميه من بعض
جنوده في عسير وعاد راجعاً إلى الحجاز .

لم تقال إقامة محمد على باشا في الحجاز لأن أخباراً وردته من مصر تنبه
بمحصل فتنة في القاهرة فأقام عنه والياً في الحجاز، ثم سافر مصر عاً إلى مصر^(١)

كان القبط على طامى ورجوع محمد على من عسير في غضون شهر ربيع
الاول عام ١٢٣٠ هـ وقع الناس بعده في عسير في فترة ضنك واستخذاه
للحاميه التي تركها محمد على .

إمارة محمد بن أحمد والأخذ بالثار

إلا أنه في شهر رمضان من العام نفسه تأمر محمد بن أحمد المتحجى من
أبناء عم طامى وكان شجاعاً قوى الشكيمة^(٢) فكان أول أعماله هجره على
مقر الحامية واستنصاه شاقهم قتلاً وأسراً

(١) تاريخ نجد الحديث ص .

(٢) يقول صاحب فتح العود في سيرة الشريف حمود (ومحمد أحمد هذا كان
لابساً رداء الجبروت ، وسفاكاً للدماء من غير مراقبة الحى الذى لا يموت اجتمعت
على طاعته أهل السراة من عسير خوفاً ورهبة) .

ثم نزل إلى محابيل ^(١) وكان أهلها يوالون العدو فاتهم وحرقها وعاد راجعاً إلى السراء .

ولما آنس من التوفيق وما حصل عليه من المغنم في هجومه على محابيل ونظراً لما بين سكان السراء وأهل المخلاف السليمان من الضغائن ، لاسيما وقد سلموا طامى بعد أن لجأ إليهم لرجال محمد على كما سبق ذكر ذلك ، اعتزم أن يحارب الشريف حمود وينتقم منه ويسترد صيدا فجمع الجوع من أهل السراء ونزل بهم إلى درب بني شعبة ^(٢) وعلى مقربة منه التي بجيش الشريف حمود ووقع بينها القتال ، فكانت الدائرة على محمد أحمد ومن معه ، ورجع مهزوماً لم يبلغ أميته . علم ولاية الأمر في الحجاز بما حل بالحامية التي تركها محمد على في عسير وانتفاض أهلهم عليهم ، وخشوا — إن هم أهملوا ذلك — أن يعظم ويكبر فينتسح الخرق على الراقع لاسيما وأن الاجرامات الحربية القائمة في نجد لم تدخل في دور حاسم بعد ، بل كان السعوديون لا يزالون يقاومون إبراهيم باشا وقائلوه فقررُوا إرسال حملة إلى عسير لاسترداد سلطانهم عليها . كان ذلك في أواسط عام ١٢٣٢ هـ .

سارت الحملة بقيادة حسني باشا عن طريق وادي بيشة فلم تلق مقاومة تذكر . إلى أن وصلت طَبَابْ مقر آل المتحمي واحتلتها . والظاهر أن الأمير محمد أحمد لم ير فائدة في المقاومة لحسني باشا والتصدى لقتاله فاخفى . وأن حسني باشا لما لم يجد من المقاومة ما يؤبه له اكتفى باحتلال طَباب وترك حامية أخرى فيها وأخذ العهود والمواثيق على من أظهر الولاء من أهالي عسير وعاد أدراجه .

(١) محابيل قرية من قرى وادي حلي وعلى ثلاثة مراحل من نجر القنفذة أظفر الرحلة ص ١٠٠ .

(٢) درب بني شعبة على مرحلتين من صيدا ورحلة من رجال أظفر الرحلة ص ١٢٠ .

ويبدو لي أن الأمير محمد أحمد ومن لف حوله من رجالات عسير أرادوا بعد مبارحة حسي باشا مناوأة الحامية والانتفاض عليهم غير أن العسيريين في هذه المرة لم يكونوا متحدين في مراميهم . بل تخاذل بعضهم والتزم جانب الوفاء للجيش المحتل .

فقد ذكر صاحب كتاب نفح العود في سيرة الشريف حمود في حوادث عام ١٢٣٢ هـ ما نصه .

وبعد وصول الشريف حمود وبصحبه السيد العلامة الحسن بن خالد كان ذلك في وقت طلوع الوزير الكبير للسلطان حسي باشا بالأتراك في بلاد عسير . واستولى عليها لما ساعدته المقادير . وبعد انفصاله عنها وقع منهم الخلاف والتظهر بعد الائتلاف وكان إذ ذاك أميرهم محمد بن أحمد الرقيدي فوقعت المفاوضة بينه وبين علي بن مجشّل أنهم يستنجدون الشريف لأن كلا من الرجلين في معقله ومعه جماعة من عشيرته وباقي عسير قائمون عليهم بالحرب : صباحا مساء . محافظة مع الأجناد التركية على الوفاء . وأصبحوا الرسل بهدية : درع وحصان .

الشريف حمود يهتبل الفرصة فتواتيه الأقدار

أقدم الأمير محمد أحمد المتحمي ومن لف حوله من رجال عسير على الاستعانة بخصمهم الشريف حمود لما عليه عشايرهم من التخاذل والانحراف مع الجيش المحتل ولما آتاه في الشريف من السطوة والقوة عند ما وقع بينهما القتال في درب بني شعبة كما مر آنفاً . وهكذا تقضي المحن والظروف السينة أن يتخذ المرء من عدوه حديقاً ومن خصمه حامياً ومجيراً
ترجع لدى الشريف حمود أن يستجيب لما طلبته عسير لعل الأقدار تسعفه بضم جبل السراة إلى ملكته ، فطالما ذاق سكان المخلاف السليمان

من أهله الأمرين في عهد موالاتهم للسعوديين وانتدب للقيام بهذه المهمة وزيره السيد الحسن بن خالد الخازمي قتيلاً لذلك وعياً الجنود ورأى أن يقدم بين يديه سرية من الجيش عن طريق قرية رجال جعل على رأسها القاضي الحسن بن عطيف الحكيم. وما كادت السرية تصل المحطة^(١) حتى فوجئت

بغير وصول القائد جمعه بجيش من الأتراك ومعه الشريفان علي بن حيدر ومنصور بن ناصر، فانهما كانا قد انشقا على ابن عمهما الشريف حمود ولجأ كل منهما إلى مكة يستمدان منها المعونة على حربه .

طيرت السرية هذا الخبر إلى السيد الحسن فلحقها بمن معه من الجنود والتحم الفريقان في معركة كانت الدائرة فيها على القائد جمعه ومن معه : فولوا الأدبار ونكصوا راجعين من حيث أتوا .

بعد هذه الملحمة ازدادت آمال الوزير السيد الحسن في ضم بلاد السراة إلى مملكة مخدومه ، فقدم بين يديه القاضي الحسن بن عطيف ومن كان معه على سابق الترتيب ثم لحقه ببقية الجيش .

وما أن استقر في السراة وتوسط بين شعابها وصخورها الصلاب — كما يقول صاحب سيرة الشريف حمود — حتى شعر بالفساد وقصد السوء والإيقاع به وبمن معه من الجنود من بعض رجال عسير . فلم يسعه إلا أن يبذل الرغائب ويتوسل إلى دفع شرورهم عنه بالهدايا والدنانير — التي تسهل بين بني الدنيا كل أمر عسير — كما يقول صاحب السيرة . ويكتب من السراة إلى مخدومه الشريف حمود يستصرخه ويستحثه لإتقاذه . فلم ير الشريف حمود بداً من أن يسير بنفسه فحشد ما استطاعه من قوة وزحف طالعا إلى السراة

(١) الحمة مكان بين درب بني شعبه وقرية رجال يقع بين الجوفاء والجبيل
أظهر الرحلة ص ١١٩ .

عن طريق عقبة ضلّح^(١) وبوصوله وما معه من قوة - خنس واستخذى من كانت حذته نفسه من رجال عسير بالقدر والحيانة . وقد سبق القول أن رجال عسير لم يكونوا متحدى الكلمة ويتضح من سير الحوادث أنهم لم يكونوا أيضاً على وفاق في الاستعانة بامراء تهامة ولم يرقهم أن يكونوا تبعاً لهم لا سيما بعد ما أتوه من سطو وغزو لسكان تهامة لإبان اتصال السعوديين بهم وما كان عليه الحال قبل ذلك من احتقار التهاميين لسكان السراة والازدراء بهم .

استهل عام ١٢٢٣ والشريف حمود معسكر في السراة والعشائر من سكانها تقدم عليه لأداء البيعة والطاعة له وأخذ هو يرتب الأمور وينظمها على ما تقتضيه المصلحة .

حملة مسنان أغا

ترامت أخبار هذه الحوادث إلى أولى الشأن من رجال الحملة التركية ومحمد علي باشا في الحجاز وعز عليهم ما لحق بالقائد جمعه من الخزيمة والاندحار الذي سبق ذكره فسيروا حملة أخرى كان على رأسها المدعو مسنان أغا . جاءت هذه الحملة من طريق الساحل ومجايل ومعهما الشريفان علي بن حيدر ومنصور بن ناصر وهما من كانا مع القائد جمعه كما سبق القول إلا أن الشريف علي بن حيدر فارق الجيش في أثناء السير وتأخر عن الطلوع إلى السراة وكان في ذلك سلامته .

فان الشريف حمود لما علم بخبر هذه الحملة وأن معهما ابني عمه المشار اليهما آنفا أدرك أنه المقصود فأنهزى لملاقاتهم وجرى القتال بين الفريقين فكانت

(١) عقبه ضلح غربي أبها الجنوبي ومن طرقها الرئيسية إلى الساحل انظر الرحلة

الدائرة على جيش سنان أغا ومن معه وولوا هارين لايلون على شيء .

ولم تشترك قبائل عسير مع الشريف حمود في قتال هذه الحملة لأن مبايعتهم له لم تكن عن طواعية ورغبة منهم بل كانت خشية بأسه ، إلا أنهم حينما رأوا انسكاس جيش الحملة تفرقوا له في المضائق والشعاب وأمعنوا في الفارين منهم سلبا وقتلا ولحق جماعة منهم سنان أغا في رأس عقبة شعار (١) فقتلوه وقتلوا معه الشريف منصور بن ناصر وذهبت الحملة شذرا مذر (٢) .

رجع الشريف حمود بعد انتهاء القتال إلى مخيمه فرحا مسرورا بما ناله من الفوز وما حصل عليه من الانتصار ولكن الأقدار عاجلته ولم تمهله لجنى ثمرة أعماله في السراة وأدركته منيته فمات بعد بضعة أيام من الحادث ودفن في قرية الملاحة (٣) .

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرن فتضحك الأقدار

وباستيلاء الشريف حمود على السراة في هذه السنة كانت خاتمة إمارة آل المتحمي التي استندت في قيامها على نفوذ السعوديين وسلطانهم في عسير السراة كما كانت خاتمة إمارة آل سعود أنفسهم في دورها الأول .

وفي ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣ اضطر الأمير عبد الله بن سعود أن يستسلم لأبراهيم باشا ابن محمد علي بعد مقاومة عنيفة وحروب دامت بينهم

(١) عقبة شعار غربي أبها الشمالي ومن طرقها الرئيسية إلى محابيل وما بعدها انظر الرحلة ص ٦١

(٢) ذكر ابن بشر في تاريخه عنوان المجذ هذه الحادثة إلا أنه قال ان سنان أغا تزبن أى لجأ إلى ثغر ■■■ نفذه ولم يقتل ص ٢١١ حوادث سنة ١٢٣٣

(٣) قرية الملاحة تبعد عن أبها بأربع ساعات وشمالا عنها وهي من قرى قبيلة بني مالك إحدى قبائل عسير

بضع سنوات وأخذ أسيراً إلى مصر ومنها إلى الاساتنة حيث لا في خفته
رحمه الله . ولم يبارح ابراهيم باشا نجدا حتى هدم بلدة الدرعية وتركها قاعاً
صفصفاً والله الأمر من قبل ومن بعد .

لم أقف فيما أطلعت عليه من المذكرات التي أستمدت هذه الحوادث منها
على خاتمة محمد أحمد المتحمي كيف كانت هل مات حتف أنفه أو قتل في إحدى
المعارك أم ماذا كانت نهايته .

غير أن ما يتناقله الخلف عن السلف في عسير، أنه أخذ أسيراً بيد الترك
في إحدى حملاتهم على عسير .

ولأهل محال مثل يضربونه لمن يترك سيئته بعده فيقولون : تخلفته
محمد أحمد ، وذلك لأن الأتراك حينما مروا به مكبلاً في الحديد على محال
أخذ بعض سفاهتهم بقدر علمه وبستهيز به فزعم لمن يتولى شأنه من رجال
الترك أن له في محال أموالاً ومواشي مما حفر الترك وجعلهم يطالبون أهل محال
بها ويضمنونهم سبب قوله هذا خمسة آلاف ريال . وجاء في تاريخ نجد لابن بشر
أن عسكرياً من الأتراك معهم محمد بن عوي الشريف أمسكوا في حملة لهم على
العسيرة محمد أحمد هذا وهو مريض وقتلوه .

وما وقعت عليه عند بعض الحفاظ من سكان قرية رجال قصيدة منسوبة
لمداوي بن محمد أحمد المتحمي ويعرف بأبي دواس بعث بها من مصر في أثناء
أساره فيها إلى العلامة الشيخ ابراهيم الحفظي الرمزي ينشوق إليه وإلى عسير
ويصف فيها بعض حوادثه السابقة مما يدل على أن القوم كانوا على طرف من
المعارف والإلمام بالأدب وعلوم العربية في وقت كان الشعر في حواضر كثير
من الأقاليم العربية أبعد ما يكون عن الجزالة وجمال الأسلوب والقصيدة
في خمسين بيتاً وهي :

سلام على عرق اللوى^(١) عند القطر
ديار اذا شمت من الغيث نفحة
سلام على أعلامها وأكامها
بحبة صب قد برى الشوق جسمه
فيا حيدا تلك الديار وإن نأت
بها فتية مثل الريح لجارهم
ولاسما في يوم كل كريمة
وما كنت عن برى الشوق جسمه
إلى أن بدت لي من سعاد محاسن
لها شعر كالليل أسود فاحم
عسيرة العينين رومية اللآ
وفي حياكم قلت يوما لعاذلي
قد عنك عذلي في هواها وأهلها
تذكرتها والليل قد مد جناحه
بجأوزتهم مستحبا مشرفة
ويمت أرضا لا أنيس بها يرى
كأن عليها فيث أصبح ساخطا
ومالي إلا الأسودان^(٢) معيشة
وصيرت أقدامي ذارعا لفقرها
فلما وصلناهم وجدنا أناسهم
أرادوا لنا كيدا أفاض عليهم
فان رغبت عنى سعاد مانى

وحباه هطال يحليه بالزهر
تضوع منها طيب الثبت بالعطر
سلام على سكانها البدو والخضر
وأدمعه من حر نار الجوى تجرى
ولاحذا مصر وإن كنت في مصر
ويحمونها بالبيض والذبل السمر
يسير بها الركبان في البر والبحر
لغير القنا والبيض والضمير الشقر
سبت مهجتي من حيث أدري ولا تدري
وجيد كجيد الرية والوجه كالبدر
نهامة الساقين نجمية الخضر
صدقت ولكن لاسميلي إلى الصبر
ممو قدوتى حتى أوسد في قبري
وحولى حراس حراس على امرى
كان على أعطافها حب الجمر
سوى الذئب يعوى من أمانى وفى أثرى
فليس بها شيء سوى الرمل والصخر
ومالى ظهر في فلاها سوى صبرى
وقطعتها حتى وصلت بنى شهر^(٣)
جياعا من القوى شياعا من الكفر
وأبنا بحمد الله بالعر والنصر
أشد على خطب الزمان من الصخر

(١) عرق اللوى اسم مكان في بلاد عير

(٢) الأسودان القمر والماء

(٣) سبق التعريف بهم

وإني بحمد الله أرجى وأتقى
ولي همة تعلو على كل همة
سلي إن جهلني سيرتي وسريتي
وليل سريناه بأرض بهية
وحولي أشياخ على كل سابع
رقوا من حصون المجد كل مشيد
ودانت لهم شرق البلاد وغربها
وكم من عليك غادرته مسيوقنا
أنا بقوم أهل بأس وقوة
طحناهمو طحن الرجا بثفالها
ودار أخذناها وقد برزت الوري
محصة أمست وهي مطمئة
فذاقت عذاباً ما رأت قط مثله
وقد كنت في عرق اللوى أسعد الوري
فطوراً تراني رأس حصن مشيد
وطوراً تراني بالخماري (١)
ويوماً بأعلا شعب قارة طاب لي
وقد طرزت كف الغمام رياضه
فيا أيها الريح البمانية أبلغني
فلولا هموا ما حزني اليبين والووى
ولولا إمام العلم والحلم والتقى
أمام لقد أضحي وحيد زمانه
أمام هدى من بيت نحر وسؤدد

وان جارت الأعداء في طيشة العصر
تبلغني المقصود إن مد في عمري
فليس أخو جهل سواء ومن يدري
فإن أين لي ليل يحاكيه في عصر
يرون لدى الهيجاء كالأنجم الزهر
إلى أن رؤوا فوق الكواكب والبدر
وأسقوا ملوك الأرض كأساً من الذعر
قتيلاً لدى الهيجاء للذنب والنسر
ولكن لقبانم بقاصمة الظهر
ومن عاش من تلك الجنود في الأسر
طلعتنا عليها بالهلاك مع الفجر
عليها ثياب لا ترام من الستر
والبسها قومي ثياباً من القهر
وحولي قوم يعرفون به قدرى
وحينا بأبيات تراني من الشعر
ونارة بخوبر (٢) بين الشيخ والزند والنهر
نعمت بغيد فيه كالأغصن الخضر
بنيت نمي بين المسائل والوعر
بني عننا منى سلاماً بلا حصر
فاني على ضيم الزمان لذو صبر
لما هزني صوت الحماة والقمرى
هو الشيخ إبراهيم مرتفع القدر
منار لهم فوق الكواكب والبدر

(١) مكان في غربي إربا من منازل عسير (٢) اسم مكان في جبل عسير

بهم أصبحت تلك الديار متيرة وأحيوا بها تلك المساجد بالذكر
عليهم مدى الأيام منى تحية يفوق شذاها المسك والعنبر البحري
فجسى بمصر والقواد لديهم ودمع عيون بل تسكابه حجرى
وأن جدب شوق فينى وبينهم قفار ترد الريح منطم الصدر
ولكننى أرجو الإله بمنة وفضل علينا يبدل العسر باليسر

وقف بنا القول فى حوادث عسير عام ١٢٢٣ هـ عند وفاة الشريف حمود ولم يتعرض صاحب سيرته لمن قام بالأمر بعده ، ولا ماذا كانت نهاية جيشه فى السراة مع كره العسيرين لاستيلائه عليهم ، والظاهر أن الجيش بعد أن فقد عميده ومبعث نشاطه وقوته ، ترك السراة لأهلها ، وكر راجعاً إلى ثمامة وجاء فى تاريخ نجد لابن بشر أن الذى تولى الأمر بعد الشريف حمود أخته أحمد وانه وقع بينه وبين حسن بن خالد الحازمى وزير أبيه مشاجرات ثم اصطالحا ثم سار اليهم خليل أغا بعسكر كثيف من الترك وانتهى الأمر بأن قبض خليل اغا على الشريف أحمد بن حمود ونفاه إلى مصر ثم مات خليل اغا (١) .

دام نفوذ السعوديين فى عسير من عام ١٢١٥ إلى عام ١٢٣٠ هـ أى خمس عشرة سنة ، وأمتدت إمارة بيت آل المتحمى ريب السلطنة السعودية والمركز على حمايتها ثلاث سنوات أخرى . فان محمد أحمد المتحمى هو ابن عم طامى بن شعيب ولم ينقطع تصرفه إنقطاعاً تاماً إلا باستيلاء الشريف حمود أمير أبو عريش على عسير فى سنة ١٢٢٣ هـ . ومن الحق أن تعتبر إمارة محمد أحمد المتحمى ، ذبلاً لمدة سلطة السعوديين على عسير وإمتداداً لها فان إمارته نشأت وهم لا يزالون يقاثلون الجيوس التركية أو بتعبير أدق جيوش محمد على باشا وإلى مصر ، وفورة سلطانهم فى عسير ما تزال على حرارتها .

كما أننا لا نبتعد عن الحقيقة والواقع إذا اعتبرنا امراء آل المتحمى شبه مستقلين بالإمارة فى عسير رغم ما كان من نفوذ للسعوديين فيها .

فعر محمد بن سعود وابنه عبد العزيز يكاد يكون عصر نهيد وتوطئة لعصر الإمام سعود الكبير لأن معظم أعمالها في الأماكن القاصية هي الدعوة . ثم الغزو والعودة بخمس الغنائم ^(١) وعبد سعود الكبير وإن كان على شيء من الاستقرار وبسطة السلطان . فقد كان ينقصه الكثير من حسن الإدارة والدقة والنظام ^(٢) وكانت السياسة العليا فيه لا سيما مع المناطق النائية والبعيدة عن مقر إمارته كفسير مثلاً سائرة على الاكتفاء بقبول الدعوة وإظهار الموالاة والأفراط في محبات من كان لهم سابق شوك في البلاد ، أو من يتظاهر بصدق الولاء ، والقناعة بما يبعث به من الخراج والخس في المغنم ، والقاء حبل إدارة الداخلية على غارب من تسند إليه الإمارة يتصرف فيها كيف شاء .

(سياسة الامركزية)

فكثيراً ما كان يشن أمراء عسير القارة على من والاهم من القبائل ومالك اليمن من تلقاء أنفسهم وباهم الدعوة ، وقد يحصل نزاع بين أميرين يواليان آل سعود فيقتال أحدهم الآخر ويغزو قبائله وقراه دون الرجوع إلى الدرعية إلا بعد الحادث كما يتبين ذلك مما سأقصه في سيرة الشريف حمود لأنه من تلك عسير السراة البعثة أشهر فزاماً أن ألم بسيرته بعض الإمام لا سيما وأنه كان شجاعاً في الحرب وداهية في السياسة فقد خضع للسعوديين وانتوى تحت لوأهم وعادى حكومة صنعاء ، ثم نقلت من السعوديين وصانع حكومة اليمن ثم صاح السعوديين وعاد فتشكر الحكومة صنعاء ونابذاها وله مع الأمراء العسيريين وقائع ووقائع ومات ورايات النصر على رأسه تخفق ، كما يقول صاحب سيرته .

(١) تاريخ نجد الحديث صفحة (٥٥)

(٢) تاريخ نجد الحديث صفحة (٦٣)

سيرة الشريف حمود المعروف بأبو مسمار

كانت إمارة أبو عريش إلى عام ١٢١٣ وتبعها صيبا مرتبطة اسمياً بحكومة صنعاء وكان الأمير علي أبو عريش في ذلك العام الشريف علي بن حيدر الحسني والمتنصب على صيبا ابن عمه الشريف منصور بن ناصر وكانت الدعوة الإصلاحية القائمة في نجد قد تسربت في هذه الأثناء إلى الخلاف فرحل إلى الدرعية من إشرافه المدعو أحمد بن حسين الفلبي للأخذ بهذه المبادئ الإصلاحية والدعوة السلفية فاتهم الأمير عبد المزين بن محمد وصوله وأعادته رسولاً يحمل منه لأشراف الخلاف وأمراته كتاباً بالدعوة جاء في أوله : من عبد العزيز بن سعود إلى من يراه من أهل الخلاف السلياني خصوصاً الأشراف أولاد محمد بن حمود وناصر ويحيى وسائر إخوانهم وكذلك بني النعمة أشراف تهامة وفقنا الله وإياهم إلى سبيل الحق والهداية وجنتنا وإياهم طريق الشرك والغواية وأرشدنا وإياهم إلى اقتفاء آثار الضلالة أما بعد فالموجب لهذه الرسالة أن الشريف أحمد بن حسين وصل إلينا فرأى مانحن عليه وتحقق صحة ذلك لديه وبعد ذلك التمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه فتعرفوا به الإسلام الذي لا يقبل من أحد سواه الخ .

جاء الشريف أحمد بهذا الكتاب واستوطن أسفل وادي يثرب عند بعض الأشراف من الجعافرة وأخذ في نشر ما تعلمه من مبادئ الدين الصحيحة والدعوة إلى نيل البدع والضلالات التي كانت فاشية في الخلاف فانضم إليه خلق كثير من قبائل وادي يثرب وقرى الخلاف مما أفلق بال أمير صيبا فكتب للشريف علي بن حيدر أمير أبو عريش يخبره بحليلة الحال ويدعوه للأخذ على أيديهم . فلم يبادر أمير أبو عريش بالاجابة ، بل صبر إلى أن حل وقت الخرص والزكاة وأرسل اليهم من يخوص ثمارهم فطردوه وأبوا عليه ذلك .

عندئذ جهز جيشاً لمعاتهم وأرسل لابن عمه الشريف حمود بن محمد .

وكان إذ ذاك في جهة تعسر^(١) عند بعض أمواله ومزارعه، ودعاه للمشاركة بعد أن كشف له تفاصيل الأمور . قامت الحملة وخرج لمشاركتهم فيها أمير صيبا الشريف منصور بن ناصر وتمكنوا من العصاة وشتوا شملهم وفرقوهم واستقرت الأمور في تلك الجهة .

وبعد شهر من الحوادث دب الطمع في نفس الشريف حمود وتطاولت إلى الاستئثار بالإمارة وإنزاعها من ابن عمه الشريف علي حيد ولم تمض غير أيام قلائل حتى وثب ينازعه إياها ونأم الحرب والقتال بينهما نحو ثمانية أشهر انتهت بتنازل الشريف علي بن حيدر للشريف حمود عن الإمارة وكتبوا لحكومة صنعاء بالواقع فأقرنه وصدر المرسوم الإمامي بالموافقة على ما حصل وجاءته الكسوة والحصان على المراسيم المعتادة .

في هذه الأثناء كانت الدعوة السعودية المسلحة قد وصلت أطراف المخلاف . فقد وصل إلى درب بني شعبة حزام بن عامر على رأس ستماية من المعجمان وانضم اليهم عرار بن شار أمير بني شعبة . فانه كان قد استجاب للدعوة وتوجها جميعا إلى ضواحي صيبا يغيرون على ما هنالك من القرى فأنبهر الشريف حمود لمقابلتهم ورد عاديتهم ، وجرت حوادث يطول شرحها ، انتهت بتراجع المغيين وفرار عرار ومن كانوا معه من المعجمان . غير أن الأمور والأحوال لم تعد تعرف الاستقرار والطمأنينة فان الغزاة من أهل المشرق ومن والاهم من القبائل القريبة من المخلاف لم ينقطعوا عن الاغارة عليه ومهاجمة ما حول صيبا من القرى مما اضطر معه أمير صيبا الشريف منصور إلى الانفصال عن ابن عمه أمير أبو عريش والانضمام إلى السعوديين وموالاهم . وانتهى الأمر عندما تأمر عبد الوهاب بن عامر من طرف السعوديين على قبائل عسير السراة في عام ١٢١٧ هـ واشترط عليه السعوديون محاربة الشريف حمود أن استسلم الشريف حمود نفسه وانضوى تحت لوأهم .

(١) واد بين المضاي وأبو عريش مما يلي الساحل :

كان الشريف منصور بعد أن انفصل عن الارتباط بأبو عريش أخذ هو وعرار بن شار أمير بني شعبة يكتبان للامام عبد العزيز بالدرعية ويكبران له شأن أمير أبو عريش ويدعوانه إلى التجهيل بتجهيز حملة قوية تغل شوكته وتدخله في الطاعة .

على أن الشريف حمود هو الآخر أخذ بعد انفصال ابن عمه منصور عنه يكتب إلى إمام صنعاء يستحثه في إمداده بما يمكن له من رد الأمير منصور إلى طاعته ودفع غزاة نجد عن بلاده فلم يحصل من حكومة صنعاء على طائل ، وكانت الدرعية أسرع إجابة لنجدة من بوالها فقد صدر أمر الإمام عبد العزيز إلى الأمير عبد الوهاب أمير عسير بالتهيؤ لمقاتلة الشريف حمود وكتب لسائر من بواله من أمراء تهامة بالنفير معه ، وأمدّه بعدد وافر من رجال نجد كما سبق القول بذلك وكتب للأمير وادى الدواسر وغيره من قبائل المشرق بالالتحاق بعبد الوهاب ، حتى بلغ من انضم إليه من الجنود والمقاتلة نحو عشرين ألفاً .

زحف عبد الوهاب بهذا الجيش العرمرم دون أن يلاق من أهل القرى الموالية للأمير أبو عريش غير التسليم والطاعة حتى كُتِبَ قُبلى أبو عريش وعلى مرأى العين من فيه ، ثم بعث أحد الأشراف المناعه من والاه في زحفه بكتاب للشريف حمود يعرض عليه الدخول في الطاعة ، ويحذره عواقب القتال فرفض الشريف هذا الطلب وأصر على القتال .

أشار عرار بن شار بعد امتناع الشريف حمود على الأمير عبد الوهاب بأن يجعل الحملة أولاً على ديرة (١) الأشراف فانها كانت متحازة في جانب من البلدة فإذا ما استسلموا وخضعوا انقاد بقية سكانها للطاعة من غير عناء ولا قتال .

(١) الديرة بمعنى الحسنة مؤنث دير واحد الديور جرى الإستعمال فيها على غير القياس واستعمال هذه اللفظة في ذلك شائع بين عرب الحجاز أيضاً .

بلغ ذلك الشريف منصور أمير صيا ، فانه كان مشاركا لهم في هذه الحملة وعز عليه هذا الرأى حية لذويه وعشيرته ، وما زال يقتل في الذروة والغارب حتى حول عيد الوهاب عن هذا الرأى وأن يبدأ الحملة على البلدة أولا وكان من جملة ما أبداه أنه كفىل إذا ما فتحت البلدة أن ينقاد إليه الأشراف جميعهم وأن يدخلوا في الطاعة .

وهكذا قدم ضعاف الرعايا المساكين طعمة للسيف ودرهآ للعنصر المالك المتحكم .

لاح فجر يوم الجمعة الخامس من شهر رمضان سنة ٢١٧ هـ ولاحت معه بوارق سيوف المهاجرين ودوى رعد بنادقهم . وما أن كادت شمس ذلك اليوم تغرب حتى كان المهاجمون يحوسون الأزقة ويفترعون البيوت داخل البلدة واستحرق القتل في أهالى أبو عريش حتى سالى الدماء كالميازيب كما يقول صاحب مسيرة الشريف حمود . فان الجند وضعدوا السيوف دون رحمة أو شفقة .

وبقول المؤرخ المذكور إن الشريف حمود قاتل في ذلك اليوم قتال من يطلب الموت ويتمنى الهلاك .

(صلح واستسلام)

أمسى الليل وأرغى الظلام سدونه وانحاز من نجا من أهالى البلدة إلى ديرة الأشراف ، ولكن هبات أن يكون قد بقى للأشراف عزيمة أو همه للقتال فقد تجمعوا يطالبون الشريف حمود أن يصالح القوم ويسلمهم ليصرون دعاهم وحرعهم من مثل ما وقع في أبو عريش .

أبى الشريف أول الأمر الاستجابة لما طلبه منه ذروه ولكنه عاد فوافق ، لأن الشريف على حميد سلفه في أماره أبو عريش سارع بتقديم الطاعة للجيش المهاجم .

نحى إن هو أصر على إباته أن يسبقه بالزلى فيضعف أمه في استبقائه على أماره أبو عريش وكان يطمع في ذلك .

زل الشريف على حكم الواقع وتقدم للأمير عبد الوهاب في خيمه خارج

البلدة . فلم يحفل به ما كاد معه أن يهيم بالرجوع والتكول ، ولكنه تجدد وتقدم فباج على الاسلام وتبرؤ من كل دين سواه . وعلى السمع والطاعة لعبد العزيز بن سعود ومعادات من عاذه كما يقول صاحب سيرته . تشعبت آراء من كان مع عبد الوهاب من رؤساء الجند وأمراء العشائر في من يجعلونه أميراً على أبو عريش . وكان هوى كل واحد منهم مع من يتصل به ويرضاه من الأشراف . فما يسع عبد الوهاب إلا إسناد الأمانة للشريف حمود وتأيدته فيها تحملاً من عوانب هذا الاختلاف . إلا أنه اشترط في ذلك موافقة الأمام عبد العزيز ورضاه به .

وجمع الأمير عبد الوهاب الأسلاب والمقائم وأخرج خمسها ثم وزع الباقي على جيشه ومن شاركه في القتال وطوى خيابه وعاء أدراجه إن الدرة

محاولة انتفاض فاشلة

لم يكن الشريف حمود صادق النية ولا سالم الطوية في عهده ومبايسته ولا زال يأمل في معارضة حكومة صنعاء له وأغاث وتخليصه فأنشذب سرا صديقه وصفيه الشريف حسن بن خالد الحازمي وبعث به إلى الخليفة المنصور بصنعاء وأصحابه رسائل تتضمن حكاية الواقع . فعمل الشريف ذلك . ولكنه نظر فوجد البلاد خراباً بيباباً قد تفرق أهلها وذهب رجالها . ولم يبق غير الخوافي من ذلك الرئس . فعزم على أن يتصيد عن حوله من أهل القرى التي يرجع أمرها إلى حكومة اليمن ويدخلهم في طاعته باسم الدعوة السعودية والإصلاحات الدينية ليعوض بذلك ما فقدته .

أقام رسول الشريف في صنعاء نحو ستة أشهر دون جدوى ولا فائدة فعاد أدراجه وكان الشريف قد توسع في التسلط على بعض القرى والقبائل المجاورة وازداد نشاطه عندما رجع رسوله بالخبيرة من صنعاء . وتظاهر تظاهراً سافراً بموالاة الدعوة وولى وجهه شطر الدرعية وأمعن في بلاد اليمن يغزو ويفتح مستعيناً بمن كان يعد عليه بين الفينة والفينة من الغزاة من أهل

الأقاليم والوديان الشرقية لجبل السراة ومن ينضم اليهم من قبائل عسير للغاية نفسها ، هم المقوم رله الاستيلاء والتسيطر وكل ذلك باسم الدعوة وفي طاعة الإمام . ولذا لم يقصر في بحث البعث وارسال الهدايا وأمراس المفاتيح إلى الدرعية مما جعل الإمام عبد العزيز يوافق على إجراءات الأمير عبد الوهاب من بقاء الشريف حمود أميراً على أبو عريش ، ولكنه أوجب عليه أطاعة عبد الوهاب والتفكير معه إذا دعت الحاجة ، فلم يرق ذلك للشريف حمود ، وكان شجاعاً في حلقومه لأن الأشراف في تهامة كانوا أولى حرمة وقدر عظيم يعيشون بين دعاياهم عيشة إجلال وتعظيم . وكان أهل السراة في نظر التهاميين بمنزلة الخدم لا يماشونهم في شيء ولا يرون لهم ما يرونه لغيرهم من الحق . لما كان عليه أهل السراة من الوحشية والجحالة ولأنه لم يسبق لهم منذ أجيال أن تكون لهم وحدة أو تجمعهم أمانة ولكنهم بعد أن استجابوا لدعوة ابن عبد الوهاب عظمت هيبتهم في الصدور ومع فتكاتهم ارتاع منهم الجهور ، هكذا يقول مؤرخ الشريف حمود وصاحب سيرته .

الفرصة السانحة

فلما أن الشريف حمود داهية وهمة ، وقد هبت رياح الأقدار بما هيأ له نوال أمنيته من الإنفراد بالتصرف والخلاص من علاقته بالأمير عبد الوهاب أمير السراة فانه في شهر رجب سنة ١٢١٨ هـ توفي الإمام عبد العزيز مقتولاً .

فلقد أُنْـدَس له في مسجد الدرعية بين جمهور المصايين رجل من الروافض سكان العراق جاء إلى الدرعية متكرراً وبادر الإمام وهو في الركعة الثانية أو الثالثة من صلاة العصر وطمع طعنة أودت بحياته فمات ميتة عمرية وقام بالأمر بعده ابنه سعود المعروف بالسكبير فاتهن الشريف حمود هذا الحادث واتفق وابن عمه الشريف منصور أمير حيا بأن يسير منصور على رأس وفد إلى الدرعية لأداء واجب العزاء وتحديد البيعة والموالاة للأمير سعود

والتوسل بما في الوسع للتخلص من الارتباط بأهل السراة وأميرهم
عبد الوهاب .

سار الوفد مزوداً بالنفاس من الهدايا وكان المنتدب فيه عن الشريف حمود
وزيره السيد الحسن بن خالد فتلقاهم الإمام سعود بالترحاب والتكريم وأجابه
إلى ما رغب . وعاد يحمل من الدرعية الأوامر القاضية باستقلال الشريف
حمود بكافة شؤونه مع ارتباطه المباشر بالدرعية .

كما منح الشريف منصور حق التصرف منفرداً في إمارته أصبياً على
أن يكون فيما يتعلق بالنفير للجهاد أو الغزو مرتبطاً بعبد الوهاب ومستجيباً إليه كلما
دعاه لذلك . سر الشريف بهذا التفلت من نير عبد الوهاب والإستقلال بالعمل
وقويت بذلك عزائمته فأخذ يعم في بلاد حكومة صنعاء غزواً ونهباً حتى
امتدت فتوحاته إلى زيد ، والمخا ، ويث الفقيه ^(١) وغيرها بعد حروب
ومخادعات وأحاييل كان يتخذها مع عمال حكومة صنعاء تجلت فيها عبقريته
ودهاؤه وقد ذكر وقائعها صاحب سيرته بأسهاب يطول شرحه
ولقد استغل الشريف حمود إزمكازه على نفوذ السعوديين وسطوتهم استقلالاً
واسع النطاق أيد به مصالحه الخاصة فقد ذكر صاحب سيرته في نفخ العود ما يأتي
عندما كان الشريف حمود موالياً للسعوديين أثناء أقامته في وادي خلب .
ورد عليه غزاة من المشرق ومن قطان ومن الدواسر ومن شهران ومن العجائن
ومن عسير ومعهم من الخيل والركاب ما ملأ الرحاب وأخبروه أن لهم إلى اليمن
نفوذ وأنهم لا ينفذون إلا معه أو بصحبهم أحداً من خاصته وأصحابه

استكثر الشريف تلك العصابة وامتلا بهم وطابه وعزم على الغزو بنفسه
فنادى في رجاله وعزم على من في حباله وتوجه أميراً على تلك الجنود وهو
يقصد اليمن وجبل مقصده الحديدة وكتب إلى قاضيه وعاملها وكان القاضي يومئذ
هو العلامة الكبير والمجتهد النحرير محمد بن أحمد سجع من علماء السنة ومفاخر اليمن

(١) هذه الثلاثة المدن من مدن تهامة اليمن على مقربة من الحديدة .

وقد استوعبت ترجمته في كتاب الوفيات لأنه عند هذه وقد درج إلى دار السلام
واسكنه الله دار الرضا والإتمام . وكان العامل الفقيه صالح بن يحيى الفلاني العرشي
ومضمون تلك الكتب دعوتهم إلى طاعته ودخولهم في جماعة وإلا فقد أعذر
من أنذر .

فتباطأ أهل الحديدة في الجواب ورجع الرسول عاري الأهاب فتقدم في آخر
ذلك اليوم أصحاب الشريف على أهل الحديدة وخرج اليهم جماعة من الصومال
والتوايع وبعض أهل البلد وحين رآوا أقبال القوم لبسوا ثياب الانهزام وبلغ
هاربهم إلى البحر وانحاز الفقيه إلى القلعة الصديقية من أعظم معاول الحديدة معمرور
بالمدفع وآلات الحرب وضربت المدافع من جمع النوب وتقدم أصحاب الشريف
إلى أن دخلوا أكثر البلد فنادى الفقيه بأحراق البيوت الخوص والعشاش .
وأضرم فيها النار حتى كانت ترمى على مرحلتين

تتورنها من أذرع وأهلها يهرب أدنى دارها فنظر على عالى
ومع اضرام النار خرج أصحاب الشريف من البلد ورميات المدافع قد
ازعجت أهل الخيم وأصيب الشريف بجراح وقع في عرض ركبتة ولم يؤثر أثر
كبير لأنه وقع بارداً (١)

خيسة أمل أو مجهود ضائع

كان الشريف يعمل أفكاره في القدوم مرة أخرى على البلد
وأهل الحديدة في تلك الليلة قد تراجع رأيهم بتسليم مال الشريف على أن يرحل
عهم ون همهم أن يبعثوا إليه في الصباح من يتوسط بتسليم المال فراح الشريف
إلا دخول رؤساء الغزو من التجود والدواسر وفحطان ومن معهم وهم يقولون
والقبول يا شريف ما بقي لنا جمع في هذه البلدة ما فيها إلا بتدق وهدفع وحنا
نريدنا طرس من الإبل والماشية تريد الكسب والمغرم - فحاولهم الشريف على البقاء

(١) من هذا الحدث أن الشريف جوداً يومئذ وأخذت شهرته من ذلك الوقت بهذا القبح .

ولو تلك الليلة لعنه ينقضى له بهم المرام فم يسموهم الكثرة والوفرة وما وسعه
إلا الشديده معهم والارتحال وارتاح أمل الحديد من الحصار وما كانوا هموا ببذله
من النصار وتوجه الشريف بتلك الغازية إلى التحيته من قرى زبيد فدخلها القوم
وانتهبوا ما فيها واستقر الشريف إلى أن غزا بعض الجند إلى اليمن وحصلوا على
مرادهم من الهوش ثم قفل راجعا إلى الشام .

حقد يثور

قلنا أنه لم يرق الأمير عبد الوهاب أمير عسير فقلت الشريف حمود من نيره
واستقلاله عنه بالعمل وأحنقه نوسع الشريف في الجهات النمانية وأمعانه في غزوها
منفرداً فلما توجه الأمير عبد الوهاب إلى الحجاز لما وشة الشريف باب وقتاله عندما
تقصر عهد السموديين كما سبق القول بذلك عند الكلام على إمارته لمير السراة كان
في جملة جيشه ثمة من جنود عرار ابن شار أمير بني شعبة غضب عليهم عبد الوهاب
لأمر أوتوا وفي متصرفه من القتال وعودته إلى عسير طلب ما كان مع جنود
عرار من خيل وسلاح وطردهم مهانين . بلغ ذلك عراداً فقاطعه وأخذ بعمل الحيلة
في استئجار قبائل الملح (وقد كانوا يوالون عبد الوهاب) ويوقع بينهم وبين
عبد الوهاب الفتن والحلاف فظن عبد الوهاب أنه يكيد له عرار فبادر بالضرب
على يد من أنس منهم الغدر والإقلا ب من رجال الملح وسحب بجنوده يقصد عراداً
في مفره من قرية درب بني شعبة . فلم يسع عراداً إلا الحرب بما استطاعه والاتجاء
إلى حمى الشريف حمود ، فانتزع عبد الوهاب ذلك وزحف إلى الدرب وحرق ما كان
فيه من حصون ودور لمرار . ونهب ما بقى له من متاع وتقدم يتعقبه واعتزم
أن يقا بل الشريف حمود إن هو أصر على حماية عرار والدرد عنه ، فانه كان يمثل
حقداً حتى على الشريف كما سبق القول .

الاتجاء إلى الدرعية

في أثناء هذه الحوادث كان كل من عرار وعبد الوهاب والشريف حمود قد
كتبوا إلى الدرعية يشكون بعضهم البعض

ومن التصادف أن رسل الأمير سعود بالاجابة على شكواهم كانوا قد وصلوا
ومعهم الاوامر بأن يقدم الجميع إلى الدرعية للفصل بينهم فاضطر الأمير عبد الوهاب
أن يحجم عما اتواه وأن يعود إلى السراة ويتأهب للسفر إلى الدرعية استجابة
لأمر الإمام

سافر عبد الوهاب إلى الدرعية وسافر أيضا الشريف منصور بن ناصر أمير
صديا وسافر معه عرار أمير بني شعبة ولكن الشريف حمود لم يسافر بذاته بل
نذب ولده وأرفق به وزيره الشريف الحسن بن خالد وأصحابهما من التحف
والهدايا كل غال ونفيس.

نتيجة المحاكمة

وصل الجميع الدرعية وبعد أخذ ورد أذن الأمير سعود الشريفين وعرارا
بالحجة وجعل الحق في جانب عبد الوهاب ولكنه عني وصفح ولم يسمع
عبد الوهاب بأن يكون أمر الشريف اليه بل أبقى ما كان على ما كان غير أنه استبق
عرارا لديه بالدرعية وحجزه عن العودة إلى مقره .

الامام سعود

يستجيب لعبد الوهاب

لم يرض ذلك عبد الوهاب بل زاد في حنقه وغيظه فأخذ يقتل في الدرعية
والغارب لدى أهل الدرعية حتى أوجد الشك والريب في اخلاص الشريف وأدغم
صدورهم عليه. روى ذلك الكثير من الحق فان الشريف حمودا لم يكن مخلصا لإخلاص
العسيريين للدعوة ولم يكن صادق الموالاة وقد جرت بعد ذلك حوادث وقضايا
رجحت صدق أقوال عبد الوهاب فيه وصحتها . وكان من عادة الأمير سعود بعد
فتح مكة أن يحج كل عام ويجمع فيها رؤساء القبائل وأمراء العشائر من أغلب
الجهات التي خضعت لسلطانه وفي منصرفه من عام ١٢٢٣ أمر عبد الوهاب
بانتقام لقتال الشريف حمود والاستيلاء على مملكته لاستيلاء تاماً وأمر أمير

قحطان وأمير شهران بالنفير مع عبد الوهاب وعين لمرافقة الحملة رجالا من خاصته وكتب للشريف منصور أمير صيدا يذكره بالعهود ويدعوه لمحاربة عمه الشريف حمود كما كتب للشريف علي حيدر أمير « أبو عريش » السابق بمثل ذلك وصرح له بأنه سيجعله أميراً من بعده علي « أبو عريش » .

لم يخف ذلك علي الشريف حمود ، لأن الإمام سعوداً قبل سفره من الدرعية إلى مكة كتب له يلزمه بضرورة الوصول إلى مكة ومواجهته بها ، ولكن الشريف لم يفعل ، بل نذب عنه ابن عمه الشريف يحيى بن حيدر ، ويقول مؤرخه في رسالة نفح العهود وألقى إليه (أي إلى الشريف يحيى) ، أن يتعرف له ما انطوى عليه سعود وأن يتصل بكبراء النجود فإن بقي للصالحة مجال فإننا لا نبخل بالكثير ، وإن لم يبق لذلك مشرع ولا للجميل مترع فعد إلينا وأسرع ، وعند جبهة الخبر اليقين ، فلاقى الشريف يحيى سعوداً ولمح فيه للعدوان بروفاً وتجمع منه بالتوعد وعوداً وصادف الشريف غالباً أمير مكة السابق فأخبره بجلبة الخبر وأشار عليه بسرعة العود إلى المستقر .

وضح للشريف حمود أن القوم قد عزموا على انزعاج ملكه فأمرع بإرام صالح مع إمام صنعاء على التخلي له عن بعض بوادي النخا ، وعلى أن يمدد إمام صنعاء عند الحاجة بالجنود لمحاربة النجود وأن يكونا يداً واحدة عليهم ، وكان أول عمل أخذه بعد ذلك من دواعي الاحتياط أن يادر بضرب قبيلة الزرائيق فقد كانوا خارجين عن الطاعة وخشى أن يكاتبوا عبد الوهاب أمير عسير فتعظم بذلك المخبة ، ثم عجم عود ابن عمه منصور أمير صيدا وما زال يعمل حتى تأكدت له مناصرته إياه والانضمام إليه ، وكذلك فعل مع ابن عمه علي بن حيدر فوجده ثابتاً علي مؤازرته ، وصار يجمع الجند ويعمي الجيش ويستعد للقتال .

بعد أن رجع عبد الوهاب من مكة أخذ في جمع المقاتلة من عسير وقحطان وشهران ولحقت بهم عصابة من عدوان برأسهم علي بن عبد الرحمن (١٤)

المضايقي أخو عثمان المضايقي العدواني الذي انشق على الشريف غالب ووالى
السعوديين وأعانهم على فتح مكة في المرة الثانية .

بدء المعركة

(قتل عبد الوهاب واحتلال صيبا)

زحف عبد الوهاب بما جمعه من الجيوش والجند إلى أن وصل وادى يش
فالتقى بجيش الشريف حمود وقام القتال بين الجيشين وانتهت المعركة بتفريق
جيش الشريف حمود وانزاع جنوده لا يلوون على شيء ولجأ هو ومن معه
من الأشراف أهل الخيل إلى صيبا .

في مساء ذلك اليوم الذي وقع فيه القتال جاء إلى الشريف منصور أحد
الجنود بسلب فرس ممتاز قال إنه قتل صاحبها وانزعه منها ، وتبين أنه سلب
فرس الأمير عبد الوهاب نفسه ، عرف ذلك بمرأة كانت فيه يعرفونها
من قبل فسر الشريف بهذا الواقع وكان له فيه بعض الغراء من الهزيمة التي
لحقته فلم يشعره ورجع إلى د. أبو عريش ، لتحصينه وتقوية حاميته ، وظل
الشريف منصور بصيبا مرابطاً فيها ، وعلم جيش عبد الوهاب بهلاكه فأجمع
أولو الرأي منهم على إقامة بعض الأشخاص أميراً على الجيش ريثما يصل الخبر
الدرعية فتعين من تشاء وزحفوا على صيبا لتعقب الأشراف بها والاستيلاء
عليها ، وجرت مناوشات ومخاتلات أوجبت على الشريف منصور موالاته
الجيش السعودي وأن يقطع علاقته بآب عمه الشريف حمود إلا أن موالاته
للجيش السعودي لم تدم طويلاً واضطر أن يترك صيبا وأن يلجأ إلى د. أبو
عريش ، فاحتل الجيش صيبا وترك بها حامية منه ورجع إلى السراة .

إمارة طامى بن شعيب

وصلت أخبار ما جرى و وفاة الأمير عبد الوهاب قتيلا إلى الدرعية فعين الإمام سعود طامى بن شعيب المتحمى أميراً على عسير وأكد عليه أوامره بمواصلة قتال الشريف حمود لاستئصال شافته فاستمر طامى يتابع الغزو ومنازلة الشريف في « أبو عريش » ، ولكن دون طائل فقد حصنها تحصيناً قوياً مكيناً فأصدر الإمام سعود أمره إلى عثمان المضايقي العدواني أمير الحجاز من طرفه كما سبق القول بالسير لمساعدة طامى في قتال الشريف حمود .

سار عثمان بجيش قدره صاحب سيرة الشريف بنحو خمسة آلاف مقاتل وبوصوله عسيرا انضم إليه طامى بما معه من مقاتلة عسير ونزلا من السراة يقصدان « أبو عريش » ، وقتال الشريف حمود ، وإذ ذلك كان قد وصل إلى الشريف عدد من رجال اليمن لمعاوته وبلغه أن الجيش الزاحف لمقاتلته وإن أشاع أن قصده التوجه إلى « أبو عريش » ، إلا أنه سيبدأ أولاً بغزو وادى مور ثم العودة إليه في « أبو عريش » ، فسارع لتعزيز حامية تلك الجهة ، ثم جهز ما استطاع تجهيزه من الجنود والمقاتلة وسار بهم يتبع خطى الغزاة مترقباً رجوعهم إليه .

كان الأمر كما بلغ الشريف فقد سار الجيش أولاً إلى جهة اليمن ونهب ما تمكن من نهبه في وادى مور ثم عاد فاصطدم في أثناء سيره بجيش الشريف في مكان يسمى « بَرَبَر » ، بالقرب من وحله والتحم بينهما القتال كما سبق الإلماع بذلك عند الكلام على إمارة طامى بن شعيب على عسير

هزيمة الشريف حمود وهربه إلى أبو عريش

وبعد منازلة شديدة استحر فيها القتل في كثير من أعيان الجيش وشجعانه انتهى القتال بهزيمة الشريف حمود وفراره إلى « أبو عريش » ، وعلى الرغم من

هزيمة الشريف وفراره فإن جيش طامي أصبح مما ناله من شدة القتال في حالة من الوهن لم يتمكن معها من اللحاق بالشريف ومتابعته وتعقبه ، بل اكتفى رؤساقه بما تم وقدموا بما وصلوا إليه من المغنم وعادوا أدراجهم إلى السراة

على أن مناوشة غزاة نجد وأهل المشرق والعسيريين للشريف والإغارة على ممالكه لم تنقطع . فقد دخل عام ١٢٢٦ والحال مستمرة على هذا النوال يغير الشريف على مخلاف صيدا وما جاوره (فقد انضم أهله إلى السعوديين) ويعود بالمغنم ويغير غزاة نجد على ممالك الشريف والقبائل الموالية له ويستلبون ما تصل إليه أيديهم ويعودون إلى السراة .

غير أنه في أثناء ذلك سعى محمد بن علي المنتسب إلى الإمام القائم صاحب مدينة . حصدة ، — وكأنه كان على ولاء للسعوديين ومضافة لهم — بين الشريف والإمام سعود بالصلح بأن يتنازل الشريف عن دعوى حقوقه في صيدا والمخلاف ، يعني مخلاف وادي يشر . ويعترف للسعوديين بحق التملك فيهما ويقدم دفعات من المال معلومة يؤديها للإمام سعود في كل عام . تم الصلح وأطمأن بال الشريف من جانب السعوديين وحلفائهم العسيريين وتعرضهم له فأخذ ينشئ المزارع ويبني المعقل ويصلح ما أفسدته في ممالكه الوقائع والحروب ، واستمر هذا الهدوء إلى عام ١٢٢٩ لأن السعوديين مع ما تم بينهم وبين الشريف من الصلح والاتفاق قد شغلوا بأنفسهم . فإن محمد علي باشا والى مصر قد بدأ معهم القتال من عام ١٢٢٦ . سنة الصلح مع الشريف حود ، وتمكن في عام ١٢٢٨ من انتزاع مكة والمدينة منهم وأخذ في مطاردتهم داخل بلادهم كما سبق ذكر ذلك عند الكلام على إمارة طامي بن شعيب أمير السراة .

حكومة صنعاء تحاول إعادة نفوذها

لم تكن هذه الحوادث لتخفى على حكومة صنعاء وقد ساء ما اتفاق الشريف مع السعوديين ومصالحتهم فانهزت الفرصة وجهاز جيشاً عظيماً لمحاربه واسترداد ما انتزعه منها من مدن تهامة اليمن وإعادة نفوذهم إلى إمارة أبو عريش .

سار الجيش اليمني مسرعاً حتى وصل إلى مقربة من قرية ، مختارة ، وكان الشريف حمود يقيم بها إذ ذاك فبادر إلى جمع الجنود وبرز لملاقاتهم وترتب الصفوف من الجانبين والتحم القتال واشتد التضال وانتهت المعركة بتزعزع قوى الشريف وروها ، فقد هلك الكثير من شجعان الجيش ونفق فيها من خيله نحو أربعين حصاناً .

تراجع كل إلى مخيمه ورأى الشريف أن لا طاقة له باستئناف القتال ، فاعمل الرأي والحيلة ودس إلى رؤساء الجند اليمني ، كما يقول مؤرخه ، في جنح الظلام من أوصل إليهم ، الأبراطيل ، التي كم انتفع بها من غليل وانتفع بها من غليل فتمضوا الخيام وعدلوا عما أتوا لأجله من طرف الإمام ، وبقية سيرة الشريف ونهاية أمره قد مرت في تضاعيف الكلام على حوادث عسير السراة في عام ١٢٣٢ عند الكلام على إمارة محمد احمد المتحمي الرقيدي فلا حاجة إلى تكراره .

ويقول أحد مؤرخي حوادث الشريف - حسن بن أحمد بن عبد الله البهكلي في تذييله أنفع العود في سيرة الشريف حمود - وهو من أدرك آخر عصره وشاهد آثاره وبعض أعماله .

استقصيت تواريخ من سلف ممن تملك هذا المخلاف السلياني فلم أقف على أنه اتفق لأحد منهم ما اتفق لهذا الشريف أو بلغ مبلغه من العز والمنعة أو دانا ، فهو أول من استقل بالامارة من أهل بيته ، وقد كان آباؤه وذووه

ولايتهم مستفادة من أئمة صنعاء وحكومتها وضرب باسمه سكة من النقود
وتعامل بها أهل مملكته التي امتدت من أطراف مدينة حسين بالين إلى جبل
عسير بالسراة ، وإنه كان كريماً سخياً حبا للعلم والعلماء معظما لهم ، وإنه وقف
الكثير من أملاكه على المصالح العامة وأعمال البر والخيرات ، .

آثر الدعوة الوهابية

ما لا شك فيه أن اندفاع السعوديين من أواسط الجزيرة العربية ومد
سلطانهم على معظم أطرافها قد نبه العرب من غميتهم وما لحقهم من الخنود ،
فانهم من أواخر الدولة العباسية أصبحوا كتلة مهمة في المجتمع الانساني ،
لا يعرف الناس عنهم إلا ما سطر في كتب التاريخ من عهدهم السالف كما أركى
فيهم نار الخيبة والألفة من قبول نير الأجنبي ، فهذه قبائل عسير كانت قبل
انضوائها تحت لواء السعوديين ودخولها في جامعتهم على حالة من الهمجية لم
تجعل لها مكاناً لأن تفكر في أكثر مما يفكر فيه الفرد من الاهتمام بالمطعم
والملبس ، وبعد أن انضوت تحت جامعهم وأصاب الجامعة ما أصابها من
الانهيار والتفكك ، وأراد الأجنبي أن يتسلط عليها أبت ذلك ورفضته بكل
أنفة وإباء وناضلت عن سيادتها وحريتها بما استطاعت من قوة ولم تترك
نفسها هملاً كابق العهد ، بل أخذت تنصب الأمراء وتتحد تحت لوائهم كما
ساقصه عليك من سيرة أمراء عسير بعد انهيار الحكومة السعودية .

ولا يعيب هذا الأثر الخيد في نفوس سكان الجزيرة وما هيأه فيها من
الأنفة والتطلع للوحدة واستغاثة مقتضياتها - ما صاحبه من إلهاب نار
الحرب والفتن والقتال في معظم أنحاء الجزيرة وما نشأ من ذلك من ويلات
وعن أصابت الكثير من قبائلها وسكان مدنها - فإن محض الخير في الدنيا من
المستحيل وهل يسلم غيث من عيث (١) .

(١) تاريخ نجد الحديث للربيعي بتصرف

ولو قدر لهذه الجامعة أن تزداد انشاعاً فتضوى تحت لوائها ما تبقى في الجنوب والشرق الجنوبي من إمارات وولايات ، وظلت متماسكة متآزرة ولا بس أولى الأمر فيها ما كان ينقصهم من المرونة ولين الجانب وحسن المدخل والتصرف ^(١) ، لأصبحت الجزيرة في عز ومنة وأصبح للعرب في المحيط الدولي من عظيم الشأن ما يغبطهم عليه كثير من شعوب العالم ، ولعاد إليهم ما كان لهم من مكانة ونفوذ في العالم الإسلامي .

فإن الدعوة الإصلاحية الدينية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي آزرها آل سعود وكانت حجر الأساس فيما وصلوا إليه والتي ماشت نفوذهم إلى ما وصل إليه سلطانهم جنباً إلى جنب - لم يقتصر أثرها والانتباه إليها على سكان الجزيرة وحدهم بل لغتت نظر علماء المسلمين وقادتهم في سائر الأقطار إلى ما وصل إليه المسلمون من انحطاط وأصيب به الكثير منهم من انحراف عن تعاليم الدين وقضائيه وميزاته عن غيره من الأديان وعما كان عليه السلف الصالح ، فقام في كل صقع من أصقاعهم دعاة مصلحون يرددون صدى ما سمعوه من قلب الجزيرة من الدعوة ^(٢)

(١) جاء في كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين لصاحب المعالي وزير المملكة العربية السعودية في لندن الشيخ حافظ وهبه قوله : « وقد بلغت الدولة في أيامه - يعني أيام سعود ، الكبير أوجهاً وغايتها إلا أن أغلامه السياسية والإدارية أوقسته في مشاكل مع الأتراك والمصريين وشدته صرفت عنه القلوب وجعلت الناس يتلهون الفرصة الانتفاض على ص ٢١٣ ، كما ذكر في ص ٢٢٠ فصلاً وافياً تحت عنوان : أسباب سقوط الدولة السعودية ، فليرجع إليه من شاء .

(٢) لقد أعقب ما قام به شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الدعوة إلى الرجوع لعهد السلف وأطراح ما علق بالعقيدة الإسلامية من أوزار وبدع دعاة عديدون ، فقد قام في الهند المرحوم نواب صديق حسن خان ملك بهوبال يدعو إلى ما دعى إليه شيخ الإسلام ، وقام في العراق علماء أفاضل من آل الألوسي منهم السيد نعمان الألوسي والسيد محمود الألوسي ، وفي الشام العلامة السيد جمال الدين القاسمي وفي مصر الشيخ محمد عبده ومن القادة السيد عبد الرحمن الكواكبي

ولكن اندفاع محمد على باشا الى مصر ذلك الاندفاع المجنون مسوقاً بما طاف في رأسه من أحلام بإقامة امبراطورية عربية يكون هو على رأسها وتمكنه من القضاء على الدعوة والقائمين بها وحمايتها في مهدهم وتمزيق ما اتلف من جامعة عربية صميعة خالصة ثم قتلها فيما سعى إليه وتراجعه عما وصل إليه قد أوجد في الجزيرة العربية من النكسة والتدهور ماضيق نطاق انتشار الدعوة الإصلاحية في بقية أقطار المسلمين وأضعف سريرانها .

وسببانه لا معقب لحكمه له الأمر من قبل ومن بعد .

على أن العناية الإلهية قد احتفظت للجزيرة وما كان قد التأم من أجزائها فأمدت بهمونها في العصر الحاضر سليل آل سعود الأشاوس أسد الجزيرة اليوم وصقورها الغلاب جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود فعاد إلى الاجتماع ما كان قد تفرق من أجزائها ، وإنني أكتب هذا وعلم التوحيد الخفاق يرفرف على معظم ما وصل إليه نفوذ أسلافه وسلطانهم إن لم يكن على جميعه^(١) .

والله المستول أن يوفق أمراء من بقى في أطراف الجزيرة وحكامها إلى ما فيه اتحادهم وتأزهم واجتماع كلتهم ، لما في ذلك من الخير والعز والمنفعة لهم جميعاً .

== صاحب رسالة أم القرى والسيد جمال الدين الأفغاني رحمهم الله . وتابع هؤلاء غيرهم وغيرهم في معظم أقطار المسلمين ما نأى عن الجزيرة وما قرب منها عما يضيق معه النطاق عن ذكر اسمائهم وتعدادهم .

(١) كان الكاتب المشهور أمين الريحاني قد تصدى عقب الحرب العالمية الأولى التي نشبت عام سنة ١٩١٤ م لزيارة ملوك العرب وأمرائهم بقصد إصلاح ذات البين وإيجاد حلف بينهم يتضامنون به لدفع عادية الفرنجة وما أتوه في أطراف الجزيرة من غصب واستعمار لبعض الأقاليم وبسط نفوذهم على البعض الآخر وألف عن مسعاه هذا كتابه . ملوك العرب . جاءت في ختامه هذه الكلمة .

وأرى في البلاد العربية اليوم أربعة ملوك كبار وأرى في نفسية الرعايا رعاياهم ==

عود على بدء

وقف بنا الكلام على حوادث عسير المرأة عند ذكر استيلاء الشريف حمود عليها في عام ١٢٣٣ ثم وفاته وما تبينته بعد ذلك من رجوع جيشه إلى تمامه .

ويظهر لي أنه من عام ١٢٣٣ لغاية عام ١٢٣٨ كانت عسير قضا (١) ليس لهم أمير عام وكانت الحملات التركية أو بعبارة أصح — حملات محمد علي — تترى على البلاد يشاركون فيها أمير مكة حينئذ الشريف محمد بن عون وكان الرأي والتدبير في مقاومة هذه الحملات مشتركا بين رؤساء القبائل بل كان العسيريون مغلوبين على أمرهم لسطوة الفاتحين وتتابع حملاتهم .

فقد قال مؤرخنا الذي أنقل عنه معظم حوادث عسير في ذلك العصر في مذكراته ما يأتي : « في عام ١٢٣٤ دخل الترك أرض عسير » وحط (٢) ، الشريف راجح في قرية المغوث وفيها نولى ابن عون إمارة مكة واحتل طيب وانتشر البغي والفساد في بلاد عسير وفي عام ١٢٣٥ عمر جدنا مسجد القرية « بمعنى قرية رجال » وفي عام ١٢٣٦ ظهر أحمد باشا على عسير والملاحه في السابع عشر من جمادى الآخرة .

== نصا على شخصية أولئك الملوك وشرحا على حالة تسرد سياستهم في البلاد رعية الملك حسين تطيعه ولا تحبه .

رعية ابن سعود تطيعه وتحبه

رعية الامام محي تطيعه دون حب ودون خوف .

رعية الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع إلا مكرمة

فن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق أن يسود ؟

وقد أجابت أحداث الزمن في بعض أقسام الجزيرة على هذا السؤال :

(١) نفر متفرقون (٢) بمعنى عسكر ونزل .

وفي عام ١٢٢٧ أخرج سعيد بن مسلط ومن معه من بني مغيد ومن معهم من رجال ألمع رتبة^(١) الترك التي في طيب وذلك في شهر جمادى الأولى وأميرهم إذاك هزاع، استخلفه محمد بن عون على بلاد عسير وغزا وادى الدواسر^(٢) فرجع سعيد بن مسلط من الطريق بعد خصمة شلش^(٣) فيها الشريف بن عون على سعيد فرجع سعيد ورجع من معه من بني مغيد ورجال ألمع وبعض علكم ومن شاء الله من عسير .

كان الشريف محمد بن عون حينما غزا وادى الدواسر جند معه اثنيافاً من عسير فيهم سعيد بن مسلط فلما لحقه من الإهانة ما عبر عنه مؤرخنا بكلمة شلش رجع من الطريق غاضباً حانقاً وذكر مؤرخنا أنه بعد عودته انتهز فرصة اشتغال الشريف محمد بن عون بغزو وادى الدواسر وهجم على الحامية وعلى الشريف هزاع في طيب وأخرجهم منها وأحرق ما فيها من حصون وقصور .

فبلغ ذلك الشريف محمد بن عون ففكر راجعاً إلى عسير حتى وصل قرية خميس مشيط وعلم سعيد بذلك فجمع الجموع من والآه من قبائل عسير وتقدم بهم لقتال الشريف محمد بن عون ورده والتقى الجيشان في وادى عتود^(٤) وبعد قتال عنيف قتل فيه الشريف هزاع الذي كان أميراً على طيب وأخرجه العسيريون منها كما سبق القول — انهزم جيش الشريف محمد بن عون فعاد أدراجه .

(١) بمعنى حامية (٢) وادى الدواسر من أودية شرق الجزيرة الجنوبية تسمى فيه عدة أودية من الوديان المنحدرة من سطوح جبال السراة الشرقية والدواسر أحلاف تنصب إلى جزى العرب قحطان وعدنان أنظر قلب جزيرة العرب ص ١٤٩ . (٣) شلش كلمة اصطلاحية ومعناها شوش عليه بما أغضبه وأثار حنقه وغيطه .

(٤) وادى عتود ينقسم قسمين قسم ينصب إلى الجهة الغربية من جبال السراة ويتصل بوادى ضلع المنحدر إلى درب بني شعبة وقسم ينصب إلى الجهة الشرقية ويتصل بوادى شران وهو المقصود هنا .

إمارة سعيد بن مسلط

في هذه الموقعة ظهرت شجاعة سعيد بن مسلط ومهارته في الحرب فأقامه العسيريون أميراً عليهم ، ودام القتال والمناوشة بعد ذلك بين سرايا الشريف محمد بن عون وبين العسيرين وعلى رأسهم الأمير سعيد بن مسلط دون طائل مما دعا أحمد باشا وإلى الحجاز من طرف محمد علي عام ١٢٣٩ أن يتقدم بنفسه على رأس جيش رقبه وجاء به من طريق الساحل وعمبة شعار وتمكن من اقتحام جبل عسير وعسكر في قرية الملاحة .

فأهري له العسيريون بقاتلونه ، وبعد وقائع كانت الحرب فيها سجالات انهزمت عسير ولجأ الأمير سعيد بن مسلط ومن معه من آل راجع إلى الأطوار (١) ، وسمي يوم الخزيمة ، يوم ذبران وذى أم سنون ، لكثرة ما استحر فيه من القتل بين الفريقين .

ظلت سطوة هذه الخلة مسترة في عسير إلى نصف العام ، وفي شعبان من العام نفسه اهتبل الأمير سعيد رجوع أحمد باشا إلى الحجاز فخرج من ملجئه بالطور ومدت له قبائل عسير يد المعاونة والموازنة فحاصر الحامية التي تركها أحمد باشا في قرية طيب وانتهى الحصار بخروج الحامية منها صلحا واستيلاء سعيد عليها غير أن الشريف محمد بن عون لم يترك التعرض لعسير بالغزو والقتال ، فبعد أن تمكن الأمير سعيد بن مسلط من إخراج الحامية التي تركها أحمد باشا أعاد الشريف محمد بن عون الكرة للقتال عام ١٢٤٠ وعلم سعيد بذلك فأهري لملاقاته قبل أن يصل حدود قبائل عسير ووقع بين الفريقين في وادي شبران قتال عنيف انتهى بالصلح والمهادنة بينهم إلى عام ١٢٤٢ .

وفي هذا العام توفي الأمير سعيد بن مسلط بعد إمارة دامت نحو ثلاث

(١) الأطوار واحدا طور وهو رأس الجبل العسر المرتقى أو ما ارتفع منه وأشرف على غيره ويطلق على الجبل أيضا .

مشوات ونصف انحصرت كل جهوده فيها في مقاومة الحملات التركية وحملات
مواليهم أمير مكة الشريف محمد بن عون .

إمارة علي بن مجتل

وإمارة سعيد هذه تعد مبدأ انتقال الإمارة العامة في عسير من آل المتحصى
من قبيلة ربيعة رفيعة إلى قبيلة بني مغيد فقد قام بالأمر بعده ابن عمه علي بن
مجتل المغيدى (١).

كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر اتصال السعوديين بالبلاد
وكان متشبهاً بمبادئ الدعوة الإصلاحية شديدة الحرص والتمسك بها وحمل
الناس عليها ، وكان مع ذلك على غنى من الدماء وحصافة الرأي لجمع حوله
العلماء وأرباب النفوذ في عسير وأعند عليهم العطاء والصلات ولأسلاف
الحفاظية بعض سكان قرية رجال القدح المعلق في إمارته ، فقد كان منهم الدعاة
والوعاظ ومنهم القضاة فأشبهوا في ذلك آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في
عهد السعوديين .

وفوق هذا فإنه كان سعيد الطالع ميمون النقيبة ، فقد فترت حملات

(١) ما وهم فيه المرحوم السيد محمود الألوسي في كتابه تاريخ نجد قوله : إن
مشايخ عسير على عهد السعوديين الأول من ألمع ، كما كان الشيخ سليمان سحمان في
تصحيحه في التتمة التي ألفتها بالتاريخ المذكور أشد ومما فقد قال الشيخ
سليمان في تصحيحه ص ١٢٤ وما بعدها . وليس الأمر كذلك فإن ملوك عسير من
مفيد ومفيد وعسير قبيلتا ألمع ومساكنهم وقراهم في جبال تهامة بجانب الخبت
وأما القبيلة الثانية من عسير فهم مفيد وهم عسير السراة وهم قبائل شتى وملوكهم
إذذاك من قبيلة بقال لها بنو مالك ثم مفيد ورئيسهم والقائم بأمرهم في زمن
الدرعية وهو عبد الوهاب أبو نعله إلى آخر ما جاء عالم يسلم من غلط وأوهام
والصحيح في ذلك كله هو ما ذكرته مما مر عليك من أول التاريخ .

محمد علي وضعف تعرضه لعسير وتقاصرت مطامع أمير الحجاز الشريف محمد ابن عون عن التوسع في مد نفوذه إلى عسير .

لأن محمد علي باشا في ذلك العهد انتفض على الحكومة العثمانية وقلب لها ظهر المجن واشتغل عن عسير بزحفه على سوريا وفلسطين بل لم تقتصر أعماله الجريئة عليهما فإنه استمر زاحقاً في قلب الأناضول إلى أن وصل قريباً من كوتاهية ، فغلا الجو للأمير علي . وكان أول عمل له في عام ١٢٤٣ أن غزا قبيلة عيس^(١) وشاطرهم أموالهم ، ثم غزا بعد ذلك صيدا فاستولى عليها وأخرج من بها من الترك وعرج علي « أبو عريش » للاستيلاء عليه وكان أميره إذ ذاك الشريف علي حيدر ، وبعد أن اصطفت جنود القرين للقتال توسط بعض الرؤساء بينهما بالصلح ورجع الأمير علي إلى السراة مكتفياً بما تم له من الاستيلاء على صيدا .

وفي عام ١٢٤٤ لم يذكر مؤرخنا قيام الأمير علي بشي من المغازي^(٢) . أما في عام ١٢٤٥ فقد غزا قبيلة وادعه^(٣) وأدخلها في طاعته بعد حرب

(١) قبيلة عيس من سكان شرقي وادي مور وهو واد يبعد عن « أبو عريش » بمرحلتين وجنوباً منه .

(٢) مما ذكره في حوادث هذا العام قوله وفيه قدم إلى اليمن العلامة المجمع على ولايته السيد أحمد بن إدريس المغربي وأمير أبو عريش حيثئذ الشريف علي حيدر وهو يخالف ما ذكره صاحب كتاب قلب جزيرة العرب من أن مجيء السيد أحمد المذكور كان في عام ١٢٤٦ في زمن إمارة الحسين بن علي حيدر ، والسيد أحمد الإدريسي هو جد السادة الإدارة الذين تأمروا على صيدا وما جاورها عام ١٣٢٦ انظر الرحلة ص ١٣٩ عند الكلام على صيدا .

(٣) وادعة قبيلة ترجع في همدان وتسكن وادي الظهران - ظهران اليمن - مما يلي الحدود اليمنية فإن منازلهم تمتد إلى مالكة لإمام صنعاء .

وقنال عظيم . وفي عام ١٢٤٦^(١) غزا إلى جهة اليمن واستولى على جميع بلاد الكافور^(٢) وما حولها وهدم ما فيها من القباب والقبور والحصون ورتب أمورها وبعث إليها بالعلامة الشيخ عبدالرحمن الحفظي مرشداً ومعلماً لأهلها

العساكر الألبانية في أبو عريش والحديدة

وفي عام ١٢٤٧ غزا حياطة بيش^(٣) فاستولى على عريان جبل القمر وقبيلة الصهايل^(٤) وفي عام ١٢٤٨ توجه مرة ثانية لحصار أبو عريش ، فصالحه أهلها على الطاعة وصار أمرها إليه وعامده أشرفها على ذلك ، وقد كان أكبر عون له في الاستيلاء على أبو عريش ، وجود ثلة من العساكر الألبانية التي قدم بها محمد علي باشا في أثناء أعماله الحربية في الحجاز ، وهؤلاء الجنود نشأ منهم في الجهات الحجازية واليمنية كثير من المفسد والمخن والاضطرابات ولا يزال في شيوخ مكة من يروى عن أبيه ما سمعه من حوادث هؤلاء الجنود وتعرضهم للاهالي بالأيذاء وفسادهم وعيبتهم^(٥) .

وقد كان سبب مجيء هذه الشرذمة منهم اتهامه عمير أنهم في تلك السنة ثاروا على أولياء الأمر في الحجاز ونهبوا ما استطاعوا نهبه من المؤن والذخائر

- (١) بما ذكره مؤرخنا في هذا العام ظهور وباء حصلت شدته في مكة بما أُلجأ كثيراً من الحجاج إلى العودة دون أن يتم مناسك الحج
(٢) السكفور كان شيخاً لقبائل صليل من قبائل وادي مور تسكن غرب الوادي في نهضة اليمن .
(٣) حياطة بيش يعني صدر وادي بيش ، والقمر جبل هناك في غاية المنعة عمر المالك

- (٤) الصهايل قبيلة تسكن صدر وادي بيش والقمر معروف بهذا الاسم من القديم ذكره البكري في معجمه على أنه موضع وأشد فيه قول مزود بن ضرار وشبت لنا ناراً ذر برهوة ونار بني عبد المदान لدى القمر
ج ٣ ص ١١٠٠ (٥) ويسمى أهل مكة الأراغلة

واستولوا على بضعة مراكب وسفن شراعية وخرجوا بها إلى السواحل
البحرية يعيشون فيها بالشر والفساد (١)

وصادف أن وصولهم إلى ضواحي أبو عريش كان أثناء محاصرة الأمير
علي لها فرأى كبيرهم الذي سماه مؤرخنا، تركي بن الماز، (٢) أن يشحز بجماعته

(١) ذكر صاحب كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٥٩ أن محمد علي
باشا وإلى مصر رأى في الإذعان لأوامر الباب العالي لمحاربة آل سعود ثلاث فوائد
كبيرة لنفسه :

الأولى : أنه يبعد جيشه الألباني غير المنظم والذي أكثر القرد والعصيان
والفساد في مصر ليتمكن أثناء غيابه من تنظيم جيش مدرب على الطريقة الحديثة
الثانية : أن يأخذ من الدولة الأموال اللازمة التي كان في حاجة إليها بحجة
لرومها لنفقات الحرب المقدسة

الثالثة : أن هذه الحرب تجمع عواطف المسلمين في العالم على حبه وولائه بصفته
منفذ الحرمين ومعيد مناسك الحج

(٢) جاء في كتاب تاريخ العرب للمستشرق ل. أميديو ترجمة عادل زعتر
ص ٥١٨ قوله ولما كانت سنة ١٨٣٢ م وكانت العلائق بالباب العالي مقطوعة
حاول تركي اسم، تركجه بيلماز،، يعني لا يعرف التركية، أن يثير قبائل العرب
فطرد من الحجاز وفر إلى حسيم الدين باحثاً عن ملجأ له في النجا،

وذكر الوافي في كتاب، عصر محمد علي، أن تركي بيلماز هذا تحصل من بعد
الفتنة التي أحدثها هو وزميل له اسمه زنار أغا على فرمان من الباب العالي يقره على
ولاية الحجاز نكابة في محمد علي، وإن حملة مصرية بقيادة أحمد يكن باشا وإلى الحجاز
من طرفه قوامها ٤٠٠٠ جندي سارت من ينبع واحتلت جدة فانهزم تركي بيلماز إلى
السواحل ولم يقو على الاستيلاء على القنفذة وإخراج حامية محمد علي منها فاستمر منهزماً
إلى الحديدة إلى أن استقر في النجا ولم يقو إمام صنعاء على رده فهدد محمد علي إلى أحمد باشا
يكن وإلى الحجاز بمطاردة في عام ١٨٣٣ سار إليه في خمسة عشر ألف مقاتل وكان
شيخ العسير موالياً للجيش المصري فحاصر النجا حتى فتحها عنوة وهرب تركي بيلماز إلى
بعض السفن البريطانية وبذلك انتهت الفتنة ولكن شيخ العسير نهب النجاشية مدمراً
فبارت تجارة الهند عدة سنوات ص ٢٧٧ و ٢٧٨ نقلاً عن مانجان - ج ٣ - ص ٦٤

إلى الأمير علي بن مجتل وبسند في حركاته وأعماله إليه وانفق معه على ذلك وأعانته على غايته في أبو عريش .

وبعد أن احتل الأمير علي أبو عريش صلحا بنى فيها معقلا للحامية سماه « دار النصر » وعقد اتفاقية أخرى مع تركي بن الماز ومن معه من الأرتود واللبان ، بأن يغزوا على سواحل اليمن الأقصى وما جاوره من المدن وعاهداهم على الإسلام . كما يقول مؤرخنا . وعاهدوه ثم قتل راجعا إلى السراة ، بعمله هذا صاد عصفورين بحجر واحد ، أبعاد هؤلاء المغيرين عما يرجع إليه امره من القرى والساكن ، ودفعهم كمهدين لما ينويه من التوسع والفتح في الجهات اليمنية .

سار هؤلاء الأرتود يعيشون في سواحل اليمن بالنهب والإفساد وتم لهم فتح الحديدة والخا وزيد وما حولهما من القرى ولكنهم بعد أن استقر بهم المقام نقضوا العهد وتمردوا على الأمير علي بن مجتل وانحرفوا عما أجراه معهم من إتفاق وكثر فسادهم ، دعا الأمير عليا أن ينبري لقتالهم ورفع يدهم عما احتلوه من بلاد فغزاهم ثا يقول مؤرخنا بخنود لا قبل لهم بها وأخرجهم منها وهم صاغرون .

أما الحديدة فقد جنح من كان بها منهم للصالح مريعا وأما المخالف يستول الأمير عليها إلا بعد ملحمة وقاتال عنيف وكذلك كان الحال في زيد .

بعد أن أتم الأمير علي عملياته الحربية أقام محمد بن مفرح نائباً عنه في الحديدة وتلك الجهات وترك معه حامية نحو أربعائة من رجالات عسير وعاد راجعا إلى السراة . وفي أثناء رجوعه طريقه مرض ثقل عليه وأعجزه عن الركوب ومواصلة السير فصنع له تابوت حمل فيه إلى أن وصل إلى مقره بعسير وبعد شهر من وصوله وافته منيته فمات في ١٢ شوال سنة ١٢٤٩ .

يقول مؤرخنا كان الأمير علي محسنا في إمارته قضى فيها سبع سنوات

كلها خيرات وبركات وكان الناس حين مات لم يصابوا بمثل مصيبته في موته من شدة ما نالهم من الجزع والحزن عليه .

عهد الولاية أو امارة عايض بن مرعي

لم تكن الإمارة في عسير في ذلك العهد تعرف شيئاً من تقاليد توارث السيادة ، بل كانت حقاً تسند إلى القوى الشجاع من أهلها كما سبق القول . إلا أنه في هذه المرة جد مع ذلك شيء آخر هو عهد الولاية والوصاية بالإمارة . يقول مؤرخنا إن الأمير علياً رحمه الله قبل موته أوصى أن يكون الأمر بعده للأسد الضرغام عايض بن مرعي ، فبايعه الناس واجتمعوا على طاعته ، وكان ذلك نهاية عام ١٢٤٩ .

والأمير عايض هذا هو جد أسرة آل عايض وإمارته لم تخرج عن كونها إمارة مغيبية فانه من آل يزيد الراجعين في بني مغيد^(١) .

كان أول ما واجه الأمير عايض من المشاكل بعد أن تأمر — انتفاض الشريف علي بن حيدر صاحب أبو عريش ، فتجهز إليه غازياً وحصل بينهما قتال في أيام عيد النحر في ساحة أبو عريش رجع منه الأمير عايض دون أن يحصل على الغاية من رده إلى الطاعة مع أن حاميه عسير كانت لا تزال تعنص بمقل دار النصر الذي أنشأه الأمير علي بن مجثل غير أنها بعد أن

(١) وم الريماني في تاريخ نجد الحديث صفحة ٢٦٩ فيما ذكره عن الأمير عايض بأن إمارته كانت على عهد سعود الكبير ، فسعود الكبير توفي عام ١٢٢٩ والأمير عايض لم يتأمر إلا في عام ١٢٤٩ أي بعد عشرين عاماً من وفاته ، كما وم صاحب كتاب قلب جزيرة العرب يجعل الأمير عايض من عشيرة آل أبو سراح مع أنه لا يتصل بآل أبو سراح إلا في مغيد وآل أبو سراح كان منهم الوزراء لآل عايض ويعرفون قديماً بآل زيدان ، ولكنه صحح ذلك في كتابه في بلاد عسير صفحة ١٠١ .

كف الأمير عايض عن القتال لم ترف بقاها فائدة ، فصالح الشريف على بن حيدر وخرجت من أبو عريش . ويقول مؤرخنا إن ذلك حصل غداً وخيانة من رئيس الحامية المدعو مغرم ، الأمر قام في نفسه وأمنية لم تتحقق له .

اشتد ساعد الأمير على بن حيدر وقوى عزمه فانقض على حامية عسير في صيا من الأشراف الحوازم وأخرجهم منها ، ورتب فيها حامية من طرفه من بعض الترك^(١) .

الزحف التركي على عسير

قال مؤرخنا : وفي شهر صفر سنة ١٢٥٠ توجه الترك إلى بلاد عسير بعساكر قوية ومعهم قوة على رأسها الشريف محمد بن عون ومعه دوسري وكان يجيشه عن طريق بيشة ، فلما وصلوا إلى بلاد شهران خرج إليهم الأمير عايض بقبائل عسير وحصل بينهما القتال في وادي عتود^(٢) وسرعان ما لحقت الهزيمة بقبائل عسير وتراجع الأمير عايض إلى السقا^(٣) واحتل الجيش التركي أبها وخيم دوسري في طيب غير أن بقاء هذا الاحتلال لم يطل ، فقد أعاد الأمير عايض الكرة بالقتال وكان النصر حليفه فأخلى الأتراك أبها وتراجعوا عنها وخرج دوسري من طيب .

(١) لعل بعض هؤلاء الترك هم من الألبان الذين انداحوا على السواحل اليمنية على شاكله ما حكيناه عن ترك بن ألتاز مع الأمير على بن مجتل ص ٣٧ .

(٢) عتود - واد شرقي أبها بينها وبين قرية خميس مشيط وهو قسم من وادي عتود الغربي المتحدر إلى درب بني شعبة ، فهو واد ذو طرفين طرف ينحدر شرقاً وطرف ينحدر غرباً كما سبق القول .

(٣) السقا ويقول لها العسيريون أم سقا - قرية جنوب السدا وعلى مسافة ثلاث ساعات من أبها وثلاث ساعات من السدا أيضاً .

لكن تقهر الأتراك لم يكن نهائياً بل انسحب بعضهم إلى باحة تنومة من بلاد بني شهر^(١) ورابط فيها وانسحب بعضهم إلى تهامة واستقر في ثغر القنفذة^(٢).

ولم تقتصر الأعمال الحربية التي قام بها الترك على عسير السراة وحدها ، بل إن حملة أخرى سيرت على تهامة اليمن والحديدة اضطرت الأمير محمد بن مفرح نائب الأمير عايض أن يصالحهم على إخلاء الحديدة وما جاورها على أن يخرج بما في يده من مال وسلاح .

قلنا إن الأتراك لم يكن تقهرهم نهائياً ، فإنهم بعد أن استقروا في ثغر القنفذة وباحة تنومة وتم لهم طرد حامية عسير من الحديدة — أخذوا يعدون العدة للسكر على عسير . ففى نهاية عام ١٢٥٠ زحفوا على عسير زحفاً عاماً من عدة جهات . ويقول مؤرخنا^(٣) : « زحف الترك من كل حذب وصوب وتفرقت بهم السبل في زحفهم هذا تفاخراً وتكاثراً فمنهم من

(١) بنو شهر قبيلة عظيمة سبق القول عنها ، وباحة تنومة رقعة فسيحة في منازلهم انظر صفحة ١٠٨

(٢) ثغر القنفذة على البحر الأحمر يبعد عن مكة بثمانية مراحل ، وقد كان الحد الفاصل لنفوذ الأشراف أشراف مكة من الساحل .

(٣) مما ذكره مؤرخنا في مذكراته من حوادث هذا العام أنه حصل قحط عظيم حتى هلكت المواشى ولقي الناس منه شدة عظيمة لا سيما البادية لولا أن لطف الله بالناس . وجلب إلى عسير الأرز . وإليه نسب الناس تلك السنة فقالوا سنة الرز ولم يكونوا من قبل يألفون أكله حتى إن بعضهم كان يخاف أن يأكله ، ولا يجب فإن نفس المرء تعاف ما لم تكن تعرف ولم يكن بأرض قومها وأيضا في العشر الأواخر من شهر جمادى من هذا العام ظهر نجم ذو ذنب أبيض طويل ظهر من جهة المشرق بدأ أولا من جهة مغرب بنات نعل الكبرى ثم في كل ليلة يطلع القهقري إلى أن طلع أخيراً من جهة اليمن (الجنوب) على مغرب الشمس في الشتاء ودلهم ظهوره ٢٥ ليلة .

أخذ الطريق إلى بلاد شيران^(١) ومنهم من جاء عن طريق الخمسة^(٢) ومنهم من حطدوب بنى شعبة . أما الشريف محمد بن عون فأخذ طريق الحجاز إلى أن وصل السقا^(٣) وأما دوسرى وإبراهيم باشا فجاءا من طريق الساحل حتى حطوا بالشعبين^(٤) . لم يصل الشريف محمد بن عون السقا ولم يصل دوسرى وإبراهيم باشا الشعبين إلا بعد حروب يطول شرحها .

منها أن الترك أحرقوا قنا^(٥) واتهبوها دون شفقة أو رحمة ، وأعانهم على ذلك بنو ثوعه^(٦) وأهل ختارش^(٧) واتخذوهم أولياء من دون المؤمنين ، ومنها أن قبائل ألمع وأهل رجال لما تيقنوا وصول الترك إلى محاليل^(٨) بعد حرقهم قنا خندقوا أسفل وادى حلى ورابطوا عنده وعليه تعاهدوا قنا إن أتاهم العدو حتى شردوا وأخلفوا ما عاهدوا الله عليه ، إن كانت بقية الوقائع التي جرت على نسق ما قصه مؤرخنا فهي مزائم سترها لا حروب يطول شرحها .

انتهى عام ١٢٥٠ ودخل عام ١٢٥١ والحرب قائمة بين عسيران وبين الأتراك يناوش كل منهما الآخر في حصونه ومعاقله . وفي مستهل صفر

(١) شرقى أبها .

(٢) الخمسة ساحل على مقربة من ثمر الفحمة وحط بمعنى عسكر كما سبق القول .

(٣) قرية أم - سقا سبق تعريفها .

(٤) الشعبين قرية من وقرى ألمع انظر الرحلة ص ٦٧

(٥) قنا اسم قرية باسم الوادى جميعه جنوبا عن محاليل وأسفل عنها .

(٦) بنو ثوعه قبيلة تسكن جنوب محاليل فى وادى حلى انظر الرحلة ص ١٠٠

(٧) أهل ختارش سكانه وختارش اسم مكان فى أول وادى حلى محاليل الشعبين

(٨) محاليل قرية انظر الرحلة ص ١٠٠

بعث الأمير عايض بسرية إلى من بالسقا من الحامية التركية من جهة جر العريزة (١) أنحتت فيها قتلا وأسراً وكانت أعمال تلك السرية أول انتصار لعسير بعد التخاذل . فانه بعد ذلك بأيام أغار بعض قبائل ألمع على منازل ربيعة رفيدة (٢) وهم يومئذ عون للعدو وقتكوا فيهم وفي الحامية التي لديهم من الترك قتلا حتى قتله من الترك بالمغيرين من قبائل ألمع إلى وادي كسان (٣) وإلى جهة القويد (٤) ولكن دون أن ينالوا منهم شيئاً ، بل تراجعوا بلا طائل ونشطت قبائل عسير بعد ذلك بالإغارات المتكررة على مراكز الترك ومقر حامياتهم مما أدى إلى انسحاب الجيش التركي وتراجعهم إلى خارج حدود قبيلة عسير بل وما بعدها .

فقد قال مؤرخنا : إن هزائمهم (يعني الترك) ما زالت تتوالى ، فيوم الخميس هربوا من الشيعيين ويوم الجمعة هربوا من السراة ومن محابيل ولم يأت يوم الاثنين إلا وقد غنمت جميع مطارحهم (٥) واستولى عليها العسيريون إلا مركز تنومة (٦) فان حاميته ظلت به إلى شهر ربيع الآخر ثم خرجت منه صلحاً .

(١) مكان - ويقال له اليوم العريزة على مقربة من السقا فبما بينها وبين قرية السودا .

(٢) ربيعة رفيدة إحدى قبائل عسير الأربع وفيهم كانت الإمارة على عهد السعوديين الأولين انظر الرحلة ص ٥٠ .

(٣) وادي كسان يمتد بقدر ومرحلة وفي صدره مما يلي عقبة رز تقوم قرية رجال انظر الرحلة ص ٦٩ .

(٤) القويد اسم مكان من منازل قبيلة ألمع .

(٥) مطارحهم يعني بها معسكراتهم .

(٦) تنومة باحة في بلاد بني شهر انظر الرحلة ص ١٠٨ .

تراجع الجيش التركي وأسبابه

ويظهر أن تراجع الجيش التركي أو جيش محمد علي وانسحابه هذا يرجعان إلى أسباب تعود إلى السياسة العليا في إدارته ، فقد جاء في كتاب قلب جزيرة العرب نقلاً عن وهو غارث ، أن خلافاً نشب بين الشريف محمد بن عون وبين أحمد باشا مندوب محمد علي باشا بسبب رغبة الشريف في بسط نفوذه على بعض القبائل في عسير وأن محمد علي أمره بالتوجه إلى مصر مع الباشا فقدمها عام ١٢٥٢ وظلت مكة مدة بدون شريف (١) .

استقرار وتوسع

وبسبب هذا الخلاف فترت الحملات على عسير نحو ثلاث سنوات من عام ١٢٥١ إلى عام ١٢٥٤ ، فتفرغ الأمير عايض إلى بعض الإصلاحات الداخلية فحفر بئراً في ساحة الناظر ، محلة مناظر إحدى محال قرية أبها الآن ، وعمر فيها أرضاً زراعية فائقة .

واستنفر طائفة من أهل السراة ومن تهامة ليتفقهوا في الدين بعد أن قرر لهم عطاءاً يعينهم على طلب العلم ، فمكثوا في المدرسة الحفظية بقرية رجال مقر العلماء الحفظية نحو ثلاثة أشهر .

وفي عام ١٢٥٢ غزا يشة النخل (٢) واصلح أمره بها وأقام فيها نحو شهر ثم عاد ، وفي أواخر العام بعث الأمير عايض سرية على رأسها ابن معدي

(١) قلب جزيرة العرب صفحة ٢١٤ .

(٢) يشة النخل — قسم من وادي يشة يتبدى على ما جاء في كتاب (بلاد عسير) من مكان يسمى واعر فما قبله يطلق عليه يشة بن سالم من أعلاه ووادي شهران وبين هشب من أسفله ومن رغب زيادة في التفصيل فليرجع إليه في صفحة ٥٤ .

إلى درب بنى شعبة ليحرسوه من « يام »^(١)، فانها انحدرت مغيرة على المخلاف السليماني وأحدثت فيه فتنة عظيمة ونهبت منه ما لا يحصى من الأموال لكن الله انتقم منهم كما يقول مؤرخنا، لأنهم بعد أن نهبوا من أطراف المخلاف ما نهبوا عسكروا في ساحل^(٢) صيدا فسلط الله عليهم الترك وأعداهم فهجموا عليهم في أيام عيد النحر وأمعنوا فيهم قتلًا، وشفى الله صدور قوم مؤمنين، والله في إيقاد العداوة بينهما حكمة بالغة .

الجيش يتدخل

وفي عام ١٢٥٣ غزا الأمير عايض، غامدا^(٣)، و« زهران »^(٤)، وأدخلهما في طاعته فأثار ذلك حفيظة أحمد باشا مندوب محمد علي باشا في الحجاز وخشى استفحال هذه الفزوات وامتدادها، فجهز جيشا وسار به عن طريق السراة فاسترجع بلاد غامد وزهران وطرد منها حامية عسير .

أثارت هذه الأعمال الأمير عايض وأنس في نفسه القوة والقدرة على قتال جيش أحمد باشا وإبعاده عن غامد وزهران، فأخذ يجمع الجنود ويجهز القبائل إلى أن بلغ جيشه على ما قدره مؤرخنا، عشرين ألفا، وسار به لملاقاة الجيش المحتل .

(١) يام — يطلق على عدة قبائل تسكن وادي نجران وما حوله انظر كتاب في بلاد عسير فإن فيه تفصيلا ص ١٧٦ .

(٢) ساحل صيدا شمالي جيزان وعلى مقربة منها يسكنه قبيلة الجماعرة .

(٣) غامد — قبيلة من سكان جبال السراة تبعد عن الطائف بست مراحل حضرها من أنور قبائل السراة، بكثرت بينهم من بحسن القراءة والكتابة وفيهم نشاط للكسب والعمل .

(٤) زهران — قبيلة من سكان جبال السراة يخدمون من الجنوب غامد .

هزيمة منكرة

وفي يوم السبت ١٧ صفر سنة ١٢٥٤ التقى الجيشان في باحة رغدان^(١) من بلاد غامد ، وما إن بدأ القتال بينهما بقدر رمية أورميتين — كما يقول مؤرخنا — حتى تداعت رايات المسلمين — يعنى قبائل عسير — وانهمزوا شر هزيمة وهذا يشعر على ما اعتقده مؤرخنا رحمه الله بأنها كانت عقوبة لهم لمخالفتهم ما يدعون أنه الحق .

وقد تمزق الجيش العسيري في هذه الموقعة شر ممزق ووقع كثير من رجاله في الأسر ، فكان من أسر من قبائل الماع وحدهم حوالى خمسمائة رجل . وما ضاعف النكبة على الجيش العسيري أن قبائل تلك الجهات نقضوا العهود وتواثبوا على الفارين والمنهزمين من العسيريين يعضون فيهم قتلا وسلبا حتى أنهم تركوا بعضهم عراة بادية السوء ليس لهم ما يسترهم إلا الحشائش ونحوها .

ذهبت مثلا

كانت هذه الكارثة شديدة الوطأة على عسير ولا يزال أثر ألما يتاورثه منهم الخلف عن السلف ، فإنهم حتى الآن إذا أراد الواحد منهم أن يدعو على الآخر بسوء قال له : جزاك الله ما جزى المؤمنين في بلاد غامد . . ويظهر لى أن حملة أحمد باشا هذه وإن أنكت بعسير هذه النكابة الشديدة إلا أنها كانت منه لدرء الخطر عن الحجاز وما إليه فقط وإيقاف العسيريين عند حدهم ، وأنه لم يكن مستطاعا التوسع فى الأعمال الحربية واسترداد ما وصلت إليه حكومته من سابق النفوذ بعسير .

لأن مخدومه ومصدر أمداده محمد على باشا وإلى مصر كان إذ ذاك فى

(١) الباحة المكان المتبع ورغدان اسم مكان فى بلاد غامد .

المقيم المقعد من انقلاب الحال ، فقد بدأت أعماله الحربية في سوريا وفلسطين في الاندحار ، وأخذ يختفى ما كان يتألق له من أمل في إنشاء امبراطورية عربية ، فقد ظهرت حكومة انكلترا الحكومة العثمانية على كبح جماحه نظراً لما كان لما من مطامع في إقليم مصر .

وآزر الإنكلترا الحكومة العثمانية إلى أن انتهى الحال بقصر سيادة محمد على وسلطته على القطر المصري فقط ، على أن يكون ذلك ورائيا في أبنائه وانزع منه جميع ما امتدت إليه يده من الممالك العثمانية على ما هو مبسوط في تاريخ تلك الحوادث .

وفوق ذلك فإن أحمد باشا هذا كان على اختلاف مع الشريف محمد بن عون أمير مكة ، منشؤه بلاد عسير ورغبة الشريف في التخصيص ببسط يده عليها كما سبق القول ، وهما صائب قوم عند قوم فوائد .

انتهى عام ١٢٥٥ ولم يقع في عسير - كما يقول مؤرخنا - ما يستحق الذكر سوى حصول قتال بين الترك وأهل بارق^(١) وأن الأمير عابض غزا الجهرة^(٢) وألحق بأهل الحقو^(٣) معركة عظيمة هائلة فقد نهب أموالهم وقتل كثيراً من رجالهم ونسائهم ، لأنهم في زعمه أووا أهل الجهرة فاقه يحكم بينهم وبينه يوم القيامة .

(١) يقول صاحب كتاب الرحلة البتانية ص ٤٣ وادى بارق المذكور من أعظم الأودية انساعا خصب التربة خيراته كثيرة يزرع فيه السمسم والذرة والشعير والدخن والنبيلة ولأمله اعتناء تام باستخراج زيت السمسم وإرساله للخارج بكثرة وقرى وادى بارق تبلغ خمسين قرية كلها مبنية بالحجر المنحوت الجبل والدور فيها من طابقين إلى ثلاثة ولم تكن تظن أن لهذه الديار اعتناء بالأبنية بهذا الشكل .

(٢) قبيلة من قبائل شرق وادى ييش .

(٣) الحقو اسم مكان في وادى ييش جنوبي صليبا وعلى بعد مرحلة منها ولعله قديماً يعرف بحقواء أو حقواء على ما جاء في معجم ما استعجم للبكري ج ٢/٤٥٩ .

أما عام ١٢٥٦ فقد غزا فيه الأمير محمد بن مفرح النعمان^(١) نائباً عن الأمير عايض بعد الاتفاق مع الشريف الحسين بن علي أمير أبو عريش لإخراج الترك منه .

ويقول المؤرخ إن العناية الربانية حققت هذه الحملة فخرج الترك من سائر المراكز بغير قتال ولا حصار وتوجهوا للشام^(٢) .

وفيها اتفق الأمير الحسين بن علي مع الأمير عايض على تسيير حملة بألف من الجنود إلى النخاض^(٣) لاحتلالها ، وفيها أيضاً غزا ابن مفرح بلاد بني عمرو^(٤) في السراة واتبها ثم صالحهم ، وعما ذكره مؤرخنا من حوادث هذه السنة انسحاب أحمد باشا مندوب محمد علي من الحجاز بما معه من الجنود ورجوعه إلى مصر في شهر شعبان ورجوع الشريف محمد بن عون من مصر إلى الحجاز قبل ذلك في شهر رجب وحصول هدنة بينه وبين الأمير عايض إلى ما شاء الله من الوقت ، وكان من مقتضى هذه الهدنة إطلاق سراح من كان في جيوش الحجاز من قبائل عسير وألح عن أسروا في موقعة رغدان المار ذكرها .

وفي هذا العام أيضاً حج ابن مفرح بالكثير من حجاج عسير وتامة النعمان .

في هذه السنة تنفس الخناق عن عسير بما قضت به الظروف على الدولة العثمانية ومحمد علي باشا ومواليها أمير مكة الشريف محمد بن عون ، وانفسخ المجال للأمير عايض فترة غير قصيرة فانه إلى عام ١٢٦٩ لم تبدأ أية محاولة من الترك

(١) الذين يفصد منه هنا ما كان بعد حدود الخلاف السلطاني .

(٢) الشام مطلق اللمة الشمالية .

(٣) النخاض مدينة ساحلية من مدن تامة النعمان على مقربة من المدينة وجنوباً عنها .

(٤) بنو عمرو من قبائل جبل السراة (الحجاز) يحدهم شرقاً وجنوباً بشرق بنو شهر ، وغرباً وجنوباً بقرب قبيلة كعب وشمالاً بالقرن .

لاسترداد نفوذهم في عسير مما مكن للأمير عايض أن يوطد إمارته وأن يوسع نطاق سلطانه على كثير من القبائل البعيدة عن ديار عسير .

فقد غزا في عام ١٢٥٧^(١) المقاطرة^(٢) ونزل إلى أبو عريش في دبدبة عظيمة من الجند واجتمع بالشریف الحسين بن علي أمير أبو عريش لتأكيد ما بينهما من العهود والمواثيق .

وفي نزوله هذا كره على قبائل عبيس^(٣) ونهب من أموالهم ما لا يحصى كثرة ، وفي عام ١٢٥٨^(٤) جهز بالاشتراك مع صاحب أبو عريش جيشا غزا به بني الحارث^(٥) فدخلوا في الطاعة والجماعة ، وفيها أيضا غزا صدر وادي ييش حتى بلغ جبل القهر^(٦) مما يلي جلة الموت^(٧) .

وفيها تعرض المدعو محسن بن عباس لبلاد وأدعة^(٨) فبعث إليه الأمير عايض جماعة من المقالة على رأسهم بن ضبعان وانتهى الأمر بالصلح وجاء

(١) بما ذكره مؤرخنا من حوادث هذا العام حصول زلزال عظيم في بلاد قبائل ألمع وما والاها بما لم يسمع قبله مثله .

(٢) المقاطرة قبيلة جنوب وادي ييش .

(٣) عبيس بعض سكان وادي مور .

(٤) بما ذكره مؤرخنا من حوادث هذا العام أن المياه في بلاد ألمع غارت وحصل للناس من ذلك شدة عظيمة سببا في بلاد صلب وبني جونة .

(٥) بني الحارث قبيلة منازلها جبال قرية من صيدا .

(٦) القهر جبل في غاية المنعة وعر المسالك في الجنوب الشرق من صدر وادي ييش .

(٧) جلة الموت اسم مكان في صدر وادي ييش مما يلي جبل القهر .

(٨) وأدعة قبائل تسكن وادي الظهران — ظهران اليمن — جنوب شرق أباها

عرفاء وادعة وقدموا طاعتهم ثم عقبهم في عام ١٢٥٩ ° بحجى محسن نفسه بنحو مائة من قبيلتي سنحان وحمدان^(١) وعاهدوا الأمير على إقامة التوحيد ومعاودة أهل الشرك والتبديد ، كما يقول مؤرخنا ، ولم يطل أجل الهدنة التي تمت بين الأمير عايض وبين الشريف محمد بن عون عام ١٢٥٦ فقد جهر الأمير عايض في أوائل عام ١٢٦٠ جيشا غزا به بيشة ثم توجه إلى بلاد غامد وما يليها من قبائل شمران^(٢) وبلقرن فأدوا الطاعة ودخلوا في الجماعة وهم صاغرون كما يقول مؤرخنا .

وقد كانت في ذلك الفرصة الثمينة لعسير للانتقام من قبائل هذه الجهات لما لقي العسريون منهم في موقعة رغدان مع جيش أحمد باشا كما سبق القول . لأن أمير مكة الشريف محمد بن عون الذي يعنيه أمر هذه الجهات كان ضعيف الحول ولم يكن على وفاق مع والى الحكومة العثمانية الذى خلف مندوب محمد على باشا بعد انسحابه من الحجاز .

ومضى عام ١٢٦١ وعام ١٢٦٢ ° والحالة في عسير في استقرار وطمأنينة

(٥) مما ذكره مؤرخنا من حوادث عام ١٢٥٩ ظهور عمود أحمر في السماء جهة اليمن في شهر محرم ثم لم يزل يمتد ويتزايد طولا وعرضا ثم أخذ يتناقص إلى أن اضمحل في شهر صفر .

(١) سنحان وحمدان قبيلتان من قبائل اليمن في الجنوب الشرقى عن أبها .
(٢) شمران قبيلة تسكن المرأة وتهامة ، يحدهم شرقا شمران وغربا وشمالا غامد وجنوبا بلقرن ، وبلقرن قبيلة تسكن السراة وتهامة أيضا يحدهما شرقا وادى بيشة وشمالا شمران وجنوبا بنو عمرو وغربا تمتد منازلهم إلى قوز بلعير على مقربة من الغنفذة ويوم عنها على الدابة .

(٥) مما ذكره مؤرخنا وحوادث هذا العام مرور العلامة الكبير والولى الصوفى الشهير الزاهد الشريف إسماعيل بن حسن من بلاد عسيرة قصد إخراج الفريجة من عدن وذكر صاحب تاريخ اليمن أن المذكور من أشراف مكة وقد كان الإنكاز بانفلاق مع الحكومة العثمانية احتلوا عدن ، وما ذكره مؤرخنا أن الشريف المذكور قتل غيلة ، عام ١٣٦٤ في أرض الحجرية بتدير من الفريجة ولم تتحقق أميته .

ولم يقع فيهما من الحوادث شيء سوى قتال وقع بين أمير أبو عريش الشريف الحسين الموالى للأمير عيسى وبين المدعو على حميدة من موالى إمام صنعاء ، كانت الغلبة فيه لعلى حميدة وتمكن من نهب مخيم الشريف الحسين بعد قتل ذريع وقع في عسكره .

أما عام ١٢٦٣ فقد غزا فيه الأمير عايض ، باقم^(١) ، غزوة عظيمة جاء بعدها ابن مقيت على رأس قبائله مدعنا بالطاعة .

وفى أحيا الأمير عايض مزارع ، مسلية ، التى أنشأها الأمير طامى بن شعيب بوادى يش وكانت السنة سنة خصب ورخاء فقد بلغ سعر الفرة عشرة أفرق بريال^(٢) .

وفى عام ١٢٦٤ غزا الأمير النين حتى وصل صيدا ثم كر على آل الحارث فأخذ من أموالهم أكثرها .

ومن حوادث هذا العام خروج إمام صنعاء محمد بن يحيى المتوكل بجيش عظيم لقتال الشريف الحسين بن على بن حيدر أمير أبو عريش والتمقاء الجيشين بقرية القطيع ووقع قتال بينهما شديد انتهى بتعزق جيش الشريف الحسين وإلقاء القبض عليه وحجسه فى قرية القطيع ثم فراره من الحبس واختلال أمر الإمام محمد بن يحيى وتراجعته إلى صنعاء^(٣) .

(١) باقم يطلق على قرية تبعد عن وادى الظهران — ظهران النين — بست ساعات بالداية وهى الآن تتبع إمام صنعاء وتسمى قبائلها بنو جماعة .

(٢) الفرق ويقال لنوع منه العجرة ، وعاء من الخصر على شكل الأكياس الجيش وهو عادة يسع ثلاثين كيلة مكية وقد يزيد والريال هو الريال الفرنسى الذى سبق تعريفه فى الرحلة ويسارى خمسة عشر قرشا مصريا .

(٣) قول مؤرخنا هذا وهو المعاصر المواطن يؤيد ما نقله صاحب قلب جزيرة العرب فيما ذكره بصفحة ٣٥٢ و ٥٤ نقلا عن الشيخ عبد الواسع الباني فى كتابه تاريخ النين ، وينبئ ما زعمته وزارة الخارجية البريطانية وزعمه هو غارث ، فى تاريخه بأن الترك بتحريض من الشريف محمد بن عون جردوا حملة أنزلت الحديد فى عام ١٢٦٥ تمكنت من فتح تهامة ودخول أبو عريش .

وفي عام ١٢٦٥ اجتمع محمد بن مفرح نائباً عن الأمير عايض بالشريف عبد الله بن محمد بن عون نائباً عن أبيه في بيعة واصطلحا على تحديد الحدود بينهما .

وفي عام ١٢٦٦ غزا الأمير عايض آل حدره^(١) وأخذ أموالهم .

وفي عام ١٢٦٧ نقض الأمير عايض ما جرى بين نائبه محمد بن مفرح وبين الشريف عبد الله بن محمد بن عون من تحديد الحدود بينهما وأغار على بيعة وقفل منها إلى بلاد بَلْقَرَن سِراة وتهامة فصالحوه على ما يريد ولم يقع حرب ولا قتال بينهما ، وفيها غزا وادى ثلث^(٢) .

وفي عام ١٢٦٨ بعث سرية إلى غامد وزهران رجعت ظافرة منصوره .

ومن حوادث هذا العام تولى الشريف عبد المطلب بن غالب إمارة مكة وحججه بالناس ، وفي عام ١٢٦٩ توجهت رتبة^(٣) تحت إمرة يحيى بن مرعي أخو الأمير عايض إلى غامد بدلا من الرتبة السابقة التي كانت تحت إمارة ابنه محمد بن عايض ، وفي هذه السنة أيضا بعث الأمير عايض وفداً إلى الشريف عبد المطلب ومعه الهدايا من الخيل وغيرها .

(١) آل حدره قبيلة تمتد منازلها غرباً من درب بني شعبة إلى قريب من ساحل البحر .

(٢) ثلث واد عظيم يتحدر شرقاً من جبال السراة من منازل قبيلة قحطان وتنصب فيه أدوية كثيرة ذكرها صاحب كتاب في بلاد عسير وقال إنها ثلاثة عشر وادياً ، وهو في انحدره يتجه إلى الشمال الشرقي وينتهي في وادي الدواسر عند مكان يقال له الختمية ويقال أن عمرو بن معدى كرب كان يملك بعضه أوكله وفي بعض قراه تخيل ويغلب في سكانه البدو والرحل . وهو معروف قديماً بهذا الاسم جعله ياقوت الحد الفاصل لما يسمى حجازاً من سلسلة جبال السراة فقال في ج ٣ ص ٢١٩ ويحدها أي جبال الحجاز ، من بلاد مذبح ثلث وما دونها .

(٣) رتبة — بمعنى حامية من الجند .

قلنا إن الشريف محمد بن عون لم يكن على وفاق مع الوالي التركي وقد أدى الخلاف إلى أن تعزل الحكومة العثمانية الشريف محمد بن عون وتبعده إلى استانبول وتولى مكانه الشريف عبد المطلب ، وحتى الشريف عبد المطلب لم يصف الحال بينه وبين المندوبين الأتراك بسبب لائحة الإصلاح التي أرادت الحكومة العثمانية تنفيذها في ولاياتها وكان من مقتضاها منع الاسترقاق مما أدى إلى تمرد الشريف عبد المطلب وحصول فتنة في الحجاز هرب المذكور على إثرها ولجأ إلى الآستانة ، فأعادت الحكومة الشريف محمد بن عون أميراً للحجاز ولكنه عاد محدود السلطة والنفوذ ولم تطل مدة إمارته الثانية فقد توفي في عام ١٢٧٤ ، وتولى بعده الإمارة ابنه عبد الله .

الأوبئة في عسير

إلى ما ذكرته من حوادث عام ١٢٦٩ كانت نهاية ما سجله مؤرخنا في وريقاته غير أن ما ذكره في حوادث هذا العام وقوع وباء في عسير عم سائر قرى السراة وأن أثره امتد إلى عام ١٢٧٣ وأنه اشتد في هذا العام حتى لم يترك في بعض الأوطان دياراً ولا نافخ نار ، وأنه فلك بكثير من أعيان أهل الحل والعقد في عسير حتى إن الأمير عايض نفسه أصيب به وكان سبب وفاته^(١)

(١) بدأ حصول الأوبئة في الحجاز وما جارها من مناطق وأقاليم من عام ١٢٣٤ وتكرر في عدة سنوات حتى إن مؤرخنا ذكر في حوادث عام ١٢٤٦ أن وباء حصل في الحرم أدى إلى أن يقطع الحجاج مناسكهم ويعودوا ، وهذا طبيعي فإنه كان نتيجة لما استحر من القتال وأثر لما دم البلاد من خليط الجنود الذين أتى بهم محمد علي باشا مما لم يخل حتى من بعض الفرجة . وكان من جملة ما جلبه معهم كثير من الأمراض الاجتماعية التي لم تكن معروفة في الجزيرة ن قبل ، وذلك من كبريات سيئات محمد علي في الجزيرة إن عمق أثرها لا يزال فاشياً بين كثير من القبائل كما تدل على ذلك التقارير التي يكتبها الأطباء الباحثون في الوباء الحاضر فإن الحكومة تبذل عظيم الجهد في مقاومتها بما تيسر من أطباء متحولون بين القبائل والقرى للمعالجة والبحث .

فعلى ما ذكره مؤرخنا يكون الأمير عايض قد قضى في إمارة عسير العامة حوالى أربعة وعشرين سنة من عام ١٢٥٠ إلى عام ١٢٧٣ تيسر له في أثناءها الولاية على كثير من القبائل والقرى المجاورة لعسير والنائية عنها وضمها لسلطانه .

لأنه منذ أن انتزعت ولاية الحجاز وما يتبعها من محمد على باشا وأعيدت إلى حظيرة الحكومة العثمانية في عام ١٢٥٥ إلى أن توفي الأمير عايض في عام ١٢٧٣ لم تقم الحكومة العثمانية المشار إليها بأى عمل حربي جدى لاسترداد نفوذها في عسير ولم يكن أمراء الحجاز على وفاق مع ولاته من الأتراك كما سبق الإشارة إلى ذلك في محله . مما هيا للأمير عايض الإمكان في غزو الأماكن القاصية عن عسير وثبتت نفوذ إمارته في قبيلتي غامد وزهران وغيرهما مما جرى ذكر حوادثه في محله ووقته .

ويقول مؤرخنا إن الأمير عايض بن مرعى كان على قسط وافر من راحة العقل وسجاجة الخلق وكان محسنا محبا للعلماء ومقدرا لهم فقد ذكر في حوادث عام ١٢٥٩ أن العلامة الشيخ زين العابدين الحفظي كتب إلى الأمير المشار إليه أن ينزل إلى تهامة لمواجهة ، فامثل ذلك ونزل إلى أول وادى ناه من بلاد بني زيد^(١) واجتمع بالشيخ المشار إليه فبذل له كما يقول مؤرخنا (وصايا ونصائح ومسائل هي لثبات الدين والمملك من أعظم الوسائل) فتلقاها منه بالرضا والقبول .

الولاية بالارث وإمارة محمد بن عايض

فهو بزياده هذه وبطول مدة إمارته وظروفها قد وطدت لابنه من بعده أركان الدولة ومظاهر الصولة وأوسع له نطاق الإمارة فقد توفي وسلطان

(١) بنو زيد إحدى قبائل ألمع .

إمارته تمتد شرقا إلى بيشة النخل وشمالا إلى غامد وزهران وغربا إلى الخلاف
السلياني وجنوبا بشرق إلى وادي تليث وما جاوره من القبائل والقرى وتولى
ابنه محمد بن عايض الإمارة وهي على ما وصفت من الشوكة والقوة والمنعة
والاتساع ، وكانت إمارته أول إمارة بالأرث في عسير .

قضى الأمير محمد بن عايض حوالي أربعة عشر عاما كانت الحكومة
العثمانية في أثنائها لا تزال مشغولة بلم الشعث ورتق ما أفسدته الحروب والفتن
التي جرتها ثورة محمد علي باشا وإلى مصر ، فقد مضت مدة ولاية السلطان
عبد المجيد وقسم من ولاية السلطان عبد العزيز ولم تقم الحكومة العثمانية في
الجزيرة العربية وبالأخص في الجهة الجنوبية منها بأعمال حرية جديدة تذكر .

ومن المؤلف أتق لم أجد في المذكرات التي عثرت عليها ذكرا لما جرى
من الحوادث في عصر الأمير محمد بن عايض خلا ما عثرت عليه من قصيدة
للعلامة عبد الخالق الحفطي يمدح فيها محمد بن عايض ويهنته بتملكه أبو عريش ،
وهروب صاحبه الشريف الحسين بن محمد يوم السبت ٢٥ جمادى سنة ١٢٨٠ .
كما وجدت ورقة بخط أحد المعاصرين له من الحفاظية ذكر فيها حادث
زحف القائد محمد رديف باشا الذي كانت على يده نهاية إمارة آل عايض
وعائمة حياة الأمير محمد بن عايض .

والشائع على الألسنة مما يتناقله الخلف عن السلف من سكان هذه الجهة
أن فتوحات الأمير محمد من الجهة الجنوبية وصلت إلى الخناو الحديدية وزيد وما
جاورها وأن عصره كان عصر توسع وعز لعسير .

غير أن نفوذه في تلك الجهات لم يطل بدليل ما جاء في كتابة مؤرخنا
لحادث زحف القائد محمد رديف باشا فانه قال :

غزو الحديدية - المأساة الحربية

• في مدخول عشر من شوال سنة ١٢٨٨ غزا الأمير محمد بن عايض

الحديدة لأجل أمور بلغته عنها من صادق وكاذب وربما استنفره أهل تلك
المحلات وعولوا عليه في إزالة ما فيها من المنكرات وإخراج من فيها من
الفجار ، واستطرد في سرد الحادثة وما أعقبها بما خلاصته :

أن الأمير محمد أجمع القبائل من عسير وسار بهم يقصد غزو الحديدة
والاستيلاء عليها وأنه حصل من تلك القبائل والعشائر على من مروا عليهم
من أهل القرى والديساكر في طريقهم إلى الحديدة من النهب والسلب
والتعرض بالأذى ما يجمل عن الحصر .

فلما وصلوا إلى الحديدة نشبت الحرب بينهم وبين الترك في يوم الخميس
١٣ رمضان سنة ١٢٨٨ ووقع بين الفريقين قتال شديد هلك فيه جم غفير
من عسيرة من الترك ومن أهل الحديدة وانتهى بهزيمة المسلمين يعني العسيرة ،
وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسم يظلمون ، فإني ينتصرون وقد عاثوا
في الأرض فساداً وتعرضوا للآمنين من أهل القرى بالنهب والسلب ولم
يردعهم رجوعهم بالخبية والبوار فانهم لما وصلوا قرية الزيدية (١) دهموا
أهلها وهم قارون آمنون ونهبوا أموالهم وكشفوا كما يقول مؤرخنا العورات
وسبوا الذريات وانتهكوا النساء الفاطميات حتى لم يبقوا لأهل الزيدية
ما يطعمون به أطفالهم أو يسترون به سوءاتهم بل كان كثير من النساء
يوارين سوءاتهن بالتراب وصار الآثاثة والتراث والكتب الموقوفة واللباس
والسلاح والأموال الظاهرة والباطنة نهباً بأيدي عسير وغيرهم من عساكر
الأمير ، فإلها من مصيبة ما أعظمها ورزية ما أجمعها وحقول مؤرخنا وقال
« اللهم انا نبرأ إليك عما صنعوا ونعوذ بك من عواقب ما فعلوا فأنت تعلم
أن عيوننا من ذلك ذارفة وقلوبنا من سطوتك خائفة » .

(١) الزيدية قرية على ساحل البحر غربي رادى مور ونجد ثلاثة مراحل عن
أبو عريش .

الجيش التركي يزحف على عسير بقيادة محمد رديف باشا

ويقول مؤرخنا رجح الأمير محمد بن عايض ومن معه إلى عسير وقد فعلوا ما فعلوا من الإفساد والمناكير وكان وصولهم في الخامس من شوال سنة ١٢٨٨ فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى توالى الأخبار بخروج عسكر هائل وجيش جرار يبلغ عشرين ألفاً جهزه السلطان عبد العزيز خان وجعل على رأسه محمد رديف باشا .

وهذا من غير شك مدى لما فعله العسيريون في تهامة اليمن من المثالب وأزلوه بأهل تلك الجهة من المصائب .

وصل رديف باشا ثغر القنفذة بمن معه من جنود وكتب للأمير محمد بن عايض ولبعض رؤساء عسير يدعوم للطاعة والإذعان فأبوا ورفضوا طلبه . ويقول مؤرخنا ، إن الأمير محمد بن عايض بعد وصول طلب رديف باشا إليه جمع كبار المسلمين وتعاقدوا وتعاهدوا على حرب هذه الفئة الباغية .

تيقن رديف باشا عزم العسيرين على المقاومة والحرب فرحف بجيشه واحتل حلي بن يعقوب ^(١) وهو أول جنود إمارة محمد بن عايض من هذه الجهة ثم سار زاحفاً حتى وصل محال فاحتلها بعد أن هرب أهلها .

دخول الجيش التركي محال

كان دخول الجيش التركي محال يوم عيد الأضحى فلما بلغ الأمير محمد وصوله إلى محال خرج بمن معه من قبائل عسير وأهل المشرق - يعني من كان تحت ولايته من قبائل شهران وقحطان - وخيم في باحة شعار وأخذ يبنى

(١) حلي بن يعقوب واد نهايته على الساحل عند رأس خليج محي من رياح الشمال والشرق عند قرية عخشوش، والوادي يمتد داخلاً إلى منازل قبائل المبح وما يصفى فيه من الأودية هناك وادي العوص ووادي تبة .

المعاقل والحصون ويقم ما استطاع من وسائل الدفاع ويستعد للعلاقة والقتال متوقفاً أن الجيش التركي سيقصد السراة من تلك الجهة عن طريق عقبة شعارو وادى تية فهو أيسر طريق للسراة من تلك الجهة لا سيما لجيش عظيم .

مفاجأة رجال ألمع وهزيمتهم

كما أن قبائل ألمع وهى موالية للامير محمد بن عايض خرجت على ما يقول مؤرخنا - فرض عين - يعنى بذلك جميع من يستطيع منهم القتال إلى الاشتراك في الحرب وصد عادية الترك عن البلاد وعسكروا في أول وادى حلى بما يلي منازلهم في مكان يسمى الأحاييش ودارت المخاربة بين مقدمهم على بن عبي اليزيدى وبين من في السراة من الرؤساء على عزم مبادأة الجيش التركي بالقتال إلا أن كلمتهم لم تجتمع على ذلك مما جعل مؤرخنا يقول : فكانوا يهيمون بالهجوم على الترك ولا يتمون وصارت المحاصرة والمخادلة بينهم ومن ذلك التاريخ عرف من له أدق عقل بعد ما شاهده من الاختلاف وعدم الائتلاف ألا يكون لهم عاقبة رشد .

وقبل أن تنفق الكلمة بين رجالات عسير على أمر يمضونه لم تشعرق قبائل ألمع المجتمعة في الأحاييش كما سبق القول في سحر إحدى الليالى إلا بصياح النذير ، أن الترك قد أقبلوا لا يردهم راد ، فأجمعوا أمرهم وتباؤوا للقتال وبعد وقت غير طويل كان الجيش التركي على مرأى العين منهم كأنه الجراد المنتشر كما يقول مؤرخنا تدوى طبولهم وتنطق مزاميرهم مقبلين يقصدون رجال ألمع وما أن أصاب معسكر قبائل ألمع من مدافع الجيش الزاحف قنبر رمية أو رميتين حتى تفرق جمعهم وهربوا هروب رجل واحد إلى عقبة والج^(١) ومن هناك تفرقوا إلى ما خلفهم من جبال قبيلة شحب^(٢) واحتل الجيش التركي

(١) عقبة والج من منازل قبائل ألمع .

(٢) شحب إحدى قبائل ألمع أنظر الرحلة ص ٩٤

الأسايش وظل بها إلى المساء ثم انتقل إلى قرية الملح^(١) وبات فيها .
أصاب قبائل ألمع هذا الفشل والخذلان والحال كما يقول مؤرخنا أنه لم
يقتل منهم ذلك اليوم سوى نفر واحد من آل موهوب .

أصبح الصبح فراجع عزم قبائل ألمع إلا القليل من دخلهم الوهن
 واجتمعوا في ذروة جبل قوه^(٢) المشرف على أول وادي حلى ومنزل الترك
 منه بالملحة يقصدون مناوشة الترك ومراعاتهم بالبندق فلبحهم الترك كما يقول
 مؤرخنا بالتنازور، ووجهوا منهم طابورا، قصد جبل قوه من تلك الجهة وبعد
 تبادل طلقات الرصاص بينهم وبين من في قوه بقتل ساعة حرب جميع من كان
 يحبل قوه من رجال ألمع من المقاتلة وتمكنت جنود الترك المهاجمة من
 الوصول إلى الذروة فاستأمن منهم أهل القرى التي عليها فأمنوهم ورجعوا إلى
 مقرهم بالملحة .

هرب رجال ألمع وتفرقوا كل إلى منزله خائفًا على أهله وماله ونفسه
 إلا شذمة منهم نحو ثلاثمائة رجل ظلت مع المقدم على بن عجي أقام بعضهم
 في الشرفة والبعض الآخر بالشقة ، أما الجيش التركي فانه سار دون أن يلقي
 مقاومة من أحد حتى وصل وادي العوص ومنه رقى عقبة الصماء وخيم في
 سطح جبل نهال^(٣)

خدعة وهزيمة

جرى كل ذلك والامير محمد بن عايض مقيم في باحة شعار هو ومن
 معه يبنون الحصون والمهاجر ويرقبون طلوع الترك من تلك الجهة

(١) الملحقة قرية في أعالي وادي حلى وهي غير الملحقة التي في السراة من قرى
 بني مالك وغير قرية الملحقة التي بين ينش وصيدا

(٢) جبل قوه يشرف من شماله على وادي حلى ومن جنوبه على وادي
 كسان وقرية رجال .

(٣) نهال جبل من مازل قبائل علمك إحدى قبائل عسير أنظر الرحلة ص ٦٣

و لما بلغه وصول الترك إلى سطح تهلل أسقط في يده ووقع في عظيم الارتيباك والاضطراب : وحارت الأفكار وغلبت الأقدار كما يقول مؤرخنا ولم يسعه إلا المبادرة هو ومن معه بقصد الترك حيث كانوا . جاء الأمير بمن معه إلى مقر الترك ونشب القتال بينهما واستمر سجلا ينال من الترك يوما وبناولن منه آخره مدة من الوقت اضطربعدما أن يتراجع إلى قرية السقا فلاحق به الجيش التركي ودارت بين الفريقين رحى الحرب نحو خمسة أيام كانت أصوات مدافع الترك وبنادقهم على حد تعبير مؤرخنا تدوى كأنها الرعود والصواعق ، وانتهى القتال باندحار العسيريين واحتلال الجيش التركي للسقا واستيلائهم عليها .

خرج الأمير محمد من السقا هاربا إلى جهة الحفير^(١) والترك في أثره يتعقبونه واستمرت الحرب بينهم أباما بين غالب ومغلوب ، وأخيرا رأى الأمير محمد أن لا طاقة له بالمنازلة فليجأ إلى قرية ريده^(٢) ونحصر فيها بمن صابر ورابط معه من الرؤساء والمقاتلة .

الحصن الأخير

كانت ريده حصينة بموقعها الطبيعي لا سيما على السراة والجهة الزاحف منها الجيش التركي وبما فيها من الحصون والمعازل المشحونة بمختلف أنواع الأسلحة والذخائر فقد قال مؤرخنا : « وليس أحد يظن أن تغلب من قلة أو

(١) قرية غربي السقا .

(٢) ريده من أجل قرى عسير وهي في صفاح الجبال الغربية على السقا يزرع في واديها الموز لوفرة المياه فيه وعقبة الوادي المطلة على ريده غاية خضراء لا ترى حجارها من كثرة ما عليها من الشجر وتكافئه وفيها بعض شلالات من المياه تتدفق إلى الوادي على الدوام وقد قال بعض الأهدفاء من تيسر له الوصول إليها إن ظلام الليل يبدو في القرية والعقبة أبكر مما يبدو في غيرها من القرى بمبالغة منه لما على العقبة وفي القرية من أشجار متكاثفة متشابكة قاتمة الخضرة .

يدخل أحد حصونها ، ولا يلوح في الأذهان أن يظفر عدو بفتحها .

لجأ الأمير محمد إلى ريدة ورتب حصونها برجال اختارهم من كل قبيلة جعل لكل واحد منهم شهريا خمسة ربالات وأخذ عايهم وعلى من معه من الرؤساء العهود والمواثيق على المناصحة والمصاهرة .

كان محمد رديف باشا قد استمال بعض رؤساء القبائل منهم لاحق بن أحمد الزيدان فانه ركن إلى الترك وأقام معهم في السقا فأخذ بواسطته يرأس الأمير محمدا ويدعوه للتسليم والإذعان وبذل له الأمان والسلامة عما يخشى ، وكاد الأمير يركن إلى ما دعا إليه إلا أن بعض من معه من الرؤساء أشار عليه أن يبعث أولا بأخيه سعيد فبعث به بعد أن تعهد لاحق المذكور بالسلامة له من كل أذى أو مكروه .

خرج سعيد لملاقاة الباشا والمفاوضة معه وما أن وصل الخيم حتى أمر الباشا بالقبض عليه وحبسه مثقلا بالحديد غير مبال بما بذله من العهد والضمان وعاد إلى مهاجمة ريده وضربها بالمدافع بكل شدة وقوة .

دام ذلك منه بضعة أيام دون أن يحصل على فائدة أو ينال من في ريدة منه أى ضرر ، فلما أعياه الأمر ورأى ألا فائدة من الاستمرار في إطلاق المدافع أفرز كما يقول مؤرخنا ثلاثة طواير من جنوده المعسكرة في ثغر القنفذة ركبوا منها البحر إلى أن خرجوا من الشقيق يرأسهم أحمد مختار باشا ويدلهم على الطريق رجل من أهل حلى بن يعقوب يدعى عمر بن عبد الله إلى أن وصل ريدة مما يلي الغرب ، وبوصولهم استأنف القتال ومهاجمة ريدة جيش أحمد مختار من الغرب وجيش محمد رديف باشا من الشرق ، دام القتال نحو خمسة أيام بكل شدة وقوة أرعبت قلوب من في ريدة من الناس والمقاتلة وبدأ الفشل يتسرب إلى قلوبهم ، وأول من خان الأمير أقاربه ، والأقارب عقارب ، كما يقول مؤرخنا رحمه الله ، فخرج منهم من كان في حصن شهران ثم خرج آل مقرح من حصنهم وطلبوا الأمان فأمنوا ، واضطرب من ذلك

من كان في حصن الأمير محمد نفسه وتزعزعت قواهم وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، ولم يقد فيهم تشجيع الأمير ولا استنهاضهم وتذكيرهم بالعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم بل نفروا كما يقول المؤرخ : غير مستمعين لكلامه ولا ملتفتين لللامه مع أنه لم يعلم أن انساناً واحداً قتل منهم .

حاول المخذلون في حصن الأمير أن يهربوا ولكن أفي لهم ذلك وقد أحاط الترك بريده من سائر جهاتها ولم يعد لهم منها مخلص ، فانضموا إلى من سبقهم بطلب الأمان من أهل الحصون الأخرى وتأمنوا وانحازوا إلى الترك .

نهاية سيئة - غدر واستسلام

نظر الأمير فلم ير معه في الحصن غير عبيده وخاصته وحدهم ولم يكن بد من الاستسلام فطلب من أحمد مختار ذلك وعرضه عليه بشروط منها أن يكون آمناً على نفسه وأهله فأجاب به إلى ذلك وسلم الأمير نفسه ، ودخلوا معه الحصن فلما تمكنوا من كل ما أرادوا نقضوا العهود التي أمضوها وقبضوا على جميع من استأمن منهم في الأول والآخر ، ونزعوا سلاحهم وأوثقوهم كثافاً وأخرجوهم إلى سجن ريده في أسوأ حال ونزل محمد رديف باشا من السقا إلى ريده وكان دخوله إليها في اليوم الذي دخلها فيه أحمد مختار باشا ، وما أن وقعت عينه على الأمير محمد جالساً بجوار أحمد مختار حتى أمر بالقبض عليه وحبسه دون التفات أو مبالاة بما قطع به أحمد مختار للأمير من العهد والميثاق ، وحبس معه نحو خمسة وثلاثين من رجالات عسرو رؤسائهم عدد مؤرخنا منهم اثني عشر وسباهم .

ويقول مؤرخنا :

ولما كان بين المغرب والعشاء أخرجهم من الحبس وقتلهم جميعاً وغان الله ورسوله .

كان استسلام الأمير محمد بن عايض في شهر صفر سنة ١٢٨٩ وكانت نتيجة الاستسلام ما ذكره مؤرخنا من قتله ومن معه غداً^(١).

عهد جديد - الحكم التركي في عسير

ظل الترك يحكمون عسير ويتصرفون فيها من ذلك التاريخ إلى سنة ١٣٣٧ أي حوالي أربعين سنة ولكن حكمهم لم يكن حكماً صحيحاً بمعنى الكلمة فإن سلطتهم لم تكن تتجاوز في أغلب الأوقات فوهات بنادقهم وظلال ما يحتلونه من حصون ومعاقل، وكان نفوذ الحكومة قوة وضعفاً يتشى في أغلب الأحيان تبعاً لمزايا المتصرف الشخصية، والأمن العام والطمانينة بكادان يكونان مفقودين، فعاب السيل لا يسير إلا مسلحاً وقوافل التجارة لا تشي إلا محروسة بأهلها، وكثيراً ما تعرض العيار من عسير للجند في معاقبتهم يتخطفونهم طمعاً فيما في أيديهم من سلاح، ولم يتمكن ولا تتم إلى ما قبل متصرفية يحي الدين باشا في عام ١٣٣١ من إجراء أي عمل اصلاحى أو عمرانى إلا القليل مما تدعو إليه ضرورة الجند أو القتال.

(١) ما ذكره مؤرخنا وهو المواطن المعاصر يتعارض وما نقله صاحب كتاب قلب جزيرة العرب في ص ٢٥٥ نقلاً عن تاريخ اليمن ص ١٠٦ بأن زحف رديف باشا كان عام ١٢٨٥ ولم يذكر مؤرخنا أيضاً شيئاً مما قاله من توسط الشريف محمد ابن عون أمير مكة واستصداره فرماناً بالأمان من السلطان عبد العزيز بالعفو عن الأمير محمد بن عايض لم يعبأ به رديف باشا ولم ينفذه.

وفي الرواية بعض اضطراب يتنافيه الواقع لأن محمد بن عون كان إذ ذاك من سكان الأرماس، فقد كانت وفاته في عام ١٢٧٤ وحادث قتل محمد بن عايض وحصار ريدة كان على رواية مؤرخنا في عام ١٢٨٩. وقد وهم صاحب قلب جزيرة العرب فيما قاله إن حصار الأمير محمد بن عايض كان في أبها، والحقيقة ما ذكرناه وريدة تبعد عن أبها بقدر نصف مرحلة كما سبق القول. وهي في الصفاح الغربية لجبل عسير، أما أبها فهي في ما يلي الشرق منه

فلما تولى محي الدين بشا أخذ في إنشاء بعض المؤسسات فأقام في أبيها داراً للفرقة العسكرية ومقراً للحكومة وأسس لإدارة البلدية وبنى لها مكاناً خاصاً، وأنشئت مدرسة أولية لتعليم أبناء الموظفين الإداريين الأتراك كما بنى ثكنة للجند أطلق عليها «طاش قشلة» أي الثكنة الحجر، وأنشأ حول هذه المؤسسات وفي جوارها حدائق ومنتزهات نصب فيها فوارات بالماء وفاسقيات، وأحواضاً له وغرس سوق أبيها بالأشجار الباسقة، ومد المعاقل والحصون إلى منازل قبائل ألمع، وبنى بقرية الشحيين داراً للحكومة وغير ذلك مما جعل لها صفة الوجود ومظهره، واسكن أعماله هذه جماعات كما يقولون في الزمن الأخير فكانت كاشتغال الذبالة عندما تريد أن تلفظ أنفاسها الأخيرة.

محاصرة السيد الإدريسي لأبيها

من أهم الحوادث التي جرت في عسير السراة على عهد الترك محاصرة السيد محمد الإدريسي المتغلب على تهامة لأبيها مقر المتصرف، فإنه بعد أن اشتد ساعده وانتشر نفوذه في تهامة عسير - المخلاف السلياني - وتمكن من طرد الحامية التركية التي كانت في جيزان، أخذ يؤلب القبائل التي تسكن غربي جبل عسير ويستميلهم بالدين أحياناً وبالقوة أحياناً حتى تمت له الغلبة عليهم وأصبح نافذ الكلمة فيهم، فكلف عامله عليهم السيد مصطفى بمحاصرة أبيها وإخراج من بها من الحامية التركية، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٨.

نجدة الشريف الحسين

وظلت أبيها محاصرة نحو عشرة أشهر وكان المتصرف بها حينئذ سليمان شفيق ككالي باشا .. فانتهر الشريف مكة وأميرها في ذلك العهد الشريف الحسين بن علي هذا الحادث وعرض على الباب العالي - الحكومة العثمانية - أن يتوجه لفلك حصاراً بها ومعونة من بها من الحامية فوافقته الحكومة على ما طلب وأذنته بالمسير، وقد كان المشار إليه يهدف في هذا العرض لغايتين،

أولاهما أن يظهر أمام قبائل تلك الجهة بمظهر الزعامة والقوة ويشيع ذكره بينهم، والثاني أن تكون له هذه المعاونة والمعاونة رده أو زلفى لدى الحكومة التركية تبعاً عنه شبهة ما كان يدور حوله من إشاعات ومقاصد فيما كان ينويه ويطمح إليه .

سار الشريف الحسين من مكة عن طريق الساحل بحملة من المقاومة من عدة قبائل يصحبهم عدد وافر من الجند النظامي . وكان موفقاً فيما قصده ، فقد أزال الحصار عن أبها وتراجعت جنود الأدرسي عنها بعد أن مس من فيها الضنى والجوع بما كادوا معه أن يهلكوا .

ومن مساعي الشريف الحسين في سيره هذا أن وفق بين المتصرف سليمان شفيق وبين حسن بن محمد بن عايض أمير عسير السابق ، وكان ممن ما لاؤا الأدرسي وشاركه في حصار أبها واستصدر له أمراً من الباب العالي بأن يكون معاوناً للمتصرف المشار إليه وتعين له مرتب شهري يتقاضاه من الدولة في مقابل وظيفته هذه .

أنهى الشريف الحسين ما جاء لأجله ولم يعد من حيث أتى ، بل إتماماً للغاية التي يكنىها رجع إلى الحجاز عن الطريق الشرقى ماراً ببلاد شمران وبيشة وتربة حتى وصل الطائف (١) .

الحكومة العثمانية تتداعى

لم تكن الحكومة العثمانية في أخريات أيامها على حال يحمد الناس . فإنه بعد أن أعلن الدستور وخلع السلطان عبد الحميد منيت في داخلتها ، باختلاف الأحزاب وتنازعهم السلطة ، ودفع جنود الدولة إلى قتال بعضهم البعض مما زاد قواها المادية والمعنوية وهناً على وهن ، وأمسى معه كل فرد من أولى النفوذ في الحزب المتغلب على الحكم له السلطان المطلق مما صدق معه قول من قال :

(١) وقد سجل مسير الشريف الحسين هذا وذكر حوادثه المرحوم الشريف شرف بن عبد المحسن البركاني في كتاب سماه الرحلة اليمنية ، وقد اقتبسنا منه بعض مادتها إليه الياق .

كان عبد الحميد بالامس فرداً فذا اليوم ألف عبد الحميد
ونشأ مع هذه الفوضى جموح في النظريات والمبادئ. وميل عن منهج
الصواب في إدارة دفة الحكم في مملكة كالمملكة العثمانية مؤلفة من شتى
العناصر والأديان والقوميات ، وكان من آثار هذه الفوضى توتر في العلاقات
الودية والروابط المعنوية التي كانت قائمة بين عناصر هذه الدولة وطموح إلى
التخلص من نير الهيئات الحاكمة والعنصر المتسلط ، لم يعدم من دول
الاستعمار وحكومات الغرب من يغذيه ويذكي ناره وسميحه .

فلم تسكد تخلص الحكومة المشار إليها من محنة اعتداء حكومة إيطاليا على
ولاية طرابلس الغرب ، وانزعاجها منها ^(١) حتى تحزبت دويلات شبه
جزيرة البلقان . فأعلنت عليها الحرب التي انتهت بهزيمة الحكومة التركية وانزعاج
البقية الباقية التي كانت لها في شبه الجزيرة من الولايات والنفوذ وأصبح من
فيها من المسلمين عرضة للحيث والاضطهاد ^(٢) .

وقبل أن يحف دم القتلى من جنودها في تلك المعسعة التي لم يكن يتوقع
أحد أن تخرج منها مهزومة فوجي العالم بإعلان الحرب العظمى الأولى في
سنة ١٣٣٢ هـ الموافق سنة ١٩١٤ م وقضت ظروف الحال عليها أن تشترك

(١) كان اعتداء إيطاليا على طرابلس عام ١٣٢٨ هـ الموافق عام ١٩١١ م .

(٢) كان إعلان دويلات البلقان الحرب على الحكومة العثمانية عام ١٣٣٠ هـ
الموافق ١٩١٢ وأندكر أن أحد وزراء الانكيز قال في مبدأ الحرب أن جزيرة البلقان
لا تحتل تغير الوضع الحاضر أو ما في معنى ذلك يعني بهذا أنه لو انتصرت الحكومة
العثمانية فلا قيعة لا انتصارها وسيظل ما كان على ما كان ، فلما تغلبت دويلات البلقان
عليها واستولت على ما كان تحت حكمها من بعض المدن قال ذلك المتحدث نفسه
ليس من العدل أن يحرم المنتصر من ثمرة انتصاره . وهذا هو منطق الغرب
ودوله مع المسلمين إلى اليوم

والمرحوم أحمد شوقي قصيدة عصماء يرقى فيها المسلمين من سكان البلقان ويندب
ما حصل لهم مظلما :

يا أخت أندلس عليك سلام هورت الخلافة فيك والإسلام

فبها مع الألمان، وشاء الله أن تخرج منها غنذولة، فقد ثار عليها الشريف الحسين ابن علي أمير مكة، وانضم إلى معسكر الانكليز وحافائهم، وكانت ثورته ومعاونته الانكليز من أقوى العوامل التي أكسبتهم الحرب في الشرق الأدنى والوسط، واشترط الانجليز وحلفاؤهم فيما عقدوه مع الحكومة العثمانية من صلح أن تتخلي عن سائر البلاد العربية وأن تدعها لأهلها.

كان متصرف عسير في ذلك الوقت محي الدين باشا الذي سبقت الإشارة إليه وإلى ما أوجده في عسير من المنشآت العمرانية، وكان في ظروف عصيبة جعلته في ارتباك شديد يحسب كل صيحة عليه هم العدو مما أفقده بعض ما كان قد كسبه من امتنان أهل البلاد وارتياحهم إليه.

الحامية التركية في عسير تستسلم

لأنه بعد أن ثار الشريف الحسين في الحجاز وانقطعت الصلة بين عسير ومقر السلطنة ملأ سجون عسير بمن شك فيهم وارتاب في مريرتهم وساءت الحالة المالية، فامتدت يده إلى أموال من تطولهم من التجار، فقد ذكر لي بعض أهل رجال، أن ما استنزفه محي الدين من أبيه بلغ ستة آلاف جنيه ذهباً يجعل هو الآن سنداتها حبراً على ورق، وأنه أخذ من غير أبيه مثل ذلك وأقل وأكثر.

وفي شهر ربيع من سنة ١٣٣٧ تبلغ محي الدين باشا الأوامر السلطانية باخلاء عسير عن طريق الانكليز وعن يد السيد محمد الأدرمي ورسله داخل مظروف كبير مختوم بالشمع من سائر أطرافه كما وصفه لي محدثي، وكان الباشا إذ ذاك مريضاً، أو متوعلك المزاج، فهبط من السراة إلى الشقيق على الساحل محمولا في عفة على أكتاف الرجال أحيانا وعلى ظهر الجمال أحيانا.

وصل الباشا والشقيق، وبمعيته أفراد الجالية التركية من الموظفين الإداريين الذين كانوا في عسير ومعه سائر القوة النظامية العسكرية وعددهم

لم يتجاوز الثلاثة آلاف كما قال محدثي . هبطوا إلى الشقيق بما نهبوا لهم حمله من خفيف السلاح والعتاد الحربي وتركوا ثقيله ومعظمه في عدير تفعل به ما تشاء .

ومن المعلوم بالضرورة لما سبق ذكره أن الذي سيتلقى حامية عدير التركية على الساحل لتقلهم من البلاد بواخر انجليزية ، وأن المندوبين الذين سيشرفون على عمليات تسليم البلاد لأهلها مندوبون انكليز . كما أنه من المعلوم أيضاً أن الذي سيرث ما مع الجيش التركي من العتاد والسلاح هو السيد محمد الادريسي بتمتضي ما بينهم وبينه من معاهدة ، فإن السيد كان أول من أجاب الداعي من أمراء الجزيرة في أثناء قيام الحرب العظمى الأولى ، وبعد المساعدة وعقد مع الانكليز في سنة ١٩١٥ م معاهدة حلف وصدافة .

اطماع وآمال

لم يكن ما تسلمه السيد من الحامية التركية المغادرة بالنسبة إليه الشيء القليل . فطافت في رأسه الآمال والآمال بضم منطقة السراة إلى دولته وحكمه أو على الأقل نفوذه وموالاته وهو أمل قديم من حاول تحقيقه في عهد الأتراك فلم يوفق .

وهي رغبة بعد أن كانت شهوة أصبحت ضرورة يتحتم تحقيقها لما أصبح عليه وضعه الجغرافي بعد التطور الجديد في الجزيرة ، فقد أمست مملكته بين شقي مقراض ، فمن يمينه الدولة الإمامية المتوكلية ذات العلاقات العريضة والنفوذ القوي في إقليم تهامة عسير في العهود السابقة . وعن شماله قامت الحكومة العالية الهاشمية الناشئة بما لها من مطامع وآمال في أن تكون حدودها من عدن جنوباً إلى جبال طوروس شمالاً ، فإذا لم تكن السراة به محكومة أوله موالية يحمي بها ظهره على الأقل ، فإن العاقبة ستكون عليه جد وخيمة ولا سيما أن الانكليز في المعاهدة التي عقدها معه سنة ١٩١٥ وتجددت سنة ١٩١٧ واعترفوا له فيها بالسيادة من حدود القنفذة شمالاً إلى اللحية جنوباً لا تنص إلا على

حمايته ، وحماية هذه الحدود من تعدد خارجي يحصل من غير أهل الجزيرة أما ما يأتيه من الداخل فأمره فيه موكل إلى الله .

آل عائض يتحررون

كان السيد يفكر فيما ذكرت ويعمل الرأي والحيلة لتحقيقه وكان آل عائض ورؤساء عسير يعقدون الاجتماعات ويتداولون الرأي والمشورة فيما يصنعونه بعد أن أخليت البلاد من الأتراك وضعفت منعتها فلم يكونوا في وضع يختلف عن وضع السيد بل أشد ، لأنه منذ أواخر عهد محي الدين باشا قد هبت من ناحية المشرق هبوب تعاليم الإصلاح بيناء المسجّر ووصلت إلى قبائل حطّان وأطراف شهران المصافين لمير وتسرب نفوذ آل سعود إلى بيضة النخل وما حولها ..

وبعد مداولات وأخذ ورد في الرأي والمشورة تقرر بينهم أن يسافر محمد بن عبد الرحمن بن عائض إلى الشريف الحسين بن علي بمكة ويعقد معه اتفاقية تجعل إمارتهم على سلطانه وشوكته

عسير تحت الحماية الإدريسية - اتفاقية صديا إليها

في أثناء تداول رجالات عسير للرأي والمشورة كانت مكاتبات السيد محمد الإدريسي ورسله للمفاوضة غادية رائعة ..

فقد جاء لأهـا السيد نجم الدين ثم لحق به الشريف حمود والسيد محي بن عرار وأقاموا بها أياماً ، وعسير تطاول وتدافع بالتى هى أحسن ريثما يقر قرارها على أمر تهزم به .

سافر محمد بن عبد الرحمن إلى مكة وانفرد الحسن بن محمد بن عائض بتدبير الشئون في عسير ريثما ينتهى محمد بن عبد الرحمن عما ذهب لأجله . والحسن هذا وإن كان لا يزال فتيا ويكرهه فى السن محمد بن عبد الرحمن إلا

أنه وهو سليل الأمير السابق من آل عايض وهو الذي كان يحمل لقب معاون
الباشا المتصرف في عهد الترك كما سبق القول ، فإنه المرموق بالامارة من عسير ،
ويظهر لي أنه لم يكن قوى الطموح ، وكان ميالا إلى الدعة وحب السلامة
وشعوره بالتابعة في عهد الترك لا يزال على حدته .

فتحت تأثير الوفد المقيم عنده من أهل تهامة والباح السيد الإدريسي وغيبة
محمد بن عبد الرحمن رأى الحسن وبعض مشايخ عسير أن ينزلوا إلى صيدا حسب
طلب السيد محمد ويتفاوضوا معه في الأمر مباشرة دون انتظار ما يأتي به محمد
ابن عبد الرحمن من مكة .

نزل الحسن ومعه بعض المشايخ من قبائل عسير وصحبهم من كان لديهم
موفدا من السيد الإدريسي إلى صيدا وما إن اجتمعوا به وفارضهم فيما عرضه
عليهم من الارتباط به والتابعة له حتى تأثروا بأسلوبه وبيانه ووافق الحسن
على ما يريد ، وأعان السيد على انجاز المهمة بسرعة طقس تهامة الحار وما
فيها من شدة الومد^(١) الذي لا طاقة لأهل السراة باحتماله طويلا ، والقول بأن
السيد الإدريسي بعد أن وافقه الحسن على ما يريد خصص له مرتباً شهرياً قدره
خمسمائة وألف ريال فرنسي حاجر من حاجر كما يقول أهل هذه الجهات

يقظة وتحرك

تم الاتفاق ورجع الحسن بن علي بن محمد بن عايض إلى السراة أميرا
بصحبه إبراهيم الشوكاني ، مندوباً سامياً من الدولة الادريسية في المقاطعة السروية
وظل هذا الحال إلى نهاية سنة ١٣٣٧ سافر في أثناءه المندوب المشار اليه وترك
أخاه يحيى وابنه القاسم نائبين عنه ، واذ ذاك كان قد رجع من مكة محمد بن
عبد الرحمن وادم الأنف بما استنشقه من كالات حسيات تعطفات صاحب
الجلالة الهاشمية بها ، على حد تعبيرات أمين الريحاني

كما قد خف عن الحسن ورجالات عسير الذين صحبوه في مفاوضته للسيد

(١) الومد شدة الحر مع سكون الريح .

الإدريسي أثر وعدم تهامة وتلاشي سحر بيان السيد ، وبطل أثر ما وشجعهم به من العزائم والتمائم بما شمه حسن من نسيم السراة البارد ومنهات ما مارسه من التصرف والسلطة

فلما أن طلب السيد محمد الإدريسي بمقتضى حق الحماية والولاية وما سبق من الاتفاق أن يبعث إليه الحسن بما تركه الجيش التركي من سلاح وذخيرة وما استئقل حمله من مدافع عند انسحابه أو على الأقل أن يبعث إليه بالثلثين ويترك لديه الثلث لم يرق ذلك لرجالات عسير ، فأرسل الحسن من طرفه وفدا من ثمانية مندوبين فيهم عمه عايض وابن عمه ناصر وبعض رؤساء القبيلة عليهم يثنون السيد عن رغبته في الاستحواذ على ما تركه الجيش التركي من سلاح وعناد ولكن الوفد لم يوفق ، فعاد عايض وعاد معه عبد الله بن حسن وظل الباقون من الوفد عند السيد ، وتلفت حسن ومن معه فلم يجدوا ما كانوا يحدونه حولهم على عهد الترك من جند شاكي السلاح بوجوب الرضا والقبول بل وجدوا مندوبا لا يملك من الخول والقوة شيئا فأجمع رأي الكل على التمرد وخلع حسن ما لبسه من رداء الطاعة للسيد الإدريسي ورفضوا طلبه للسلاح واستقلوا ، فتوترت العلاقات بين الطرفين واحتجز السيد من بقي عنده من وفد المفاوضة ، وقطع ما كان يرد إلى السراة من الثغور والسواحل التي تحت إمرته من ميرة وتجارة ولكنها كانت وميلة ضعيفة ، فالحاجة تفتق الخيلة ونفر القنفذة الهاشمي مفتوح لعسير عن طريق محابيل تجلب منه ما تريد ، فلم ير السيد بدا من استعمال القوة وإعلان الحرب بالسلاح ، فجمع ما لديه من المقاتلة وكانوا خليطا بعضهم من مرتزقة الصومال وبعضهم من أهل تهامة ، وشاركهم قسم من قبائل ألمع ، فان علاقتهم بالسيد كانت حسنة وأثر دعوته قائم لديهم من عهد الترك .

معركة التحرير

سار الجيش الإدريسي من جهة بلاد ألمع وقرى رجال والشعبيين عن

طريق وادى العوص وعقبة الصماء ، وعلم العسيرون بذلك فخرجوا للملاقاة وقتاله ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين فى سطح جبل تهال وانتهت المعركة بانهزام جيش السيد محمد الإدريسي وتراجعته .

ولم تكن عسير لتقتصر فى دفاعها على السيف وحده بل وجدت فى صفوفه هذا الجيش المختلط منافذ لقبول البراطيل فلم تتأخر ، وكان للذهب والفضة دورهما وجميل أثرهما فى هزيمة الجيش وتراجعته .

فشلت الحملة الحربية كما فشلت المفاوضات وأسقط فى يد السيد وتبين له أن الصوماليين مرتزقة وغرباء عن البلاد ومسالكتها وأهل تهامة لا تقوى طويلا جلودهم المفلوحة بحرها على احتمال قر السراة وبردها ، وقبائل ألمع وإن كانوا شديدي البأس ويحبون السيد إلا أنهم من أرومة قبائل عسير وهم لأبوصرة السلطانى المرتكش^(١) أكثر حبا وانجذابا .

الادريسي يستعدى آل سعود

أعمل السيد فكره كثيرا ، وأخيرا ألحمت المقادير ، بما كان تمهيدا وتوطيدا لما تجلى فى النهاية ، وهدته لأن يلجأ إلى قلب الجزيرة وأسدها الرابض هناك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فقد كان على صلات حسنة معه ومراسلات وتواد .

عبا السيد ما يلزم لمثل ذلك وكتب رسائل المودة والأشواق ولم تغل فى تضاعيفها من ذكر مسألة عسير السراة وما كان من أهلها واتصالهم بأشد الأعداء والساعى لأن يكون زعيم الجزيرة الأكبر وما لديهم من سلاح وذخائر خلفها الجيش التركى .

ولم يكن آل سعود فى غفلة عن ذلك أو أنهم نسوا سابق العلاقة بعسير ولكنهم مشغولون بمعالجة ما هو أكثر أهمية ، فالحسين ملك مكة لا يزال يرعد ويبرق ، وابن الرشيد العدو التقليدى والمنافس المشاكل لا زال قائما لا تؤمن غوائله .

(١) يسمون الريال الفرنى فى عسير هكذا .

أما وقد خذل الله جيش الشريف الحسين ملك مكة في واقعة تربة ذلك الخذلان المشين وورث السعوديون جميع ما كان معه من عتاد وسلاح جاء به من المدينة المنورة بما تركه الجيش التركي المنسحب منها واشتغل آل الرشيد بفتنة وادي السرحان والجوف وقعها وجاءت رسل السيد الإدريسي تبذل الموالة والصداقة والمخالفة فقد حان الوقت وطاب للاتصال بالعسيرين ، ومرعان ماتحولات القوة المغناطيسية لاجتذاب عسير من السيد محمد الإدريسي في الغرب إلى آل سعود في الشرق فكانت المكاتبة والتواد وتذكير عسير بسابق العهد وما كان بين الأجداد من صلوات وروابط .

ولكن كل ذلك لم يؤثر ولم يحد ، لأن مغريات صاحب الجلالة الهاشمية بمكة قد نفخت أوداج آل عايض وأملتها غرورا وازدادت اتعاشهم بما أوتوه من نصر على جيش السيد الإدريسي فظنوا كل سمرا . ثمرة وأبوا على ابن سعود ما أراحه ورفضوا ما عرضه عليهم من صداقة ، كل هذه الحوادث جرت في غضون سنة ١٣٣٧ و ١٣٣٨ .

عسير تستنجد بعبد العزيز آل سعود

ولم يعدم ذو الغاية وسيلة ، فقد جاء إلى الرياض من رؤساء العشائر والقبائل من يشكو سوء إدارة آل عايض وعسفهم ويطلب التوسط لرفع مظالمهم فتوسط عظمة السلطان عبد العزيز بن سعود ورفض حسن بن عايض الوساطة ولم يكن يد من إنصاف المظلوم ونصرة المستجير ، فتجهز في أواسط سنة ١٣٣٨ جيش من الرياض بقيادة الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي يقصد عسير .

نجدة آل سعود لعسير

وصل ابن مساعد بجيشه إلى يثبة وكتب إلى عسير يدعوم للاتفاق والدخول في الطاعة فلم يستجيبوا إلى ما طلبه وكان جوابهم أن بعثوا مع

الرسول مشطاً من الرصاص ومعناه الرفض والاستعداد للقتال كما قاله محدثي .
زحف ابن مساعد بجيشه إلى الخضراء من بلاد شيران وكانت الدعوة
الإصلاحية الأخيرة قد تسربت إليهم من أواخر عهد الترك وعلم العسيريون
بذلك فجمعوا الجوع وحشدوا المقاتلة ، وقبل أن يصل ابن مساعد في زحفه
إلى قرب أبيها بادرت فرقة من الجيش العسيري على رأسها محمد بن عبد الرحمن
ابن عايض إلى وادي حجلة وراجلت هناك ، وبعد يومين من وصول القوة
إلى حجلة بدت طلائع الجيش الزاحف ولعلع الرصاص من الجانبين ودارت
معركة عنيفة انتهت بهزيمة القوة العسيرية وتراجعها إلى أبيها .

لم يجرؤ الجيش النجدى على ملاحقة المنهزمين والتقرب من أبيها لما توهمه
فيها من القوة والمنعة ، على أن رؤساء عسير من آل عايض بعد اندحار جيشهم
في حجلة دب الخلع في قلوبهم وتطرق إليهم الفشل فع أخذهم في تحصين أبيها
وإعداد وسائل الدفاع عنها صاروا يتقلون منها أمتعتهم وما يعز عليهم من أهل
ومال إلى الجبال الخارجة عن نطاقها ، أوجب الذعر في قلوب سكان أبيها
ومن بها من المقاتلة .

احتلال أبيها

وصل إلى علم الجيش النجدى الزاحف حقيقة الواقع في أبيها وما عليه
أهلها فزحف بقصد الاستيلاء عليها وتم له ذلك ولم تغد في صده عنها مدافع
حصن ذرة التي كانت تطلق منه جزافاً .

دخل جيش التوحيد واخوان من طاعاقه أبيها عنوة وأعانهم على أعمالهم
بها من انضم إليهم من القبائل المتاخمة من رواد المغانم والكسب وقتل في ذلك
اليوم الكثير من الأبرياء والمستضعفين من سكان أبيها ، ودماؤهم كما قال محدثي
أعلق بأعناق آل عايض منها بأعناق الجيش الفاتح فقد كانوا منعوم ما أرادوه
من الخروج والبعد عنها .

استولى ابن مساعد على أبيها وهرب آل عايض إلى ملجئهم بحرملة ، وكان

السيد الإدريسي في إبان توتر العلاقات بينه وبين عسير قد استبقى قسما من وقد المفاوضة كاسبق القول ، فلما تطورت الحوادث إلى ما انتهت إليه وتبدلت الرسائل والرسائل بينه وبين ابن مساعد بعد فتحه أبها بحث إليه بمن كان عنده من رجال الوفد العسيري إلا ناصر بن عبد الرحمن بن عايض فانه ظل في صيدا بناء على حادث قتل وقع منه لأحد جنود السيد الإدريسي .

استسلام آل عايض - إكرام ونصيحة

فلم ير حسن ومن معه من آل عايض فائدة في اعتصامهم بحرملة بعد أن لحقهم من الفشل والهزيمة ما لحقهم فتقدم لابن مساعد مستسلا وقبل ابن مساعد منه ذلك ، وطلب عظمة السلطان عبد العزيز بن سعود بحبي حسن وابن عمه محمد ابن عبد الرحمن إلى الرياض فأسافرا إليها وأكرهما عظمته وأحسن وفادتهما ووصلهما بالجواز والهباب وقال لهما :

« ما تخيلنا أبداً عنكم يا أهل عايض ، وعندما سأل الترك الشريف عبداً الله ابن عون أن يهاجمكم وينكل بكم أرسل الشريف يستنجد عني الإمام عبداً الله فأجابه - ابن عايض رجل منا فكيف نساعدك عليه ،

العهد السعودي الزاهر في عسير

ثم عرض إمارة عسير على حسن بالشروط التي تقيد بها أسلافه فاعتذر عن قبولها وبعد أن أقاما في الرياض نحو شهر سمح لهما بالعودة إلى أبها فعادا إليها وأنزويا في قريتهم حرملة ، وفي أثناء ذلك جاء صالح بن عبد الواحد من طرف الامام عبد العزيز بن سعود وأتى بناصر بن عبد الرحمن من صيدا إلى أبها ، وكان السيد محمد الإدريسي قد استبقاه بدعوى حادث القتل الذي وقع منه كما سبق القول .

انقلاب وثورة

لم يبق ابن مساعد وجيشه طويلا في أبها بل رحل عنها وأقيم شوش

الضوريحي أميراً ومعه حامية من بعض الإخوان ، شكوا أهالي أبها من بعض تصرفاتهم فأبدل عظمة السلطان عبد العزيز الشويش بعبد الله بن سويلم وتكررت شكوى أهالي أبها فأبدله بعبد العقيلي .

دامت الحامية النجدية وأميرها بضعة أشهر في طمأنينة وسلام إلا أن أسباب الشكوى لم تنقطع بتعديل الأمراء ، فقد كان بعض الجند من متعصبة الإخوان بالنون أهالي أبها بالاحتقار والإهانة ، مما ضاقوا معه ذرعاً واستهانوا بأمر الحامية فثاروا عليها وحصروها في القصر الذي هو فيه ، ثم ذهب بعض رجالات عسير إلى الحسن في حرمة وما زالوا لديه حتى وافقهم على المحي . إلى أبها ومشاركتهم فيما فعلوه .

جاء الحسن أبها ولكنه كان خائفاً من وخامة العاقبة ، وكان الجند المحاصر من الحامية قد سمع الحصار وضاق به فعرض أميرهم الدعيلي على الحسن الصلح بأن يرفع عنهم الحصار ويتركوا له أبها على شرط أن يدعهم يخرجون بسلاحهم ، فوافقهم على ذلك وأن يأخذوا ما أرادوا على شريطة أن لا يبقوا حتى ولا في حدود عسير ، ولا يتعرضوا لأحد من قبائلها بغزو ولا قتال ، فوافقوه على ما اشترط ، وبارحوا أبها ولكنهم لم يبقوا بما تعهدوا به ، بل ظلوا في شهران وهي موالية لم على مقربة من أبها وأخذ أميرهم العقيلي يجمع الجروع من موالى آل سعود في الجهة التي هو بها ويتعرض لقبائل عسير بالغزو والإغارة في الوقت بعد الوقت .

وفي إحدى الوقائع التي كانت تجري بينهم استطاع العسيريون القبض على العقيلي وأسرته وحرق قرية نخيس مشيط والإمعان في بلاد شهران بالغزو والنهب .

كان وقوع هذه الحوادث في إبان اشتغال الرياض وانهاك من بها في شأن آل الرشيد والقضاء عليهم ، ولكن بعد أن عاد الأمير سعود بن عبد العزيز من عملية حصار حائل يسحب معه عبد الله المتعصب أميرها المستسلم وأطمئنهم بعض الشيء . بما وقع بين آل الرشيد من الخلاف والنطاحن منحت الفرصة

لرد عسير إلى الطاعة، فجهز عظمة السلطان عبد العزيز جيشاً عرمرماً جعل على رأسه ابنه الأمير فيصل وسيره على عسير .

فيصل بن عبد العزيز السعود يفتح عسير

جاء جيش الفيصل واحتل أبها دون كبير عناء ولجأ آل عايض إلى حرمة البرة الثانية ، ولكنهم لم يستطيعوا البقاء فيها طويلاً فقد لاحقهم الجيش الزاحف واضطروا أن يهربوا منها ويلجأوا إلى مكة يستجدون صاحب الجلالة الهاشمية ويستمدون عوناً ونصرة .

ولم يتأخر جلالتهم عن المساعدة والانتصار فجهز قوة نظامية على رأسها حمدي بك ومعه جيش من أخلاط القبائل أميرهم الشريف عبد الله القرع .

سارت الحملة الهاشمية وسار معها الحسن بن عايض ومن معه من رجال آل عسير يقصدون تخليص أبها وإتقاذها ، جاءت قوة الشريف أو قوة الشعير كما سماها العسيريون فيها بعد وأخذت طريقها إلى السراة من جهة منازل قبيلة بللحمر عن طريق الساحل وتمكنت من الوصول إلى قرب أبها وأخذت تطلق المدافع على من بأبها من الحامية الجديدة .

لأن الأمير فيصل بعد احتلاله أبها وطرده آل عايض من حرمة لم يبق بها طويلاً بل أقام فيها بن عفيصان أميراً ومعه قنطرة وافر من الحامية ثم رحل . ظلت المناوشات بين القوة الشريفة العسيرية وبين الحامية مدة مات في أثناءها ابن عفيصان وخلفه بن جيفان ، ثم جاء بعدها عبد العزيز بن إبراهيم أميراً على أبها .

نهاية إمارة آل عايض

كان بن إبراهيم حازماً قوى الشكيمة شديد البطش في القتال مع شئ من الدهاء وحسن التصرف مما أدى إلى تفشل الحملة الهاشمية وتراجعها القهقري إلى جهة

محايل والقنفذة وتخلص حسن بن عايض ومن معه من أبناء عمه من الارتباط بها وجاء إلى حرمة عن طريق محايل وقرية رجال . وطلب أن يوصله الأمير عبد العزيز إلى مقره بحرمة لتأكيد صدق الوعود ففعل الأمير وجاء إلى حرمة وبذل ما اطمأن إليه الحسن وصحبه إلى أبها ، ولما كان العاقل لا يلدغ من جحر مرتين رأى الأمير عبد العزيز إبعاد الحسن عن أبها ، فأبعده ومعه بعض أبناء عمه مخفوريين إلى الرياض ، وعفا عنه عظمة السلطان مرة ثانية وأجزل له ولئن معه العطايا والمنح ، وعاش الحسن ردياً من الزمن في الرياض موفوراً له الإكرام والرعاية ، وسيبحث منها يوم يقوم الناس كافة للجزاء والحساب .

عاش السيد محمد الإدريسي إلى أن شهد مصرع عمير فقد كانت وفاته عام ١٣٤١ وقام بالأمر بعده ابنه علي كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند الكلام عن مدينة صبيا في قسم الرحلة إلا أن خاتمة الإدارة عام ١٣٥٢ .

كانت هي خاتمة آل عايض عام ١٣٤٢ ، وهم الآن محجوزون بمكة موفور لهم العطاء والمخصصات الشهرية ، ولم يمكن ما جرى غير منتظر ، فإن الثور الأغبر أكل يوم أكل الثور الأبيض .

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغام فيما تصيده

وهذه النتائج إن كانت من سوء حظ أمراء هذين المنطقتين فإنها من حسن طالع العرب وبقية السكان من أهلها ، فقد علوت أنقاض أمارتها دعائم في بناء الوحدة المنشودة التي أصبحت الأمة العربية في أمس الحاجة إليها بعد أن ستم أهل الجزيرة الحياة وفي كل مدينة من مدنها أمير المؤمنين ومنبر .

وصار الواحد المتفرد في هذه الجهات يسير من ساحل البحر الأحمر في الغروب إلى حواشي الربع الخالي في الشرق آمناً مطمئناً لا يخشى غير عوادي السباع المفترسة بعد أن كانت الجماعة في القرية لا يخرجون للسمر عند بعضهم إلا مسلحين كما أخبرني بذلك بعض أهلها .

على أن حالة الحرب في البلاد لم تنته بعد ، وهي حرب أرجو الله وأسأله أن لا تنتهى وأن يزداد سعيها ، فقد أخذت الحكومة السعودية الحاضرة بعد أن توطدت أقدامها تنشئ المدارس في أمهات القرى من الأقليمين تهامة وسراة ، وهل المدارس الا حصون ؟ وهل كل تلميذ فيها يحمل كتابا غير جندي يحمل سلاحا لمحاربة الجهل وقتله ؟ الجهل هذا العدو اللدود الضارب بأطنابه والباسط جناحيه لا على عسير وحدها بل على أغلب أقسام الجزيرة ، والجهل هو الجرثومة لصنوبه الفقر والمرض يحلان حيث كان ، أن بلاد عسير كما سبق القول زمردة في طرف سلسلة جبال الحجاز الجنوبية ، وأهلها على أرض من الذهب ، ولكنهم لا يدركون ذلك ولا يشعرون به .

فسدده الله خطى الحكومة القائمة الآن ويسر لها المزيد بما هي بسبيله من نشر العلوم والمعارف ، حتى لا تكون بلدة ولا قرية إلا وفيها مدرسة تعلم الناس ما يجب لهم وعليهم ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون .

غادرت جيزان وما إليها بما كان معروفا في سالف العهد بالمخلاف السليمانى والأمير عليه الأمير خالد بن فهد السديري ، وبارحت أبها عاصمة عسير وما إليها والأمير فيها تركى بن فهد السديري ، والأمن يسود سائر مدينتهما وقراهما والطمانينة والاستقرار يشعلانها .

وأخيرا وقبل أن أضع القلم أقدم جدولا باسماء أمراء عسير السراة منذ قامت فيه الإمارة من أهله إلى أن انتهت ، مبينا المدة التي قضاها كل واحد منهم في الإمارة .

الأمراء من آل المتحمي من قبيلة ربيعة رفيدة

- ١- محمد بن عامر أبو نقطة تولى من عام ١٢١٥ هـ إلى عام ١٢١٨ هـ مات متأثراً بعلّة الجدري
- ٢- عبد الوهاب بن عامر تولى من عام ١٢١٩ هـ إلى عام ١٢٢٤ هـ مات قتيلاً في موقعة حربية مع الشريف حمود .
- ٣- طامي بن شعيب من عام ١٢٢٥ هـ إلى عام ١٢٣٠ هـ قبض عليه جيش محمد علي وسبق إلى مصر ثم قتل .
- ٤- محمد بن أحمد المتحمي من عام ١٢٣١ هـ إلى عام ١٢٣٣ هـ قبض عليه وهو مريض وقتل : على رواية ابن بشر في تاريخ نجد .

تحت الحماية
السعودية

الأمراء من بني مغيد - آل عايض

- ١- سعيد بن مساط من عام ١٢٣٩ هـ إلى عام ١٢٤٢ هـ توفى
- ٢- علي بن مجمل ١٢٤٢ ١٢٤٩
- ٣- عايض بن مرعي المغيدي ١٢٤٩ ١٢٧٣
- ٤- محمد بن عايض المغيدي ١٢٧٣ ١٢٨٨ قتل بعد الاستسلام في ريدته
- ٥- حسن بن علي بن محمد بن عايض ١٣٣٧ ١٣٤١ توفى بالرياض

بيان

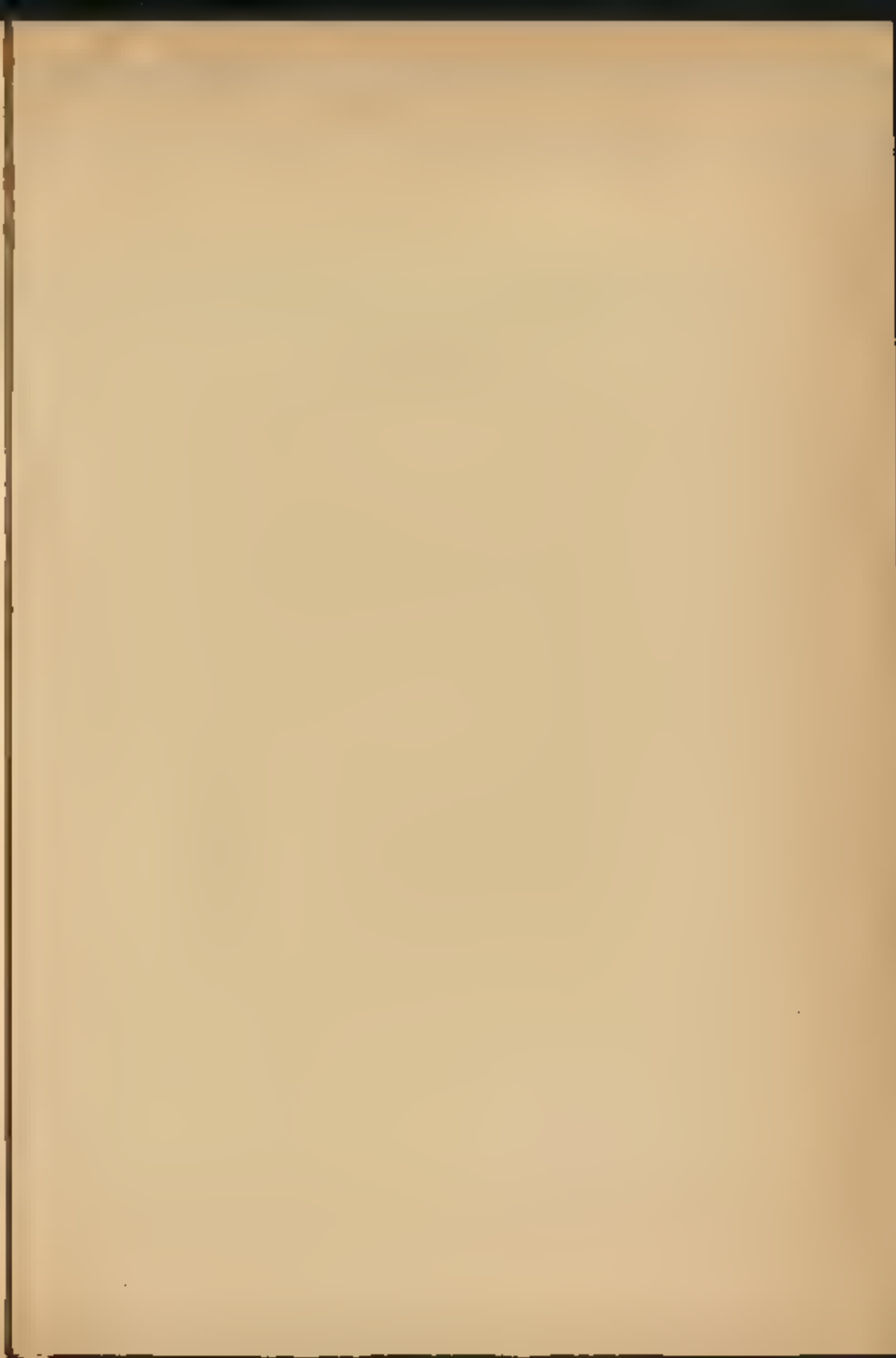
في الفترة من عام ١٢٣٣ إلى عام ١٢٣٩ هـ كانت عسير تحت احتلال جيش محمد علي باشا ومن والاه من أمراء مكة خلا بضعة أشهر في غضون عام ١٢٣٣ هـ فإنها كانت فيها تحت إمرة الشريف حمود أبي مسبار أمير أبو عريش كما سبق القول .

أما الفترة من عام ١٢٨٩ إلى عام ١٣٣٧ هـ فكانت عسير من الممالك العثمانية يحكمها متصرف من طرفهم على حسب ترتيباتهم في عائلتهم .

ومن عام ١٣٤١ إلى وقتنا الحاضر أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية والحمد لله أولاً وآخراً .



المؤلف



مراجع الكتاب

الكتب العربية

- ١ — نفع العود في سيرة الشريف حمود
- ٢ — كتاب البلدان للبعقري المتوفى عام ٢٨٧ هـ
- ٣ — معجم البلدان لباقوت
- ٤ — ما استعجم للبكري
- ٥ — صحيح الاخبار فيما جاء ببلاد العرب من الآثار للشيخ محمد بن يلهد
- ٦ — مبانك الذهب في انساب العرب للسويدي
- ٧ — عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر
- ٨ — تاريخ نجد الحديث للريحاني
- ٩ — ملوك العرب للريحاني
- ١٠ — تاريخ نجد للألوسي
- ١١ — اليمن للشيخ عبد الواسع اليماني
- ١٢ — جزيرة العرب في القرن العشرين للشيخ حافظ وهبه
- ١٣ — قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة
- ١٤ — في بلاد عسير
- ١٥ — الرحلة اليمنية للشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي
- ١٦ — عصر محمد علي لعبد الرحمن الراقي
- ١٧ — صفة جزيرة العرب للهمداني
- ١٨ — الأكليل الجزء العاشر

- ١٩ — مهد العرب للدكتور عبد الوهاب عزام (مسلسلة أقرأ) طبع مصر
 ٢٠ — معجم الأدباء لياقوت
 ٢١ — أمراء البيان لشكر د علي
 ٢٢ — النخلة البهانية في تاريخ البحرين للشيخ محمد خليفة البهاني
 ٢٣ — القاموس المحيط للفيروز آبادي
 ٢٤ — تقرير البعثة الأمريكية الزراعية عن المملكة العربية السعودية
 (سنة ١٩٤٣ م)
 ٢٥ — تاريخ العرب لسيدو ترجمة عادل زعيتر

الكتب الأفرنجية

١ — بالإنجليزية

D. O. HOGARTH : Arabia

H. ST. J. B. PHILBY : Arabian Highlands

٢ — بالألمانية

B. MORITZ : Arabien

عشرات واخطاء مطبعية

ص	سطر	خطأ	صواب
(١)		مضطلعا	مضطلعا به
٥	٢٣	ويتربع	يتربع
٩	٢	بضع	بضعة
١٤	٢١	الجهة التي لعمد فهي خالية	الجهة التي لعمد خالية
١٥	١٥	خمة مراحل	خمس مراحل
١٥	١٩	نأى	نأى
٢١	٩	عبد الملك	عبد المالك
٢١	٢١	لتصريف	لتصريف
٢٢	٣	مطحة	مطح
٢٨	١	لأسفل	الأسفل
٣١	٢١	سنيه	مينيه
٣٤	٣	السب	السبتة
٣٤	١٣	تشير	أشهار
٤٠	٢	الخمة عشر	الخمس عشرة
٤٨	١٦	فينا	فتيا
٥١	٢١	شنواة	شنوده
٥٤	١	بللحمر	بالأحمر
٥٥	٢٠	بالى	بال
٥٦	١	المعتد	المعتدة
٦١	٥	بللحمر	بالأحمر
٦١	٩	وادی	وادی
٦٦	١	ويحمل	وتحمل
٦٦	٢٠	الشرو والشرو	الشرو

ص	سطر	الخطأ	الصواب
٧٥	٩	الحفظه	الحفظيه
٧٦	١٠	ميزر	مئزر
٧٦	١٧	يتزر	يتزرن
٧٧	٧	مخرق	تخرقات
٧٨	٥	وهم كثير	وهن كثيرات
٨١	١١	رؤسهن	رؤوسهن
٨٤	٢٢	ويسيرون	يسيرون
٩٦	٣	وفي	وفي
٩٨	٢	حتى اتجار الشوك فقدمت	حتى أشجار الشوك أمست
١٠١	٦	الخسة والثلاثين	الخمس والثلاثين
١٠١	٦	أربعة وعشرين	أربع وعشرين
١٠٦	٣	أربعة وعشرين	أربعا وعشرين
١١٥	١٢	لما لم يالفوا	لما لم يالفوه
١١٦	١١	المنكسبه	المنكسبه
١١٧	٩	ريالين	ريالان
١١٩	٢٠	جلد	جلدا
١٢٠	١٢	والطريق	الطريق
١٢١	٢١	بنو شعبيه	بنو شعبه
١٢٣	١١	يخرطون	يخرطون
١٢٣	١٣	يملئون	يملأون
١٣٥	١١	عدى	عدا
١٢٧	٧	وأرض	وأراض
١٣٠	٧	صبا	صيا
١٤٣	٨	طرغام	ضرغام

ص	سطر	الخطأ	الصواب
١٣٧	٣	وابن عمه	وعمه
١٤٨	١٧	التجائه	والتجائه
١٥٠	٥	مرور الاسى	مرور يد الاسى
١٥٥	٢٢	لعروسة	بعروسة
١٥٥	١٠	لأقليم	الأقليم
١٥٩	٢	من التعدينه	المعادن
١٥٩	٢	عدى	عدا
١٨٠	١	جل	جبل

ولا يخلو الكتاب من غير ماذكر فالمرجوا اقبالها

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
تصدير	(١)
على طريقة أهالي عسير	(ب)
دوافع وبواعث	١
الاستعداد للرحلة	٤
في الطائف	٦
في تربة	٨
حادث تاريخي	١٠
إلى وادي رنية	١٤
قرية الروشن	١٦
وادي يشه	١٧
إلى الدرب : درب الخنيس	١٩
خنيس مشيط	٢١
وادي شهران وقبيلة شهران	٢٣
في أبها	٢٤
مدينة أبها	٢٥
سكان أبها	٢٩
نساء أبها أو حديث الزواج	٢٩
رد وتعقيب	٣٤
لباس الرجال	٣٥
ألعاب عسير	٣٦
اللهجة في عسير	٣٨

الموضوع	الصفحة
جو أبها ومناخها	٣٩
أودية أبها	٤٠
قبر ذى القرنين	٤٤
مزارع أبها وحدائقها	٤٥
أبها مركز النشاط الحكومى	٤٩
قبائل عسير	٥٠
ملاحظة وتعقيب	٥١
أهل الكهف أو موقى الكهوف	٥٦
أبها مركز مواصلات هامة	٦١
فى طريقنا إلى رجال	٦١
قرية السودا	٦٢
جبل تهلل — روضة ومفاتيح	٦٣
وادي العوص	٦٦
قرية الشعبين	٦٧
الوصول إلى رجال	٦٩
قرية رجال	٦٩
بيوت قرية رجال	٧٠
السوق فى قرية رجال	٧٤
سكان رجال	٧٥
تقاليد وعادات	٧٥
ألبسة الرجال والنساء	٧٦
لغة قبائل الملع ولهجاتهم	٨٠
حفلة زفاف	٨١

الموضوع	الصفحة
حفلة ختان	٨٤
المائدة الألفية	٨٧
مقبرة رجال وحفلات الماتم	٩٠
رجال في رجال	٩١
قرى قبيلة ألمع	٩٢
متوجات قبيلة ألمع	٩٢
قبائل ألمع	٩٣
جلسة محاكمة	٩٤
النحية الألفية	٩٥
إلى الوادي الحبيب	٩٥
أمنية وأمل	٩٦
العطلة المدرسية — إلى مكة	٩٧
روضة بن غنام	٩٧
العودة إلى رجال	٩٨
حاجة في نفس يعقوب	٩٩
رحلة الشتاء — إلى محابيل	٩٩
في محابيل	١٠٠
رحلة الربيع — إلى النماص	١٠٣
الرفيق قبل الطريق	١٠٤
وادي عبل	١٠٥
قبيلة بالاحمر	١٠٦
ذو العشرة	١٠٦
إلى منازل بالاسمر	١٠٦

الموضوع	الصفحة
جمال الطبيعة	١٠٧
بلاد بني شهر	١٠٨
التماض	١٠٩
حدود بني شهر	١١٢
رجال الحجر	١١٣
الحضارة تغزو	١١٣
في طريق العودة إلى رجال	١١٣
تقاليد وعادات	١١٣
استصفاهم كرها	١١٤
نظرة عامة	١١٥
الإقبال على التعليم في رجال	١١٦
حاجة القرية إلى طبيب	١١٧
العطلة الصيفية والرجوع إلى مكة	١١٨
مهمة جديدة - رحلة إلى تهامة	١١٨
في الطريق إلى الساحل	١١٨
درب بني شعبة	١٢٠
موضع الدرب	١٢٠
من هم بنو شعبة	١٢١
بنو شعبة اليوم	١٢٢
قرى بني شعبة	١٢٢
الزراعة والمزارع في الدرب	١٢٢
مساكن الدرب	١٢٤
عادات وتقاليد في تهامة	١٢٥

الموضوع	الصفحة
يش أو أم الخشب	١٢٧
النعمة الصغرى والنعمة الكبرى	١٢٨
المساكن والسكان في أم الخشب	١٢٩
في الطريق إلى صيا	١٢٩
في صيا	١٣١
حارات صيا ومساكنها	١٣٢
السوق في صيا	١٣٤
اللباس	١٣٤
أهالى صيا	١٣٥
اللهجة	١٣٥
الطعام وأوانيه	١٣٦
مناخ صيا	١٣٦
وادي صيا وقراه	١٣٧
الحاصلات الزراعية	١٣٧
عملية استخلاص القطران النباتي	١٣٨
إدارة الإدارة - نيم يتالق	١٣٩
أفول واضمحلال	١٤٥
الحماية السعودية	١٤٨
الى أبو عريش	١٤٩
بين الغابة والمزارع - فتنة وجمال	١٤٩
مدينة أبو عريش	١٥٠
الموز ينبت من قرون البقر	١٥٢

الموضوع	الصحيفة
السوق في أبو عريش	١٥٣
الى جيزان	١٥٤
في جيزان	١٥٤
مدينة جيزان	١٥٦
سوق جيزان	١٥٧
ماء الشرب في جيزان	١٥٨
معدن الملح في جيزان	١٥٨
مصطلحات وعادات وتقاليد	١٥٩
البرتقال الجيزاني	١٥٩
مجلس القات	١٦٠
جزيرة فرسان	١٦١
مناخ جيزان	١٦٤
في العودة إلى رجال	١٦٥
ضللتنا الطريق	١٦٦
روضة على ضفاف جدول	١٦٧
عسير في التاريخ	١٧٥
آل سعود في عسير	١٧٧
الدبلوماسية السعودية	١٧٨
إمارة محمد أبو نقطه	١٧٨
إمارة عبد الوهاب بن عامر	١٧٩
إمارة طامي بن شعيب	١٨٠
مصر في عسير	١٨٢

الموضوع	الصفحة
نهاية سينة	١٨٤
إمارة محمد بن أحمد	١٨٤
الشريف حمود يهتبل القرصة	١٨٦
حملة سنان أغا	١٨٨
سياسة اللامركزية	١٩٤
سيرة الشريف حمود المعروف بأبو مسمار	١٩٥
صلح واستسلام	١٩٨
محاولة انتفاض فاشلة	١٩٩
الفرصة السانحة	٢٠٠
خيبة أمل أو مجهود ضائع	٢٠٢
حقق يشور	٢٠٣
الالتجاء إلى الدرعية	٢٠٣
نتيجة المحاكاة	٢٠٤
الإمام سعود يستجيب لعبد الوهاب	٢٠٤
بدء المعركة (قتل عبد الوهاب واحتلال صيا)	٢٠٦
بعد إمارة طامى بن شعيب	٢٠٧
هزيمة الشريف حمود وهربه إلى أبو عريش	٢٠٧
حكومة صنعاء تحاول إعادة نفوذها	٢٠٩
أثر الدعوة الوهابية	٢١٠
عود على بدء	٢١٣
إمارة سعيد بن مسلط	٢١٥

الموضوع	الصفحة
امارة على بن مجتل	٢١٦
العساكر الالبانية في أبو عريش والحديدة	٢١٨
عهد الولاية أو امارة عايض بن مرعي	٢٢١
الزحف التركي على عسير	٢٢٢
تراجع الجيش التركي وأسبابه	٢٢٦
استقرار وتوسع	٢٢٦
الجيش يتدخل	٢٢٧
هزيمة منكرة	٢٢٨
ذهبت مثلاً	٢٢٨
الأوبئة في عسير	٢٣٥
الولاية بالإرث وامارة محمد بن عايض	٢٣٦
غزو الحديدة	٢٣٧
الجيش التركي يزحف على عسير	٢٣٩
دخول الجيش العثماني محابيل	٢٣٩
مفاجأة رجال المع وهزيمتهم	٢٤٠
خدعة وهزيمة	٢٤١
الحصن الأخير	٢٤٢
نهاية سيئة	٢٤٤
عهد جديد	٢٤٥
محاصرة الإدريسي لاهبا	٢٤٦
نجدة الشريف الحسين	٢٤٦
الحكومة العثمانية تداعي	٢٤٧

الموضوع	الصحيفة
الحامية التركية في عسير تسلم	٢٤٩
أطباع وآمال	٢٥٠
آل عائض يتحررون	٢٥١
عسير تحت الحماية	٢٥١
يقظة وتحرر	٢٥٢
معركة التحرير	٢٥٣
الادريسي يستعدي آل سعود	٢٥٤
عسير تسنجد بعد العزيز آل سعود	٢٥٥
نجدة آل سعود لعسير	٢٥٥
احتلال أبها	٢٥٦
استسلام آل عائض	٢٥٧
العهد السعودي الزاهر في عسير	٢٥٧
انقلاب وثورة	٢٥٧
فيصل يفتح عسير	٢٥٩
نهاية اماره آل عائض	٢٥٩
الأمراء من آل المتحمي وبنو مفيد	٢٦٢
بيان	٢٦٢
مراجع الكتاب	٢٦٣
جدول تصحيح الاغلاط	٢٦٥

ملحوظة : في نهاية الفهارس خريطة تقريبيه بأسماء القرى والأماكن التي
جرى ارتيادها

فهرست أعلام الأشخاص

١٤٨ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٣
الإدریسی ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و
٢٥٥ و ٢٥٧
آل الرشید ٢٥٥
اسکندر المقدونی ٤٤
الأشراف ١٢٢
الأصمعی ٥٢ و ١٧٥
الأفغانی — جمال الدین ٢١٢
آل الیاس ١٢٢
الآلوسی ٢١١ و ٢١٦
الآلمان ١ و ٣ و ١٤٤ و ٢٤٩
انکلیز ١ و ٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و
٢٤٩ و ٢٥١
أمین الریحانی ٢١٢ و ٢٥٢

(ب)

برکات ١٧٦
البستی ٢٣
ابن بشر ١٨٠ و ١٨٩ و ١٩٠ و
١٩٣ و ٢٦٣
البکری ١٣ و ٩١ و ١١٢
بیرس ١٧٦
بلقیس ٣

(١)

ابراهیم الحفظی الزمزمی ١٩٠
ابراهیم زین العابدین الحفظی ٢٣٦ و ٩١
ابراهیم اسلام ٩٧
ابراهیم باشا ١٨ و ١٨٩ و ١٩٠
الأتراك ٥٠ و ٥١ و ٥٤ و ١٠١ و
١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و
١٤٤ و ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٣٨ و
٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤٢ و ٢٤٤ و
٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥٢
أحمد السنوسی ١٤٧
أحمد بن عبیسی ٥٥
أحمد الإدریسی ١٣٩ و ١٤٠
أحمد الهمدانی ٨
أحمد الخواجی ١٤٢
أحمد بن حمود ١٩٣
أحمد الفلکی ١٩٥
أحمد بن حسین ١٩٥
أحمد یکن باشا ٢١٣ و ٢١٥ و
٢١٩ و ٢٢٦ و ٢٢٨ و ٢٢٩
أحمد مختار باشا ٢٤٣ و ٢٤٤
أحمد شوقی ٢٤٨
الادارة ١٣٤ و ١٣٩ و ١٤٧ و

(ت)

التار ١٧٥

الأمير تركي السديري ٢٤ و ٣٨

الترك ١ و ١١ و ٢٤ و ٤٦ و ٤٧ و

٤٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٨٥ و

١٠٥ و ٢٥٤ و ٢٥٦

تواشل ٢٢

(ج)

جمعة ١٧٧

جمال الدين القاسمي ٢١١

الجهيني ١٣٠

(ح)

حافظ وهبة ٢١١

آل حب ١٢١

الحبش ١٦١

آل حشان ١٢١

الحجاج ٥

حسن البهكلي ٦٩

الحسن بن خالد ١٨٣ و ١٨٦ و

١٨٧ و ١٩٩ و ٢٠١ و ٢٠٤

حسن شطا ٤٨

الحسن الإدريسي ١٤٥ و ١٤٦ و

١٤٧ و ١٤٨ و ١٦٣ و ٢٥٢

الملك الحسين بن علي ١ و ٥٤ و ١٤٤ و

٢١٣ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٤٦ و

٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥١ و ٢٥٤ و ٢٥٥

حسني باشا ١٨٥ و ١٨٦

الحسين بن محمد ٢٣٧

الحسن الحكيم ١٨٧

الحسن بن عطيف ١٨٧

حسن البهكلي ٢٠٩

الحسن بن علي بن عايض ٢٥٢ و ٢٥٣

٢٥٥ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠

٢٦٢ و

الحكم بن سعد ١٦١

الحسن بن عايض ٢٥٩

حمدي بك ٢٥٩

حمود الحازمي ١٤٥

حمود أبو سيار ٥٤ و ٦٩ و ١٢١ و

١٥١ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و

١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و

١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٣ و

١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و

١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٣ و

٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٠٧

حمد الشوير ١٤٨ و ٢٥١ و ٢٦٢

(خ)

الأمير خالد بن فهد ٢٦١

آل سعود ١٠ و ٥٥ و ٩١ و ١٧٧ و

١٩٤ و ٢١١ و ٢٥١ و ٢٥٤ و

٢٥٥ و ٢٥٨

الإمام سعود ١٨٠ و ١٩٤ و ٢٠٠ و

٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و

الأمير سعود ٢٢١ و ٢٥٨ و

ابن سعود ٢١٣ و ٢٥٥ و

سعيد بن مسلط ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٦٢ و

سعيد ٢٤٣ و

سلامان ١٠٧ و ١١٣ و

السلطان سليم العثماني ١٧٦ و

الصلبانية هـ

سليمان شفيق ١ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و

سليمان بن طرف الحكيم ٥٥ و

سليمان بن علي بن داود ٥٥ و

السمري ١٥ و

السيد مصطفى ٢٤٦ و

سنان أغا ١٨٨ و ١٨٩ و

السنود هـ

السويدي ٢٣ و ٥٢ و ٩٣ و

مسيدو ٢١٩ و

(ش)

شرف بن عبد المحسن ٢٤٧ و

شكري ٥٠ و

(١٩)

خالد بن لؤي ١١ و

الأمير خالد السديري ١٥٦ و

خليل أغا ١٩٣ و

آل خيرات ٥٥ و

(د)

دمس بن وهاس ٥٦ و

(ر)

آل الرشيد ٢٥٨ و

الرافعي ٢١٩ و

ربيع بن زيد ١٧٧ و

رشدي ملحق ٦٢ و

الرهاوية ١٢٢ و

الريحاني ١٦١ و ١٦٤ و ٢١٠ و ٢٢١ و

(ز)

زاهر ١٧٨ و

أبو زياد ١٥ و

زينب بنت يوسف هـ

زين العابدين الحفظي ٩١ و ٢٣٦ و

(س)

آل سرحان ٦٠ و

سعد هـ

السعودية ١ و ١١ و ٥٤ و ١٤٨ و

١٦٣ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٥ و

ابن شمیل ١١٩

الشغری ١٠٧

شویش الضویحی ٢٥٨

(ص)

صالح باخطمة ٢٤ و ٢٥

صالح بن عبد الواحد ١٤٨ و ٢٥٧

صالح قزاز ٦٧

صالح الفلقی ٢٠٢

الصبخة ١٣٢

الصديانية ١٢٢

صديق خان ٣١١

الصعب بن عبدة ٤٥

(ط)

طامي بن شعيب ١٨٠ و ١٨١ و

١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و

١٩٣ و ٢٠٧ و ٢٦٢

طوسون بن محمد علی ١٨٢

أبو الطيب غانم ٥٦

(ع)

الأمير عايض ٥٤ و ٢٢١ و ٢٢٢ و

٢٢٥ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٣٦

٢٥٣ و ٢٦٢

آل عايض ١ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و

٢٢١ و ٢٣٧ و ٢٥١ و ٢٥٢ و

٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٩ و

و ٢٦٠ و ٢٦٢

عبد الله بن عباس ٤٥

جلالة الملك عبد العزيز آل سعود

١٦٩ و ١٤٨ و ١٤٧ و ١١٧ و ٥٠

و ١٧٠ و ٢١٢ و ٢٥٥ و ٢٥٧

٢٥٩ و ٢٥٨

عبد العزيز بن أبو ملحمة ٢١

عبد العزيز أبرهيم ٢٥٩ و ٢٦٠

عبد المالك الطرابلسي ٢١ و ٢٤

و ٢٥ و ٦١ و ٦٧ و ٩٦

عبد العليم الاتامي ٧

عبد الله بن الحسين ١١ و ١٢

عبد الوهاب أبو ملحمة ٢١ و ٢٣

عبد الله الفعر ٢٥٩

عبد الوهاب بن عامر ١٧٧ و ١٨٠ و

١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و

٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٦ و

٢٠٧ و ٢٦٦

عبد الوهاب عزام ٥١ و ١٧٠

١٩٦

الشریف عبد الله الحازمي ٦٩

عبد الواسع الباني ٨٣

عبد الله بن عايض ١٠٦

عبد الله الدباغ ١٢٢ و ١٢٣ و

١٥٤

السلطان عبد المجيد ٢٣٧	على الإدريسي ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
السلطان عبد الحيد ٢٤٧	١٤٧ ، ٢٦٠
عبد الله بن عون ٢٥٧	على - أمير المؤمنين ٤٥
عبد الله ٢٥٧	على بن حسن ٥١
الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ١٧٧	على بن سليمان ٥٥
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،	على بن عيسى ٥٦
١٩٧ ، ٢٠٠	أبو عمرو بن العلاء ٥٢
عبد الله بن حسن ٢٥٣	على بن عبد الرحمن ٢٠٥
عبد الله بن سعود ١٨٩	على بن مجنون ١٨٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧
عبد الخالق الحفظي ٢٣٧	٢٢٠ ، ٢٦٢
السلطان عبد العزيز خان ٥٥ و ٢٢٧	على بن حيدر ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ،
و ٢٣٩ و ٢٤٥	١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٢٢
عبد العزيز بن عبد الرحمن ٢٥٤	على بن يحيى ٢٤٠ ، ٢٤١
عبد الرحمن الحفظي ٢١٨	عمر بن عبد الله ٢٤٣
عبد الواسع التائي ٢٣٣	عيسى فهد ٣٩٠ ، ١١٨٠ ، ١٧٠
أبو عبيدة ٢٣	٢٦٥
عبد العزيز بن مساعد بن جلوي ٢٥٥ ،	العقيلي ٢٥٨
٢٥٦ ، ٢٥٧	(غ)
الامير عبد الله المتعب ٢٥٨	الغامدي ١٤
عبد الله بن سويلم ٢٥٨	غالب بن مساعد ١٧٩ ، ٢٠٣
عثمان المضايقي ١٨٠ ، ٢٠٦	٢٠٦
٢٠٧	آل غنية ١٠٠
ابن عفيضان ٢٥٩	غيلان بن - ٨
عرار بن شار ١٩٦ ، ١٩٧	

المتوكل على الله ١٢١
 يحيى بن عرار ٢٥١
 آل مفرح ٢٤٣
 محمد بن بلعيد ١٣ و ١١٢
 يحيى الدين باشا ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥١
 محمد بن عبد الرحمن بن عايص ٢٥١
 ابن بجثل ٥٤
 محمد شطا ٣ ، ٢٦٧
 مجير الدين الأسعدي ٤٧
 محسن بن عباس ٢٣١
 عبد الدين الخطيب ٤٤
 محمد بن مفرح ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤
 محمد بن يحيى ٢٣٣
 محمد رديف ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٥
 محمد بن عون ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤
 ٢٢٤ ، ٢٤٥
 محمد بن أحمد ١٨٤ ، ٢٠٤
 محمد بن أحمد المتحمي ١٨٤ ، ١٨٥ ،
 ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٩ ،
 ٢٦٢

(ف)
 فؤاد حمزة ١٢ ، ٩١
 فؤاد أبو غزالة ٢١
 فايح بن ابراهيم ٩٢
 فهد العقيلي ٢٥٨
 فلي ٢٢ ، ٢٩ ، ٦٢ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ،
 ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٩
 فهد بن زعير ١٤٨
 الملك فيصل ٢١٣
 الامير فيصل بن عبد العزيز ٢٥٩
 فيصل بن سعود ١٨٢
 الشيخ فيصل المبارك ٦٧
 (ق)
 القائم ٢٥٢
 (ك)
 ابن الكلبي ١٦١
 الكلفود ٢١٨
 الكواكبي ٢١١
 (ل)
 لاحق بن أحمد ٢٤٣
 (م)
 مانجان ٢١٩
 آل المتحمي ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ،
 ٢٦٢
 المثني ٣٦

محمد بن هادي ١٢٦	محمد الإدريسي ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٣٩
محمد يحيى ١٤٥	١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤
محمد بن عامر ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩	١٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠
محمد المرقني ١٤٨	٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٠
محمد خليفة ١٦٢، ١٦٣	محمد البير ٦٧
محمد كرد علي ١٦٩	محمد الحربي ١١٨، ٤
محمد بن سعود ١٧٦، ١٩٤	محمد بن عبد الوهاب ٩١، ١٢١
يحيى الدين باشا ٢٤	١٧٧، ٢١١، ٢١٦
محمد بن عبد الرحمن ٢٥٧	محمد الغربي ١٤٥
ابن خالد ١٠١	محمد بن زيد ٩٤
محمد بن عبد الرحمن ٢٥١، ١٥٢	محمد عبده ٢١١
١٥٦	محمد راغب ١٤٣
مدني زكري ١٣١	محمد بن علي ٢٠٨
مداوي بن محمد ١٩٠	محمد حيدر ١٤٥
ابن مشيط ٢١	محمد بن عايش ٢٦، ٢٣٦، ٢٣٧
مصطفى صادق الرافعي ٣١، ١١٦	٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣
السيد مصطفى ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨	٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٢
المعري ٤	محمد علي ٥٤، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢
ابن مقبل ١١٩	١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨
مقرن بن مرخان ١٧٦	١٨٩، ١٩٣، ٢٠٨، ٢١٢
منصور بن ناصر ١٨٠، ١٨٧	٢٣٦، ٢٣٧، ٢٦٢
١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٦	محمد بن قاسم ١٢٨
١٩٧، ١٩٨، ١٠٤، ١٠٦	محمد النيري ٥
	محمد الهلالي ٩٢
	محمد بن قتيبة ١٢١

الهمداني ٤٤، ٥١، ١٠٨، ١١٢،

١٢٩، ١٧٥

الهميسع بن عمرو ٤٤

الخنود ٧٥

(ي)

ياقوت ٥، ٨، ١٠، ١٣، ١٥،

٥٢، ٥٤، ٥٦، ١١٩، ١٣١،

١٦١، ١٧٥

يحيى ٢٥٢

يحيى زكري ١٤٥

الإمام يحيى ١٤٤، ٢١٣

يحيى بن سليمان ٥٥

يحيى بن عيسى ١٨٣

يحيى بن حيدر ٢٠٥

اليقولي ١٢٩، ١٥٠، ١٥٦

المهدي ١٢١

مورتر ١٤

موسى بن جثعم ٩١

(ن)

الناصري ٥٥

ناصر ٢٥٣

ناصر بن عبد الرحمن بن عايض :

٢٥٧

نجم الدين ٢٥١

النجديون ١٢

آل نخلة ١٢٢

نصر ١١٩

آل النعمة ١٢٩

(ه)

بنو هاشم ١٥

الزواج ١٠

(ز)

قبيلة الزرائق ١٤٦

قبيلة زهران ١١١ و ١٨١ و ٢٣٦ و

٢٣٧

قبيلة بنو زيد ٦٨ و ٩٣ و ٢٣٦ و

(س)

سبيع ١٠ و ١٤

بنو سعد ٢

بنو سلول ١٥ و ١٩

سبحان ٢٣٢

سواء ١٥

(ش)

شعب ٦٧ و ٩٤

بنو شعبة ٥٦ و ١٢١ و ١٢٢

شمران ١٩

بنو شهر ٦٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و

١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١٧٨

شمران ١٧ و ٥٢ و ٥٥ و ٥٦ و ١١٣

٢٥١ و ٢٤٧ و ٢٥١

(ص)

بنو صلب ٩٣

الصواعقه ٦٧ و ٦٦

الصبايل ٢١٨

(ض)

الضباب ١٥

(ظ)

بنو ظالم ٧٥ و ٩٣

(ع)

عتيبه ١٠

عسير ٢ و ٨ و ٤ و ١٠ و ١١ و

١٢ و ١٤ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و

٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و

٢٦ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٣ و

٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٨ و ٣٩ و

٤٤ و ٤٧ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و

٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و

٦٠ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٥ و ٨٠ و

٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٦ و ١٠٤ و

١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١١ و

١١٣ و ١١٥ و ١٤٤ و ١٤٥ و

١٦٨ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٣ و

١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و

١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و

١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩٠ و

١٩٣ و ١٩٤ و ٢٠٠ و ٢٠٣ و

٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١٣ و ٢١٦ و

ملحوظة : اعتبرنا عسير في قسم القبائل على الموضع المتعارف بين أهل البلاد

(ك)

الكلبة ١٠

كنانة ١٢٩ و ١٦١

(م)

بنو مالك ١٠٥٠ و ٦٠ و ١٠٤

بنو مجيد ١٦١

المرازيق ١٠

مذحج ١٧٥

بنو مزبقياء ٩٣

بنو مسعود ٩٤

بنو مشهور ١٠٩

بنو معاوية ١٩١٥

بنو مغيرة ٢٩ و ٥٠٠ و ٦٠ و ٢٦٣

بنو الميمال ٩٢

الموركة ١٠

بنو موسى أو آل موسى ١٠١ و ١١٢

و ١٥٧

(ن)

ناصره ٢ و ٧٦

ناهر ٢٣

نزار ١٢١

(هـ)

هذيل ٥٢ و ٨٤

بنو هلال ١٠ و ١٣ و ١٥

همدان ٢٣٢

٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٢٦ و

٢٢٨ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و

٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤٣ و

٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و

٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و

٢٥١ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و

٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و

٢٦٢

عز ٢٥ و ٢٦ و ٥١ و ١٧٥

عدوان ٥٢ و ١٧٥ و ٢٠٥

عقيل ١٥

علكم ٥٠ و ٦٢ و ٢٤١

بنو عمر ١٠ و ١١٢

(غ)

غامد ١٤ و ١١١ و ٢٢٦

(ف)

الفواصل

فهم ٥٢ و ١٧٥

(ق)

قحطان ١٧ و ٥٥ و ١٢١ و

٢٥١ و ٢٣٩ و ٢٠٥

قريش ١٥ و ١٢٩

بنو قريظة ٣٥

بنو قطبة ٩٣ و ٩٤

قيس أو بنو قيس ٩٤ و ١٢١

فهرست القرى والبلاد

ألمانيا ١٤٤	(١)
الأملاح ١٥	أبها ١٠٢١، ١٤٠، ١٩٠، ٢١٠
جزيرة أمّنة ١٤٧	٢٨٠، ٢٧٠، ٢٦٠، ٢٥٠، ٢٤٠، ٢٣٠
أناضول ٢	٣٤٠، ٣٣٠، ٣٢٠، ٣١٠، ٣٠٠، ٢٩٠
اندلس ١٦٩	٤٠٠، ٣٩٠، ٣٨٠، ٣٧٠، ٣٦٠، ٣٥٠
إيطاليا ٢٠٢، ١٤٤، ٢٤٧	٤٨٠، ٤٧٠، ٤٦٠، ٤٥٠، ٤٤٠، ٤٣٠
(ب)	٦٠٠، ٥٧٠، ٥٦٠، ٥٤٠، ٥٠٠، ٤٩٠
	٨٥٠، ٧٥٠، ٧٤٠، ٧١٠، ٦٨٠، ٦١٠
البحر ١٣٧	١٠٤٠، ١٠٣٠، ٩٨٠، ٩٧٠، ٩٤٠
باغنة ٥٦	١١٥٠، ١١٠٠، ١٠٨٠، ١٠٥٠
باحة شعار ٢٣٩، ٢٤١	١٦٤٠، ١٥٨٠، ١٤٤٠، ١١٧٠
بئر بن سرار ٩٨	٢٥١٠، ٢٤٦٠، ٢٤٥٠، ١٧٠٠
بئر علي ١٢٧	٢٥٩٠، ٢٥٨٠، ٢٥٧٠، ٢٥٦٠
البقلة ٩٢، ١١٩٠، ١٦٥٠، ١٦٧٠	٢٦١٠، ٢٦٠٠
البحرين ١٦٢	الأحايش ٢٤١٠، ٢٤٠٠
البدلة ٦١، ٦٢٠، ١٠٤٠	الأخبيصة ١٣٧٠، ١٣١٠
البرتغال ٦٩	أدنة ٨٥٠
بربر ٢٠٧	ارتريا ١٤٤٠، ١٦١٠
البحر الأحمر ٢٦٠	آسيا ١٥٢٠
البلقان ١٠١، ٢٤٨٠	استانبول ٢٠١، ١٤٢٠، ١٤٣٠
بمباي ١٦٣، ١٦٤٠	١٩٠٠، ١٨٤٠
البنّا ٩٩	إفريقيا ١٥٢٠، ١٦٩٠
بيت الفقيه ٢٠١	إمارة الإدارة ١٣٩٠

(ث)

بلاد بنى ثوعة ١٠٠

(ج)

جازان ٥٦

الجبل ١٥٧

الجبل ١١٩

جدة ٥

جرش ١٧، ٢٥، ٠٠٠

الجرقة ٩٢، ٩٩

جزيرة العرب ١٠، ٢٠، ٢٥، ٢٨

٤٤، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٦٢

٦، ١٠، ٨٠، ١١٢، ١٢١

١٣١، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٦

٢١١، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٦٠

٢٦١

الجرعة ١١٩

الجنية ١٧

الجوفاء ١١٩

جيزان ٢، ٦١، ٦٨، ١١٨، ١٢٩

١٢٧، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧

١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦

١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠

١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤

١٦٥، ٢٦١

يشة ١٨، ٢٣، ٥٢، ٥٣، ٦١

١٢١، ١٨٢، ٢٥٥

يشة عبطان ١٧

يشة النخل ١٧، ٢٣٧، ٢٥١

(ت)

تربة ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤

٥٢، ٥٣، ٥٤، ٧٤، ١٨٢

٢٤٧، ٢٥٥

تركستان ٦٥

تركيا ٢٩

تمنية ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠

نمران ١٦

تلدحة ٢٠، ٩٧

تنومة ٨، ١٠، ١٩، ١١٣، ١١٥

تهامة ١، ٢، ١٤، ٢٦، ٣٣، ٥٢

٥٤، ٥٥، ٥٨، ٦١، ٦٤، ٧٦

٧٨، ٨٠، ٩١، ١٠٧، ١١١

١١٢، ١١٥، ١١٨، ١٢٣

١٢٥، ١٢٩، ١٥٨، ١٥٩

١٦٠، ١٦١، ١٧٥، ١٧٨

١٨٢، ١٩٣، ٢٢٦، ٢٤٦

٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤

تهامة الحجاز ٥٤

تهامة اليمن ٥٤، ٢٣٩

تهامة عسير ٥٤

(ح)

الحافة ١٥٧

حائل ٢٥٨

الحبشة ٦٩ ، ١٦١

الحجاز ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ،

١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٥١ ،

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٧٥ ،

٧٦ ، ٧٧ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٩ ،

١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ،

١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،

٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦١

الحديثة ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ،

٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

قرية الحديثة ١٧٥

حرمة ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،

٢٦٠

الحفائر ١٤٣

الحفير ٢٤٢

الحسة ١١٩ ، ١٨٧

حوتين ١٣٧

(خ)

خبت البقر ١٢٧ ، ١٦٥ ،

الخزعة ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

خضرة ١٤٩

قرية ابن خريب ١٠٧

الخراذلة ١٥٤

الخصاوية ١٥٤

أم الخشب ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٥ ،

١٨٠

الخشاية ١٥٤

خميس ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٩٧ ، ١١٣

خميس مشيط ٢١ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٦١ ،

٢٥٨

خميس شران ٢١ ، ٢٤ ،

خير ٢٠ ، ٩٧

(د)

الدارة ٤١

الدبر ١٢٧

الدرب أو درب بني شعبة ٦١ ،

١٢٢ ، ٩٢ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،

١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،

١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٢٧

ريشة ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥	الدرعية ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠
٢٦٢	١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠
(ز)	٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧
زيد ٢٠١، ٢٣٧	الدهناء ١٨٣
الزيارة ١٢٢	(ذ)
قرية آل زخران ١٠٨	ذبوب
ماء زمزم ٧٣	(ر)
الزيمه ٥	الربع الخال
الزبدية ١٤٦، ٢٣٨	رجال ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣
(س)	٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٥، ٩٠
سامطة ١٤٦	٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٨
الساحل ١٥٧	٩٩، ١١٠، ١١٣، ١١٥، ١١٦
السيه ٥	١١٧، ١٧٨، ١٨٥، ١٨٧، ٢١٣
سجستان ٧	٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦٠
الحر ١٠٠	رزام ١٠٤
السداد ١٢٢	رغدان ٢٢٨
السقا ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤	رغوة ١٧
السلامة ١٣٠، ١٥٤	روميا ٦٥
الودا ٦١، ٦٢	رملان ١٢٢ و ١٢٧
السودان ١٤٠	الروشن ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٣
سوريا ٢، ٨٥	٥٢، ٩٨، ١١٤
سوق الربوع ٩٩	روضة ابن غنام ٩٧
(ش)	الرياض ١١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠
الشام ٢٩	الرموة ١١٩، ١٦٥

١٩٦ و ١٩٨ و ٢٠٠ و ٢٠٤ و

٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٨ و ٢٢٧ و

٢٤١ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٧ و

٢٦٠

صحرا ٩٢

صعدة ٢٠٨

صاية ١٣٧

صنعا ٥٢ و ٥٣ و ٥٥ و ١٢٩ و

١٤٦ و ١٤٨ و ١٥٠ و ١٧٥ و

١٧٨ و ١٩٤ و ١٩٦ و ١٩٧ و

١٩٩ و ٢٠١ و ٢٠٩

صومال ١٠٠ و ٢٠٢ و ٢٥٣

(ط)

الطائف ٢ و ٥ و ٦ و ٧ و ١٢ و

١٣ و ١٥ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٦ و

٣٦ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٧٦

٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٧٠ و ١٨٢ و

٢٤٧

طائف ثقيف ٦

طيب ١٧٥ و ١٨٢ و ١٨٥

طرابلس ١٤٤ و ٢٤٨

(ظ)

ظاغن ١٧

ظية ١٤٩

الشاخر ١٣٠

شبرا ٧

شديدة ٩٣

الشرحة ٥٨ و ٦٠

الشرف ٦٠ و ٦٤ و ١٠٣

شرق الأردن ٢

الشرايع ٥

الشرقي الأدنى ٦٥

الشعايب ٧٦

شعار ١٠٥

الشعين ٦١ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و

٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٩ و ١٠٨ و

٢٢٤ و ٢٤٦ و ٢٥٣

الشقيق ١٢٢

شنقيط ٧٩

الشقيق ٢٤٣ و ٢٤٩ و ٢٥٠

(ص)

صيا ٥٤ و ٥٥ و ٦١ و ١١٨ و

١٢٣ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و

١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و

١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و

١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٥ و

١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥١ و

١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٢ و ١٦٥ و

١٨٠ و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٩٥ و

(ع)

قرية بنى عبد شح ٩٣

عدن ١٠١ و ١٤٤ و ١٥٣ و ١٥٧ و

١٦٤ و ٢٥٠

العديا ١٣٧

العراق ٢ و ١٢٩ و ١٦٤ و ١٦٩ و

١٧٥ و ٢٠٠

العرج ١٤٩

بلاد العرب ١٧٥٠٧

العرش ١٢٩ و ١٥٠

أبو عريش ٥٤ و ٥٥ و ١١٨ و

١٢٣ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و

١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٦ و

١٥٩ و ١٦٠ و ١٧٩ و ١٨٠ و

١٨١ و ١٨٣ و ١٩٣ و ١٩٥ و

١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٧ و

٢١٨ و ٢٢٠ و ٢٣٣ و ٢٣٧ و

٢٣٨ و ٢٦٢

عرفة ١٧٥

قرية ابن العريف ١٠٨

عشالف ٩٩

العقبة ١٠٣

عمير ١٥٤

(غ)

ديار غامد ١٤ و ٤٨ و ٢٣٢ و

٢٣٧

غاوة ٦٢

الغار ١٢٢

القرسة ١٠٧

(ف)

فارس ٨ و ١٦٩

فرسان ١٤٧ و ١٦١ و ١٦٤

فرنسا ٦٨

الفضايا ٢٠٣

الفية ١٠٤

الفتيحاء ١٧٥

فلسطين ٢

(ق)

قاعد ٤١ و ١٠٠

قائم آل زيد ١٢٢

قائم النجعة ١٢٢

القاهرة ٤٥

قرى بنى مالك ٢٤١

قرية الشيخ بكرى ٩١

القرى ١٣٧

القضب ١٢٢

الحالة ١٠٤	القعدة ١٥٠
أم مخرج ١٣٠	القنفذة ٦١ و ١٠١ و ١٠٥ و ١١٣
المدينة المنورة ١١ و ٣٥ و ١٨٢	١٨١ و ١٨٥ و ١٨٩ و ٢٢٣ و
مختارة ٢٠٩	٢٣٩ و ٢٤٣ و ٢٥٣ و ٢٦٠
المدارية ١١٩	القريضة ١٥٤
المرار ٩٣	قنا ٢٢٤
المسطح ١٥٧	(ك)
قرية آل مشهور ١٠٩	كویت ٢
مصر ١١ و ٧٥ و ١٤٠ و ١٤٦ و	(ل)
١٤٧ و ١٦١ و ١٦٩ و ١٧٥ و	لبنان ٢
١٨٢ و ١٨٣ و ٢٠٨	اللمبة ١٧٥
مصوع ١٤٤ و ١٤٧ و ١٥٧ و ١٦١	اللمبة ١٤٦
المضفة ١٠٧	لبنان ٢٥
المضايا ١٩٦	(م)
مسلية ١٨٣	مخشوش ٢٣٩
النخا والحديدة ٢٣٧	المجعة ٩٢
المعفر ١٢٧	محسان ٦٢
المقرض ١٣٧	المخلاف السلياني ٢٣٧ و ٢٤٦ و ٢٦١ و
المطلع ١٥٧	مخايل ٦١ و ٩٢ و ٩٩ و ١٠٠ و
مكسيك ١٦٤	١٠١ و ١٠٢ و ١١٤ و ١٨٥ و
مكة ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و	١٨٨ و ١٩٠ و ٢٢٤ و ٢٣٩ و
١٠ و ١٥ و ١٨ و ٢١ و ٢٣ و	٢٦٠
٥٣ و ٥٤ و ٥٦ و ٧٣ و ٧٧ و	

١٨٤ و ١٨٥ و ١٩٠ و ١٩٣ و

١٩٥ و ٢١٠ و ٢١٦ و ٢٢١ و

٢٦٢

النفي ١٢٢

الخاص ٩٩ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و

١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و

١١٣

(٥)

المند ٢ و ١٠١ و ١٣٧ و ١٦٣ و

هجرة ١٤٩

(و)

واعر ١٧

الواصل ١٥٤ و ١٥٥ و

الوسط ٦

(ي)

اليمين ١٠ و ١٥ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٥ و

٥٦ و ٨٣ و ١٠١ و ١٣١ و

١٣٧ و ١٤٥ و ١٦١ و ١٧٥ و

١٧٨ و ١٩٤ و ١٩٩ و ٢٠١ و

٢٠٢ و ٢٢٣ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و

٢٤٥

(٢٠)

٨٤ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٩ و

١١٦ و ١١٨ و ١٢٩ و ١٣٧ و

١٤٣ و ١٤٤ و ١٥٠ و ١٥٨ و

١٧٦ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و

١٨٢ و ١٨٧ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و

٢٤٩

ملايا ١ و ١٥٢

الملح ١٤٥

الملاحه ١٠٤ و ١٣٠ و ١٨٩ و

٢٤١

ملقا ١٥٢

ابن ملحم ١٠٦

المنظر ١١٤

المهمل ١٧

ميدى ١٤٦

قرية الملح ١٧٥ و ٢٤١ و

المملكة العربية السعودية ٤٦ و ٥٤ و ١٥٧ و

(ن)

التنوير ١٣٧

نجد ٢ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٥ و ١٩ و

٢٥ و ٢٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٧٥ و

٩٤ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٠ و

فهرس الوديان

٢٣٧	(١)
وادی تربة ٨ و ١٣ و ٥٣	وادی أبا ١٧ و ٤٠ و ٤٢
وادی ترج ١٨	أناة ١٧٥
وادی تشر ١٩٦	
وادی تيه ٥٦ و ٦١ و ١٣٠ و ٢٣٩	(ب)
وادی تندحه ٢٠	أراك ٢٣
(ث)	بسل ١٨٢
وادی ثاه ٦٨ و ٩٣ و ٩٥ و ٢٣٦	وادی بقره ١١٤
(ج)	وادی بیخان ١٠٧
وادی الجوف ٢٥٥	وادی بیش ٥٥ و ٥٦ و ١٢٣ و
وادی جوحان ٤١	١٢٧ و ١٢٩ و ١٥٨ و ١٨٠ و
وادی جیزان ١٥٠	١٨٣ و ١٨٥ و ١٩٥ و ٢٠٦ و
(ح)	٢٤١
وادی حجلة ٢٥٦	وادی بطنة ١٨
وادی حرض ١٤٦	وادی بیشه ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و
وادی حسوة ٩٣	١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٥٢ و ٥٣ و
وادی حظوة ١٠٧	٥٤ و ٩٨
وادی حلی ابن یعقوب ٥٦ و ٦٨ و	وادی بیض ١٣٧
٩٩ و ١٠١ و ١٨٥ و ٢٣٩ و	(ت)
٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٣	وادی تبالة ١٨
وادی الخاطة ١٠٢	وادی تلیث ٥٢ و ١٧٥ و ٢٣٤ و

وادی حره ١٠٤

(خ)

وادی خضراء ٢٣ و ٢٥٦

وادی آل خضرة ١٢١

وادی خلب ٢٠١

وادی خیبر ٢٠

(د)

الدارة ١٧٥

وادی النواصر ١٤ و ٥٣ و ١٢١ و

١٧٧ و ١٩٧

(ر)

وادی الرصف ١٠٤

وادی رنية ١٤ و ١٥ و ١٧

روضة بن غنام ١٤

وادی الریش ١١٢

وادی ریم ١١٩ و ١٢٠ و ١٦٦

(س)

وادی السرحان ٢٥٥

وادی سمرة ١٢٧

وادی سدوان ١٠٧

(ش)

وادی شهران ٢٠ و ٢٢ و ٢٣

(ص)

وادی صبیح ١٠٦

وادی صیا ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٧

وادی الصفراء ١٨٢

(ض)

وادی ضباغة ٤٠

وادی ضد ١٨٣

(ظ)

وادی الظهران ٦١

(ع)

وادی عبالة ١٠٧

وادی عبل ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٩ و

١٧٥

وادی عتود ٦١ و ١٢٠ و ٢١ و

١٢٢

وادی عثر ١٢٩ و ٣١١

وادی العثربان ٤٠

وادی عقبه ضلاع ٩٢

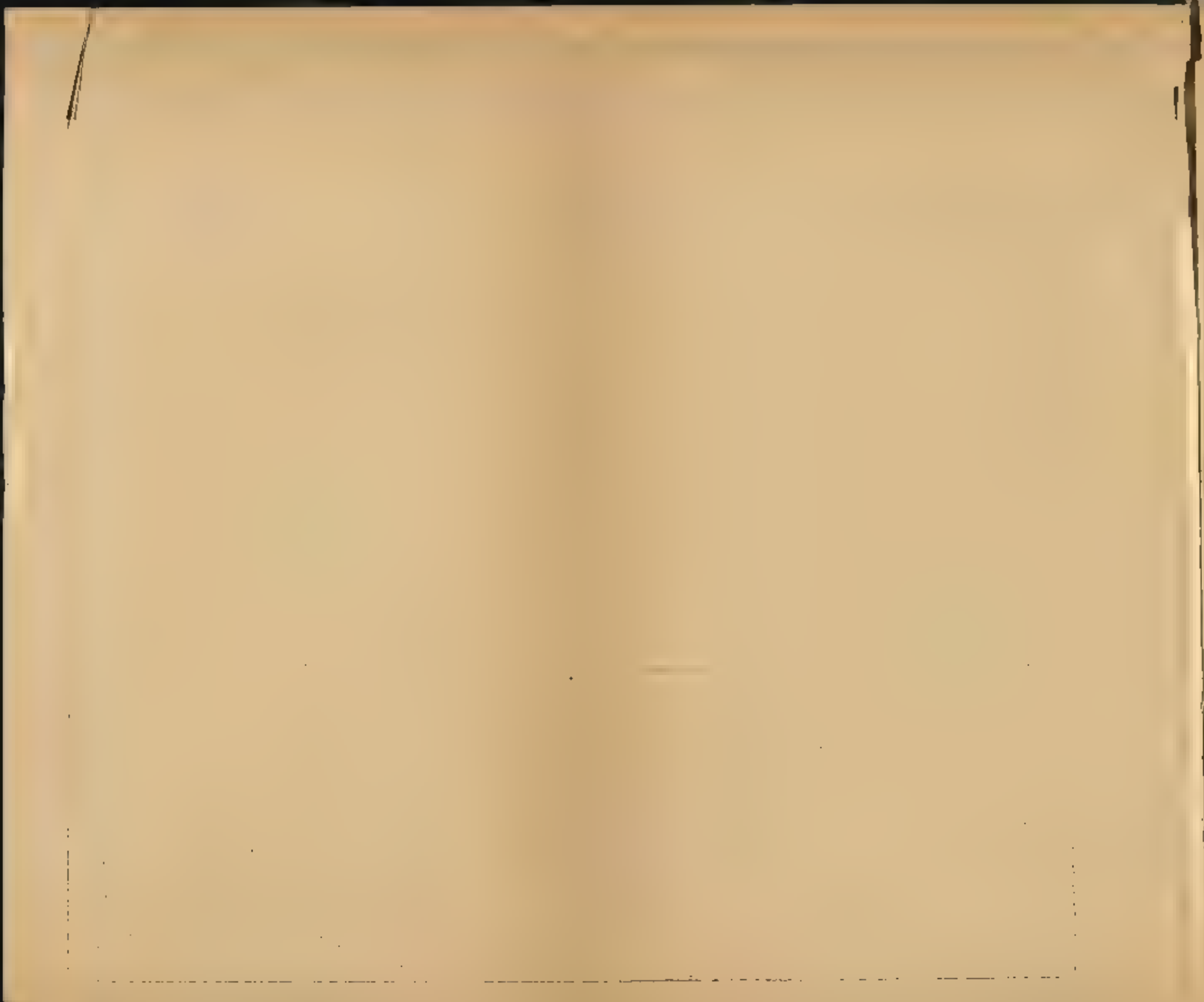
وادی العوص ٦١ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و

وادی المسیرق ٢٣	١٠٣ و ٢٣٩ و ٢٤١ و ٢٥٤ و
المقوٹ ١٧٥	(ق)
وادی ملیح ١٠٩	وادی قنا ٢٢٤
وادی مور ٢٠٧ و ٢٣٨	(ک)
وادی میان ٣ و ٧٦	وادی کرام ١٣
وادی المیل ٩٦	وادی کسان ٦٩ و ١١٩ و ١٢٠ و
(ن)	١٦٦ و ١٦٧ و ٢٤١
وادی نجران ٦١	(ف)
وادی نعص ١١٤	وادی فاطمة ١٥٨
(هـ)	(ل)
وادی هرجاب ١٨ و ٩٧	وادی لیه ٧
وادی ابن هشبل ٩٧	(م)
(و)	وادی المثناء ٦
وادی وج ٦ و ٨	وادی محایل ١٠١
وادی وحلة ١٨١	

فهرست الجبال

حصن الشريف ١٥٧	(١)	الجيل الأخضر ٧
(د)		الأشعب ١٠٥
الدرجة ١٠٥		رأس (أملح) ٢٦
الدهناء ١٠٨		(ب)
(ذ)		جبل بالحصن
جبل ذرة ٤٩	(ت)	رأس تيه
(ر)		تربان ١١٢
(عقبة) ٦٩ و ٨٥ و ٩٩ و ١٠٣		جبل ثنية ٥٥ و ٥٦
رکان ٥٦		رأس تيه ١٧٥
رضوى ١٥٦		جبل تهال ٦٣ و ٦٤ و ١٠٤ و ٢٤١
ربمان ١١٢		٢٥٤ و ٢٤٢
(س)	(ث)	تربان ١١٢
عقبة ساقين ١١٤		تهالان ١٥٦
الراة ١ و ٢ و ٨ و ٤٧ و ٤٨ و	(ج)	جبال قبيلة شحب ٢٤٠
٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٥ و ٦١ و		الجمد ١٠٦
٧٦ و ٧٨ و ٨٠ و ٨٤ و ٩٢ و	(ح)	جبل حزن ١١٤
١١٢ و ١١٤ و ١٢٩ و ١٣٠ و		حرة عسحس ١٤
١٤٥ و ١٧٠ و ١٧٥ و ١٧٨ و		حصن البرقية ١٥٧
١٧٩ و ١٨١ و ١٨٥ و ١٨٦ و		
١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٣ و		

عقبة واج ٢٤٠	٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٦ و ٢٠٨ و
العقبة ٢٤٢	٢٢٠ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و
(ف)	٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و
فيغا ١٦١	٢٥٤ و ٢٥٩ و ٢٦١ و
(ق)	(ش)
جبل القارية ٩٣	جبل شصعة ١٠١
عقبة القامة ١١٣	شعار ٥٦ و ٦١ و ١٠٥ و ١٨٩ و
القرون ٥٥	شعاية ١٠٧
جبل قوة ٢٤١	الشفاء ٦
قلعة البرج ١٥٧	شمان ٩٧ و ٩٨ و ١٠٤ و
قلعة الوسط ١٥٧	(ص)
قلعة المطلع ١٥٧	عقبة الصفاء ٦١ و ٦٤ و ٧٦ و ٢٤١ و
القرية ٢٤٢	٢٥٤
(م)	(ض)
المسوح ١٠٥	الضحي ١٠٦
(ن)	ضلع ٧١ و ١٢٠ و ١٨٨ و
نحو ١١٢	(ظ)
حرة نوبف ١٤	الطود ١٧٥
(هـ)	طوروس ٢٥٠
جبال هروب ١٣٧	(ع)
(ي)	عقبة آل عامر ١٠٦
يلعلم ١٨٠	



خريطة نفقديتير

بيان خط السير واسماء القرى والأماكن التي جرت زيارتها في أثناء الرحلة

إيضاح

الزراعة وسلسلة جبال أعالي كركوك وجزء من بلاد العراق

الزراعة وسلسلة جبال أعالي كركوك وجزء من بلاد العراق



ملاحظات

- المسكن
- القرى الكبيرة
- القرى الصغيرة
- أماكن مشهورة
- خط السيل والطريق
- الحدود بين
- الجبل المشهور
- العقبة

بلاد الحبش

من مؤلفات

الاستاذ عبد الله عبد الجبار

الأديب الحجازي المعروف

١ - « العلم سحتوت ، وهي تمثيلية إذاعية عصرية تعالج أطرافاً من مشاكلنا الاجتماعية ، وتصور الصراع الرهيب بين عاطفة الخير وبين النفس التي ختم عليها الشح وأودى بها نزعة الظلم الاجتماعي .

وقريباً :

٢ - قصة الأدب في الحجاز

وهو كتاب قيم يصدر في عدة أجزاء . ويصور تاريخ الأدب في الحجاز منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ويبدأ بتسجيل الفترات الغامضة المجهولة . وقد اعتمد المؤلف على كثير من المخطوطات النادرة بالإضافة إلى المراجع المطبوعة .

٣ - مركب النقص وأثره في الأدب

وهو بحث على طرف يمتاز بالحدة والابتكار

٤ - سائق البريد وقصص أخرى

وهي مجموعة قصصية ترتاد آفاقاً جديدة في الأدب الحجازي ... ونحن نلفت أنظار المشتغلين بالأدب وجميع القراء لتناج الكاتب الحجازي فإن فيه الفن والسحر والفائدة .







NYU - BOBST



31142 01157 9367

DS247.A65 .R3

Firibu'z

DS

247

.A65

.R3

c.1